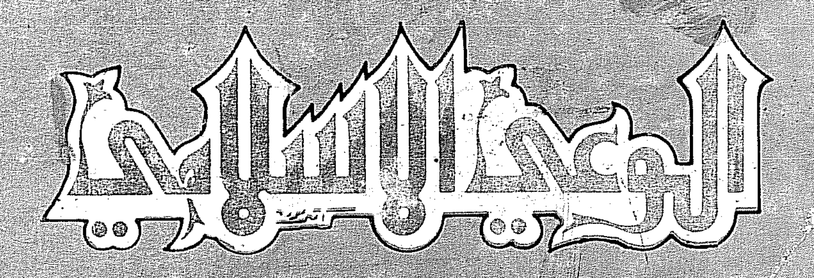


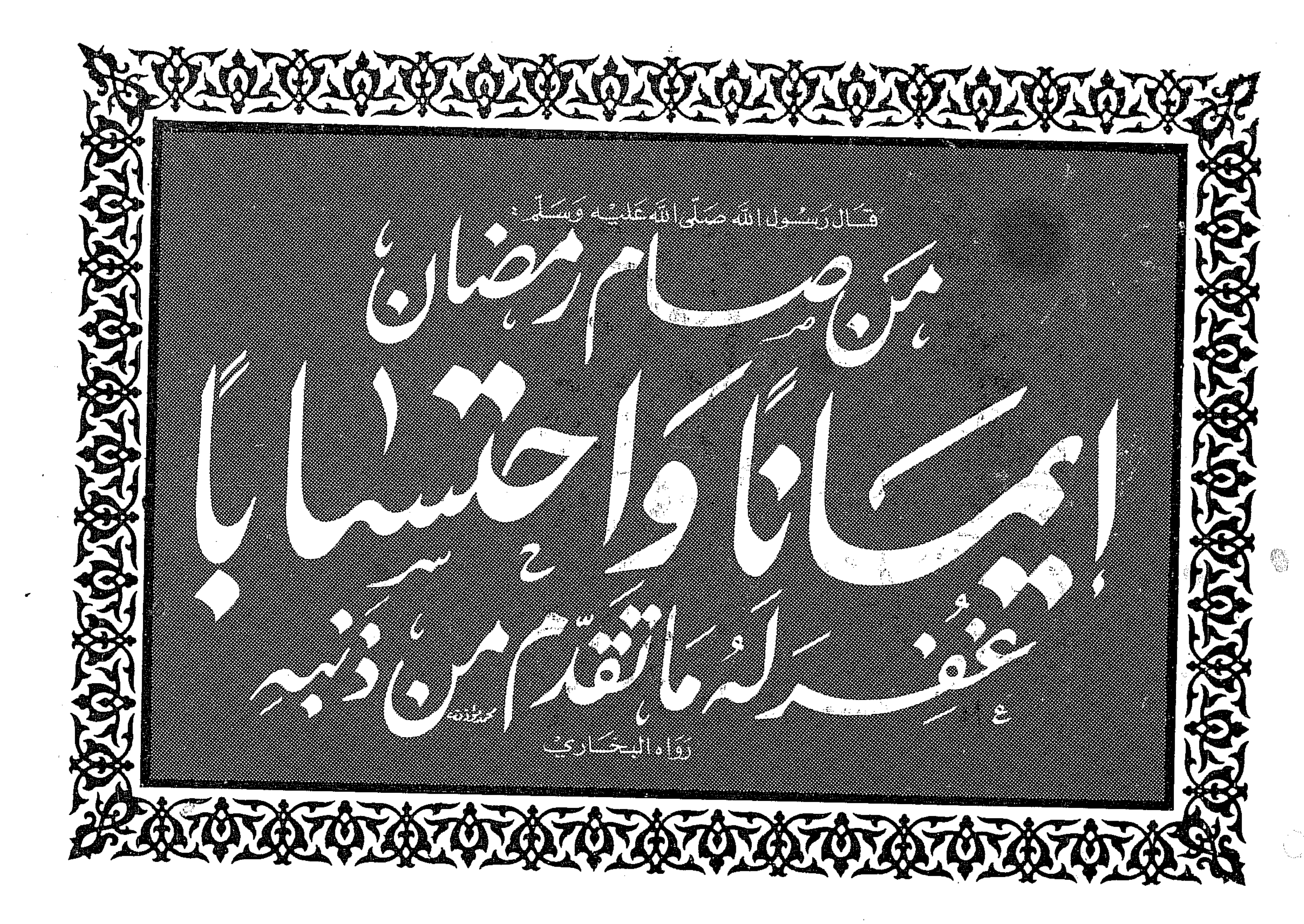
إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٧ - رمضان ١٤٠٤ هـ - يونيو ١٩٨٤ م

شهر رمضان

الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان


قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صام رمضان
إيمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه
رواه البخاري



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

العدد ٢٣٧ ـ رمضان ١٤٠٤ هـ ـ يونيو ١٩٨٤ م

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الاردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



لعلكم تتقون

اصطفى الله شهر رمضان واختاره موسما لسمو النفس وصفاء الروح حيث فرض فيه الصوم وأنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . في رمضان أنعم الله على البشرية بقرآن يهدي للتي هي أقوم فأنقذ الناس من ضلال وهداهم من حيرة وأخرجهم من الظلمات الى النور . وفي رمضان فرض الله الصوم ليقوي الجانب الروحي على الجانب المادي في الانسان ولتلتقي هداية الصوم مع هداية القرآن في بناء الفرد المسلم ليسعد ويرقى وفي بناء المجتمع المسلم لينهض ويبقى . شرع الله الصوم كمنهج يعمق الايمان ويجعل الانسان المسلم دائم الصلة بربه يعيش دائما في معية الله يعبده كأنه يراه خاصة وأن الصوم يتميز عن سائر العبادات بأنه عبادة لا يدخلها نفاق أو رياء أو ادعاء لذا أضافه الله تعالى إليه كما جاء في الحديث القدسي . يقول الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به) رواه احمد ومسلم والنسائي .

ومما لا شك فيه أن الصوم الحقيقي يأخذ بزمام النفس الانسانية ويقودها إلى الطاعة الواجبة لله ويصل بها إلى ذروة القرب من مقامه الكريم عن طريق التقوى التي هي غاية الصوم وثمرته كما قال تعالى: (**يا أيها الذين**

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الآية ١٨٣/البقرة .

قال الشيخ محمد عبده إن معنى لعل الاعداد والتهيئة - وجاء في تفسير المنار عند قوله تعالى لعلكم تتقون . « هذا تعليل لكتابة الصوم ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالا لأمره واحتسابا للأجر عنده فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوة المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه . وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه .. »

وبتكرار فريضة الصيام سنويا تتضح الغاية منه وهي اعداد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى والمداومة عليها . وعن طريق التقوى تصحو الضمائر . وتصح العزائم . وتسلم النوايا ويقوى الوازع الديني لدى الانسان المسلم . وما أحوجنا كافراد وجماعات إلى يقظة الضمائر المؤمنة أمام مغريات المادة وملذات الشهوات وعن طريق الضمير الديني يستقيم امر المسلم ولا شك . فهو في سره وجهره . في حله وترحاله . في صحته ومرضه . في غناة وفقره . بل في كل سلوكه لا يراقب الا الله ولا يخاف إلا منه يخاف أن يكون قد قصر في جنبه أو اعتدى على حرماته . وإنما يحاسب نفسه ويتدبر عاقبة أمره . ويأخذ من تقوى الله الزاد لفكره والنور لقلبه . نعم ما أشد حاجة الأمة إلى الضمائر المؤمنة الواعية إنها لا ترقى ولا تسعد بفرض القوانين وإصدار القرارات التنظيمية فحسب بل لابد من سيطرة هذه الضمائر ليتغلب جانب الخير ولتنتصر القيم الاخلاقية الفاضلة .

والا فكثيرا ما فرضت القوانين عقوبات رادعة للخارجين عليها ولكن ضعاف الايمان تحايلوا على الفرار من قبضة القانون . وبذلك يمكن القول بأن القانون لا يستطيع إلى حد ما أن يتعقب كل خارج عليه ورجال الأمن لا يقدرون على ضبط كل مخالف ولكن الضمير هو صاحب السلطة في هذا المجال . يدفع من ارتكب جرما ولو سرا إلى الاعتراف بذنبه وهو يقدر خطورة هذا الاعتراف وما يترتب عليه من عقوبات مادية وأدبية . وقد سجل التاريخ لرجال مؤمنين ونساء فضليات ما طلبوه من اقامة الحد عليهم تطهيرا من الذنب وطمعا في مغفرة الله ورحمته .

وفي عهد عمر رضي الله عنه استمع إلى فتاة مؤمنة - وهو يعسُّ بالليل - وقد طلبت منها أمها في الصباح الباكر أن تخلط اللبن بالماء طمعا في الكسب الحرام . قالت أما سمعت أمير المؤمنين ينهى عن الغش يأماه ؟ ولما قالت

الأم إن أمير المؤمنين لا يرانا . ردت الفتاة قائلة . إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا . ويختارها عمر زوجة لابنه عاصم جزاء امانتها وتقواها .

إنه بالاستجابة إلى نداء الضمير يستقيم أمر الحاكم والمحكوم على السواء وينتظم أمر الأمة حين يعرف كل فرد منها ما له من حقوق وما عليه من واجبات من غير تقصير أو تجاوز أو نفاق أو محاباة.لما تولى أبو بكر الخلافة اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لأمر القضاء ليفصل بين الناس في الخصومات ومضى العام الأول لم يتقدم إليه مظلوم بشكوى فذهب عمر إلى أبي بكر يطلب الاعفاء من القضاء وقال لا حاجة لي إلى قوم عرف كل منهم ما له من حق فطلبه وما عليه من واجب فلم يقصر فيه . يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه . إذا مرض أحدهم عادوه . وإذا افتقر اعانوه . وإذا احتاج ساعدوه . وإذا غاب سألوا عنه .

المحبة طبيعتهم والمودة شيمتهم . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دينهم ففيم يختلفون . وعلام يختلفون ؟

وإذا كنا في حاجة ملحة إلى إيمان يحجزنا عن محارم الله وإلى تقوى تبعث الضمائر لتسيطر من جديد على أخلاق الناس وسلوكهم فواقعنا يؤكد أن الناس أمام صحوة الضمائر ثلاثة أصناف .

صنف يمنحه الله ضميرا لا ينام فهو في كل أمره يراقب الله وهو يتمثل عظمته ويخشى غيرته يفر من السيئة . ويتورع عن كل شبهة ، يصون عرضه ودينه . ويطمع في فضل الله ورحمته هؤلاء يرتفعون بتقواهم فوق مغريات المعاصي والدعوات المحرمة هؤلاء هم الرجال حقا الذين مدحهم الله تعالى بقوله:(**في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**) الآيتان ٣٦ ـ ٣٧/النور فليست الرجولة بعضلات مفتولة او شوارب تنبت فوق الشفاه وإنما الرجولة انتصار على النفس واستعلاء على الأهواء والشهوات والأطماع ومراقبة لله في السر والعلن هؤلاء يزيدهم الصوم ارتباطا بالله وإيمانا به يظهر أثره في عبادتهم وسلوكهم حين يصدق التاجر في تجارته والصانع في صنعته والعامل في مجال عمله والراعي في رعيته يردد كل منهم قول القائل :

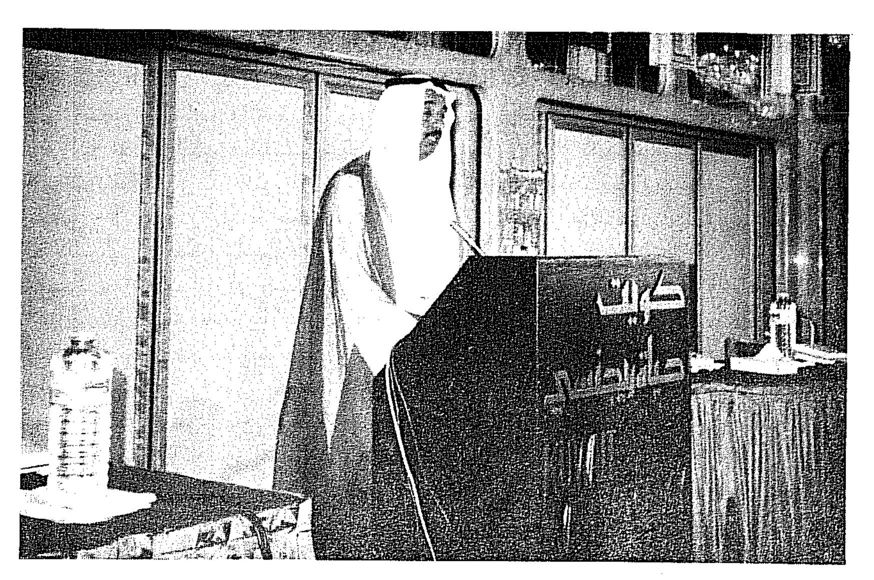
إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .
الصنف الثاني . في غفلة الضمير تغلبه نفسه وتتحكم فيه قوة الشر فتنسيه جانب الله وجانب الناس بعض الوقت تحلو له المعصية ولم يجد عزماً يقاوم به الاغراء . ويظل في اضطراب مخافة أن يعلم الناس بأمره . وخوفه من الناس قد يفتح له باب الخوف من الله ويدفعه ضميره إلى أن يطرق باب التوبة والندم وعندئذ يفتح الله له باب الرحمة ويمنحه عفوه ورضاه .. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى:(**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) ١٣٥ ـ ١٣٦/آل عمران .
الصنف الثالث يجاهر بالمعصية ويعلن الجريمة من غير خجل أو حياء يترك الصوم ويجاهر بالفطر في رمضان لا يصلي ويلهي غيره عن الصلاة إذا ستره الله أذاع السر وكشف ستر الله عز وجل وهذا لضعف الوازع الديني وانعدام الضمير يجد صورا في المجتمع تنفر منها الانسانية وينكرها الاسلام فلا خلق ولا ضمير لتاجر يغش ويأكل أموال الناس بالباطل أو شارب يدعو غيره لشرب المسكر ولعب القمار أو صاحب ناد يضم فيه حفلات الرقص والسهرات الحمراء أو صاحب قلم يدعو إلى التحرر من القيم الفاضلة
أو رسام ينشر صورا عارية تحرك الفتنة وتحطم أخلاق الشباب وتعد الفتيات لمصير غير كريم.على هؤلاء وغيرهم مهما اختلفت أساليبهم في المعصية أن يتخذوا من رمضان فرصة للرجوع إلى الله . عليهم أن يتذوقوا حلاوة التقوى عن طريق الصوم فانه عبادة تسري روحها إلى النفوس العصية فتهديها وإلى القلوب القاسية فتسكن فيها وتشفيها . عليهم أن يقبلوا على الله فيما بقى لهم من أجل مثوبة تسد منافذ ايحاء الشيطان وتبدل سيئاتهم حسنات . ولا يستبد بهم اليأس من رحمة الله القائل : (**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) ٥٣/الزمر .
مرحبا بشهر التوبة والإنابة . شهر الهدى والنور والخير والعطاء . شهر القرآن هدية الله إلى البشر . شهر الصيام طريق التقوى ودعوة الايمان .
اعاده الله وقد كشف عن المسلمين الغمة أعاده الله ومعه الفرج بعد الكرب واليسر بعد العسر والوحدة والصفاء بعد التمزق والضياع اعاده الله وقد عرفت الأمة طريقها اليه سبحانه ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .

رئيس التحرير

حسن فنّاع

معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يلقي كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في افتتاح المؤتمر الأول للزكاة



معالي الوزير يلقي كلمة الافتتاح

ألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد/ احمد سعد الجاسر كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في افتتاح المؤتمر الأول للزكاة الذي عقد في الكويت بتاريخ ٢٩ رجب ١٤٠٤هـ . وقد بين السيد الوزير ما للزكاة من أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع ، وأشار إلى انشاء بيت الزكاة كنظام حديث للزكاة نظرا لتقدم الحياة ، ودعا المواطنين والمقيمين الى الاعتماد على بيت الزكاة في جمع زكواتهم ، وتحدث عن أهمية المؤتمر ، وذكر بأنه جهد رائد ، وان الآمال معقودة عليه ، وأعرب عن رجائه أن تستفيد مؤسسات الزكاة في سائر بلدان المسلمين من نتائجه .

وهذا نص الكلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

أيها الاخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

يسرني ويشرفني أن أنوب عن سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في افتتاح مؤتمركم هذا سائلا المولى العلي القدير ان يوفق جهودكم لما فيه الخير ، كما يسرني ان أنقل تحيات سموه اليكم وأرحب بضيوف الكويت الأفاضل الذين تحملوا مشقة السفر للمشاركة مع إخوانهم في الكويت لانجاح اعمال هذا المؤتمر راجيا لهم طيب الاقامة في بلدهم الثاني .

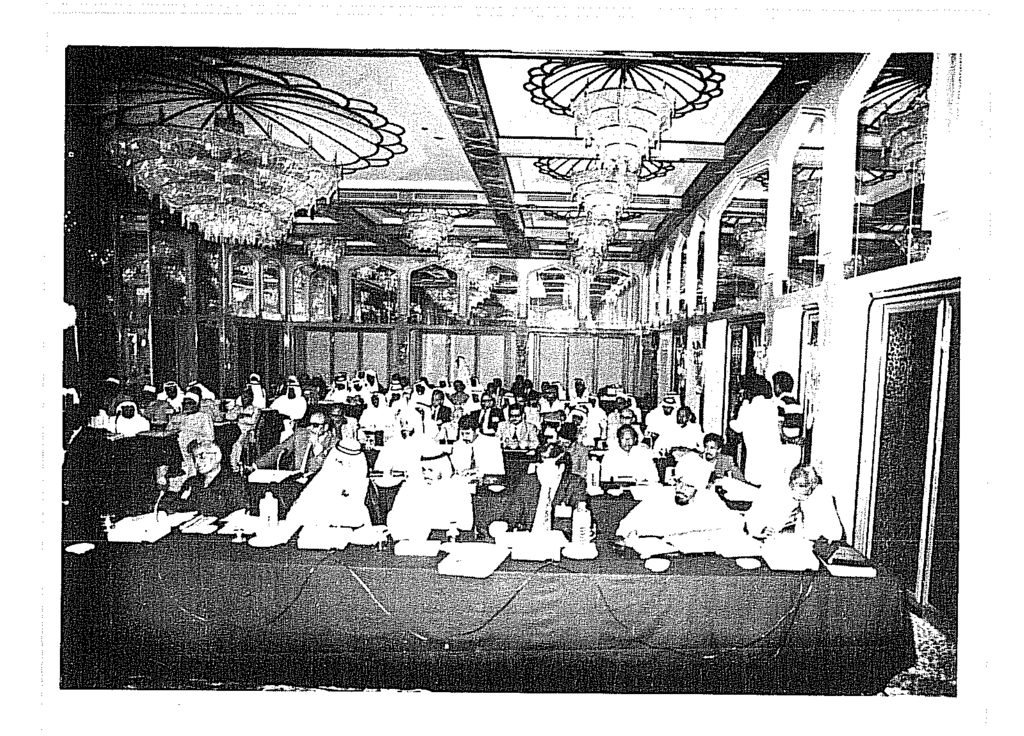
ايها الاخوة :

كلكم تعلمون ما للزكاة من أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع حيث انها الركن الثالث من أركان الاسلام الخمسة وهي عماد من أعمدة المجتمع الاسلامي كان ولا يزال لالتزام المسلمين بأدائها منذ عهد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت الأثر الكبير في تحقيق التكافل الاجتماعي والتضامن بين أفراد المجتمع المسلم .

لقد جبل أهل الكويت مثل اخوانهم من المسلمين على فعل الخير واقامة الصلاة وايتاء الزكاة حيث كان الأفراد يتولون اخراج زكاتهم السنوية ويقومون بأنفسهم بالسؤال عن المحتاجين وتفقد ارحامهم وأقاربهم وأبناء حيهم وايصال الزكاة اليهم لسد حاجتهم ، وكان كل فرد من أفراد المجتمع يعاني مشقة اخراج الزكاة والبحث عن مستحقيها وتوزيعها مما يكلفه جهودا فردية مضنية .

ونظرا لتقدم الحياة وتطور أساليب المعيشة وقيام الأعمال في المجتمع على شكل مؤسسات تنظيمية متقدمة وتمشيا مع التطور الكبير الذي تشهده الكويت في مؤسساتها المختلفة ، فقد التقت رغبة السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية على ايجاد نظام حديثومتقدم يرعى شؤون الزكاة ـ ويتولى جمعها وتوزيعها في أبواب الزكاة الشرعية ـ وكانت نتيجة ذلك صدور القانون رقم ٥/٨٢ بانشاء بيت الزكاة ، ولقد وفرت الدولة له الأجهزة اللازمة لحسن ادارته والاشراف عليه بما يتطلبه من ميزانية سنوية ، كما توفر لبيت الزكاة الدعم المالي السنوي اللازم لتعينه في تحقيق اغراضه .

وبهذه المناسبة فاني ادعو الاخوة المواطنين والمقيمين للاعتماد على هذه المؤسسة المتقدمة لجمع زكاتهم حيث تقوم نيابة عنهم بتوزيعها وصولا الى أصحاب الحاجة خاصة الذين لا يسألون الناس الحافا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف .



أيها الاخوة :

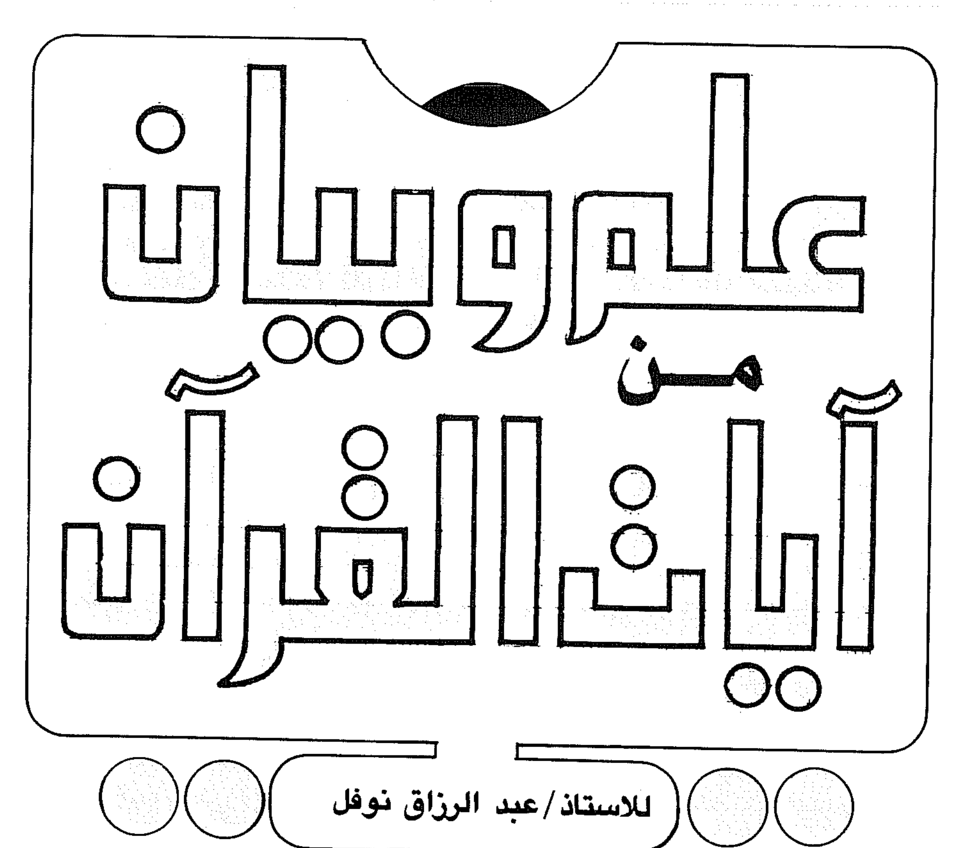
ان عقد مؤتمركم الأول هذا يأتي جهدا رائدا في مجال بحث أمور الزكاة وتدارس أوضاعها الشرعية وتطبيقاتها خلال مختلف عصور التاريخ الاسلامي المجيد وما يمكن أن تكون عليه مؤسساتها في العصر الحاضر وامكاناتها في تذليل العقبات والتحديات الكبيرة التي يواجهها العالم الاسلامي . لذلك فان الآمال معقودة على نتائج مؤتمركم في أن تسهم لتوسيع نطاق تطبيق هذه الفريضة الجليلة وتحقيق أثرها الشامل على الأفراد والمجتمعات خاصة ونحن نرى ما أتيح لهذا المؤتمر من خبرات وقدرات فريدة تلتقي من مختلف بقاع الأرض من ذوي الاختصاص في مجال الشريعة وفقه الزكاة الى جانب ذوي الاختصاص في الاقتصاد الاسلامي .

والكويت ادراكا منها لاهمية ما أنشيء حتى الآن من مؤسسات ومراكز للعناية بأموال الزكاة في عدد من الدول الاسلامية لنرجو أن يكون نتيجة اعمال هذا المؤتمر استفادة هذه المؤسسات من تجاربها ودعوة مشجعة لتعم مؤسسات الزكاة مختلف المجتمعات الاسلامية لتتولى رعاية فريضة الزكاة في هذه المجتمعات ، كما تتولى رعاية وحفظ حق مستحق الزكاة فيها .

وفي الختام فاني أشكر الاخوة اعضاء مجلس ادارة بيت الزكاة والعاملين في جهازه جهودهم في الاعداد لهذا المؤتمر وتهيئة سبل نجاحه .

وفقنا الله واياكم الى ما فيه الخير والصلاح لخدمة ديننا وأمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،



للاستاذ/ عبد الرزاق نوفل

يقول ربنا العظيم في قرآنه الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) .

١٨٣ ـ ١٨٥/سورة البقرة

وهكذا تقرر الآيات الشريفة في نصوصها الحكيمة .. الحق كل الحق وتقول الصدق كل الصدق .. إن الله سبحانه وتعالى قد كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا . واطلاق لفظ القبل .. انما يشير الى أن الصوم قد فرض على كل من هو قبل .. ويفضي هذا التسلسل في الرجوع الى الماضي والى كل من له قبل الى ان نصل الى الانسان الذي لا قبل له من

جنسه .. « وهو ادم » ويكون النص الكريم بذلك يوحي بأن آدم قد فرض الله عليه الصوم .. وبالرجوع الى آيات القرآن التي ذكرت آدم نجد ان منها النص الشريف .

﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ الأعراف/ ١٩ .

والامتناع عن الاكل من الشجرة هو صوم عنها « وهو نوع من الصوم الذي فرضه الله جل شأنه على آدم في الجنة فيما علم .. وقد يكون هناك غيره .. فالصوم اذأبدأ ببداية الانسان وهو في الجنة .. ثم فرض عليه في الارض .. ولو انه لا يعرف كيف كان يصوم الناس في بداية عهدهم على الارض . فليس كل صوم هو إمساك عن الأكل والشرب لان لفظ الصوم انما يعني الإمساك والامتناع عن قصد ونية وقد ورد في القرآن الكريم مايشير الى الصوم عن الكلام .. فقد فرض الله سبحانه وتعالى على سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام الصوم عن الكلام ثلاثة ايام وذلك بنص قول ربنا الكريم : **﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزا ﴾** سورة آل عمران/ ٤١

كما فرض الله هذا الصوم على مريم بنص الآية الشريفة :

﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلّم اليوم إنسيا ﴾ ٢٦/سورة مريم

الا ان اليهود والمسيحيين يصومون في اوقات معينة وعن اصناف محدودة وقد ورد في الكتب المتداولة من التوراة والاناجيل مايفيد ان الصوم عبادة قد فرضها الله على عباده .

ويقرر النص الكريم ان استجابة الانسان لامر الله سبحانه وتعالى بالصوم الذي فرضه عليه انما هو من سبل التقوى فالناس بالصوم يتقون .. والتقوى لها أجر كريم وثوابها عظيم .. فلو ان آدم اتقى ربه وصام عن الشجرة لبقى في الجنه حيث لا يصيبه جوع أو عري أو عطش أو حر ولا يناله التعب فيها ويبين ربنا الكريم في نص قرآنه الحكيم ما قاله وحيا لآدم أجرا عن تقواه بصومه :

﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾
١١٨ و ١١٩/سورة طه .

ولقد حدد الله لنا الصوم لمدة محدودة .. ولفترة معدودة .. أياما معلومة .. هي شهر رمضان وتحديدا لانه جل شأنه .. أنزل فيه القرآن الحكيم .. يهدي الناس به واليه .. ويبين لهم فيه ماحرّمه عليهم .. وما أحلّه لهم .. فقد فرق به بين الحق .. كل ماهو حق وبين الباطل كل ماهو باطل بين الايمان ـ اعمق الايمان وبين الضلال اي ضلال ..

وقد فرض صومه على من ادرك هذا الشهر .. مؤمنا بالله العظيم .. ورسوله الكريم مطيعا له فيما جاء بقرآنه الحكيم معافى غير مريض مقيما ليس على سفر .. وبديهي ان المجنون لا يدرك الشهر ولا يعلمه . وكذلك

الصغير لا يشهده ولا يعرفه .. وهذان لا صوم عليهما حتى يشهدا عن علم ومعرفة هذا الشهر وما فرض فيه ..

وفضلا من الله على عباده ورحمة بهم .. وتيسيرا عليهم .. وحماية لهم من المشقة وإبعادا للعسر عنهم فقد اباح للمسلم الا يصوم في مرضه .. ولا في سفره على ان يصوم بدلا من ايام افطاره بعد انتهاء ظرف مرضه .. أو سفره . يوما بعد انتهاء شهر رمضان في اي وقت اراد .. ولكن كلما سارع بقضاء ماعليه كان ذلك افضل فلا يعرف الانسان متى يحين حينه .. وذلك حتى تكتمل عدة الايام التي فرض الله صيامها ..

ومن يسر الله سبحانه وتعالى بعباده وعدم العسر بهم انه لم يحدد حالات المرض التي يباح الافطار بسببها وذلك لاختلاف قدرات الاجساد على تحمل آلام المرض وظروفه .. فالمرض الواحد .. وأقله الزكام .. تتفاوت علاماته بين الناس .. وتختلف شدته فيهم .. وأثره عليهم .. فمنهم من يقدرون عليه .. فيتحملون الصوم فيه . بل يفيدهم اذ تخف حدة العلامات المصاحبة له وتتحسن بذلك حالاتهم بما يسببه الصوم من حمية وراحة لمعظم اعضاء الجسم واجهزته وغيرهم يضيقون به اذ يصاحبه من الأعراض الشديدة مايستلزم الاستعانة بالدواء على فترات متقاربة تمنع الصوم .. وكل انسان وطاقته وقدرته على تحمل مرضه .. يحس ويعلم عن ايمان ويقين .. أيستطيع الصوم أم لا فيفطر ويقضي عنه بعد شفائه ..

وكذلك من اليسر بالانسان الا يحدد قدر السفر .. فان مشقة السفر تتعلق بوسيلة السفر . بداية من السفر على القدمين .. الى القطار المكيف ثم الطائرة النفاثة .. ومدته وهل هي ساعة .. او بعض يوم او عدة ايام .. كما تختلف من فرد الى غيره .. فمن الناس من يقلقون في سفرهم ولو كان سفرا قريبا ومنهم من يستمتعون به .. ولو كان سفرا طويلا .. والانسان واستطاعته الصوم في كل حالة وكل سفر .. فمن وجد المشقة وعدم القدرة أفطر وعليه القضاء ..

ومن ضمن مايسر الله به على الانسان ان جعل لمن لا يستطيعون الصيام ولا يتمكنون من القضاء .. كالمريض الذي لاشفاء له .. او الشيخ الذي لا عودة لطاقته .. ولا أمل في قدرته ان يقدم الانسان الفدية باطعام مسكين عن اليوم الواحد من الشهر بقدر ما يأكل واذا لم يجد فلا عليه .. فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ..

ومن يسر الله بالانسان كذلك ان يفطر من لو صام أضر الصيام بعمله .. كالجندي في قتال المعركة .. او أثر في صحة الفرد او غيره .. كالحامل .. اذ خشيت على نفسها او جنينها ... او رضيعها ..

وفي كل هذه الاحوال لا رقيب على الانسان إلا إيمانه .. الله يعلم مايظهره وما يبطنه .. ماهو عليه .. وما هو راغب فيه متجه اليه .. ما هو قصده وما هي نيته ولكل امرىء

مانوى .

هذه قطرات من بحار .. واسعة خاطفة من انوار مما يفيض به قول ربنا تبارك وتعالى من انه يريد بكم اليسر . ولا يريد بكم العسر .. أفلا نكبر الله سبحانه وقد هدانا الى ذلك ألا نشكره .. فلقد هدانا .. بالصوم الى الخير . كل الخير ..

والمتدبر للنص الكريم يجد انه اطلق الخير الذي يحقق الصوم .. وذلك ليشمل الفرد في كل نواحيه العضوية .. والنفسية .. المادية .. والروحية .. التربوية والاجتماعية .. في الدنيا والآخرة .. والمجتمع .. كل المجتمع في كافة قطاعاته .. وشتى طبقاته .. وطالبنا .. باستخدام العلم .. ودراساته العلمية .. حتى يتبين للناس بعض الخير الذي يهدف اليه الصوم .. مما يفتح الله علينا به فنعلمه .. حقا وصدقا .. وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ..

وبالرغم من هذه الدعوة الصريحة الواضحة للبحث العلمي في امر الصوم واهدافه وبالاضافة الى ما يأمرنا الله به من تدبر آيات القرآن الكريم والتدبر هو اعمق صور الدراسة وأعلى مراتب البحث بمثل النص الكريم :

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته ﴾ ٢٩/سورة ص

إلا أننا قد تأخرنا في الاستجابة الى داعي الآيات الكريمة .. واستجبنا الى مادسه الخصوم والاعداء علينا مما يناقض ويعارض ويخالف أمر قرآن ربنا العظيم .. ذلك بالا نناقش امر العبادات .. ولا نتدبرها او نفكر فيها .. فان ذلك يخرجنا عن الطاعة الكاملة والتامة الواجبة نحو العبادات وما كان ذلك منهم الا ليحجبوا عن العالم ماتحققه العبادات الاسلامية من خير للفرد في دنياه وآخرته وللمجتمع في حاضره ومستقبله .

وعندما هاجموا الصوم بأنه يعطل العمل ويعيق الانتاج .. وانه اذا كانت حكمته كما كان يشاع ويتداول بين المسلمين انه وسيلة ليحس بها الغني احساس الجوع فيعطف على الفقير فلماذا يصوم الفقير . ولماذا لا تغني صدقات الغني عن صومه ؟ فقد وضعت العبادات الاسلامية موضع البحوث العلمية .. التجريبية والمعملية العادية والاكاديمية فاذا بالعلم يقرر في حقائقه العالمية ان العبادات الاسلامية شرعت لخير الفرد وصالح المجتمع . فقد اثبتت الدراسات الطبية التي قام بها كبار الاطباء والصفوة من العلماء من كل جنس ودين ان اخطر مايصيب الانسان في حياته هو اسرافه في طعامه .. في أكله وشرابه .. وانه مهما حدد واختصر في كمياتها .. فانها تزيد على حاجته يقينا وقطعا .. مما يجعل الخطر من وجود زيادات في المواد الغذائية قائما .. ودائما .. الامر الذي لابد ان يصيب الانسان بالمرض بداية من ارهاق اجهزة الهضم .. الى زيادة المجهود على القلب والشرايين .. وارتفاع ضغط الدم . والاصابة بالبؤرات الصديدية ثم زيادة الوزن الذي يصاحبه مرض السكر . وانه لا

سبيل الى الوقاية من هذه الامراض وعلاجها إلا بمنع اسبابها وفرض الجوع المؤقت على الجسم بحيث تتحرك الاجهزة الداخلية نحو استهلاك الخلايا الضعيفة او المريضة لمواجهة الجوع ثم يعود الجسم ليبني بعد ذلك الخلايا السليمة القوية ..

وتؤكد الدراسات ان المجاعات التي كانت تجتاح العالم على فترات في العصور السابقة انما هي من وسائل الصوم الاجباري .. وهي التي حفظت الجنس البشري .. وعنها وعن الصوم يقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب و لجراحة في كتابه الانسان ذلك المجهول .

« إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة أدت دورا عظيما في بقاء الاجناس البشرية وهي وظيفة التكيف مع قلة الطعام . كان الناس في الزمان الغابر يلتزمون الصوم في بعض الاوقات وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بإرادتهم والأديان كافة لا تفتأ تدعو الناس الى وجوب الصوم وان الصوم لينظف ويبدل انسجتنا » .

وفي امريكا تجرى الابحاث العلمية على قدرة الصوم على الوقاية ومعالجة الانسان من مرض السكر .

وفي المانيا اقيمت دور الصحة والعلاج والتي تتبع في معالجتها للمرضى وحتى الاصحاء على السواء . الصوم الذي تفرضه على النزيل لفترة تزيد على عشر ساعات وتقل عن العشرين ساعة يوميا .. ثم يتناول الوجبات الخفيفة جدا .. ولابد ان يستمر هذا النظام لمدة متتابعة ومتوالية لا تقل عن ثلاثة اسابيع .. ولا تزيد عن اربعة .. اي بما يتمشى تماما ونظام الصوم الاسلامي .

روسيا التي كانت تهاجم الصوم .. وتحارب الدين .. تعترف به وتشيد بنظامه حسبما قررته ابحاث الصحة والغذاء اذ نشرت مجلة الاغذية الروسية في عددها الاول لعام ١٩٧٦ الصادر من موسكو وفي صفحة ١٩ ماترجمته الحرفية : « وأخيرا يحق التذكرة بكتاب البروفيسور نيكو لايف وينلوف « الجوع من اجل الصحة » والذي يجزم فيه بأنه لكي يتمتع كل مواطن في المدن الكبرى بالصحة يجب عليه تخليص الجسم من النفايات والمواد السامة بأن يقوم وبصفة دورية بجوع تام بالامتناع عن الطعام لمدة لا تقل عن ثلاثة اسابيع ولاتزيد عن اربعة »

لقد كتب الاطباء كل في تخصصه عن الصوم فاذا بخيره وفضله لا يشمل فقط الجهاز الهضمي وما يتصل به ـ ولا الجهاز الدوري بما يتشعب اليه بل انه يشمل امراض الجلد والعيون والعديد من مختلف الامراض التي كتب عنها ويتداولها العلماء والاطباء حاليا .

وتقرر الدراسات التربوية ان الصوم وسيلة ايجابية .. ودعوة مادية لغرس الامانة في نفس الطفل . عندما يبدأ صومه فيجد الطعام بالقرب منه والشراب في متناول يده وهو في حاجة

اليه فلا يقربه امانة منه لنفسه وربه .. وبذلك تنغرس في نفسه الامانة كما ان الصوم يخلق في الانسان الصبر . وما أشد الصبر .. وما احوج الانسان اليه .. ومن صبر على الجوع .. والعطش .. والجنس طوال يومه .. فقد هان عليه اي صبر .. آخر .. كما ان الصوم يحارب الاسراف بطريق عملي .. اذ تختصر وجبات الانسان من ثلاثة الى وجبة ونصف باعتبار ان السحور نصف وجبة .. وبذلك يتوافر للانسان من نفقته مايخرج زكاة الفطر . اذ ان الاسلام مافرض زكاة الا مما يتوافر له منها .. كما لابد من التخفيف في هذه الوجبة في الافطار .. كما ينصح الطب .. فيتحقق بذلك وفر اكبر .

اما علماء الاجتماع فقد قرروا ان الصوم بما يثيره من احساس بالجوع والعطش يحرك شعور الانسان نحو مساعدة غيره وهذا ماهو حاصل في المجتمع الاسلامي طوال شهر الصوم .. فالخير وفير .. والعطاء كثير .. والبذل محدود .. والعطف موصول ..

ولا يمكن ان ينتهي الحديث عما للصوم من فضل وما يحققه من خير للفرد في كل نواحيه .. وللمجتمع في كل قطاعاته في الدنيا .

اما في الاخرة فان للصائم جزاء طاعته لله .. اذا اطاع ما امره به في قرآنه الكريم من صوم شهر رمضان .. وبالهيئة التي اوضحها رسوله الأمين ومن اطاع الله ورسوله .. فقد فاز فوزا عظيما ..

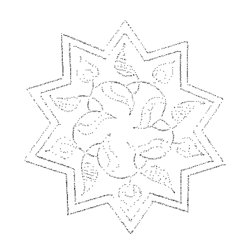
وذلك بنص قول ربنا الكريم : **﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾** ٧١ /سورة الاحزاب

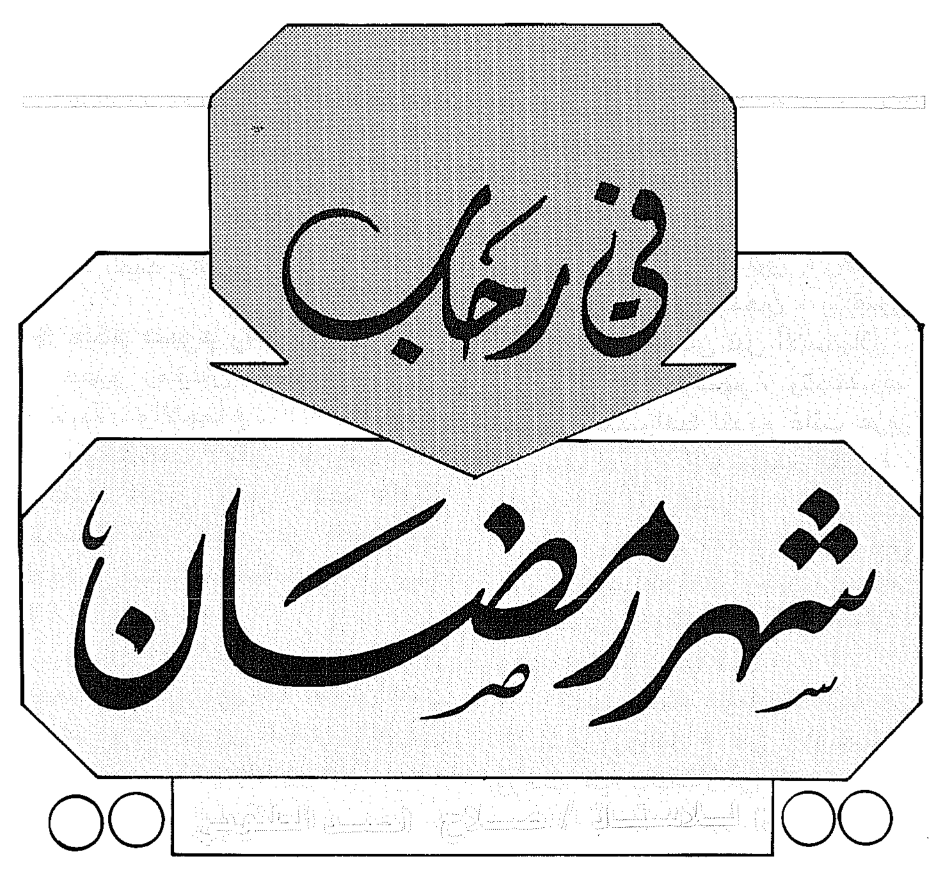
واي حديث او تخيل عن قدر هذا الفوز . فالحقيقة .. اكبر .. واعظم وكل جوع وحرمان عن الاكل .. فرضه الانسان على نفسه استجابة لداعي الله بالصوم سيعوضه الله عنه بطعام اشهى وشراب اجمل .. وعطاء افضل اذ يقول ربنا الكريم لعباده الذين صاموا في الدنيا .. وهم في الجنة : **﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾** سورة الحاقة / ٢٤

هكذا بينت الايات الكريمة التي تأمرنا بالصوم .. لفظ الخير حتى يكون عاما .. وشاملا تاما .. وكاملا .. بما لا يمكن للانسان ان يحيط بقدره ولايدري حجمه .. ولا يتخيل حدوده واذا كان هذا هو بعض الخير .. فيما نعلم .. فالله بالحق اعلم .. سبحانه وتعالى الوهاب العليم الرحمن الرحيم .. له الحمد والشكر .. وهو ما توصينا به ختام الآيات الكريمة .. اذ تقول .. لعلكم تشكرون

﴿ بل اللهَ فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ سورة الزمر/ ٦٦

صدق الله العظيم





الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

● رمضان شهر القرآن الكريم :

نزل القرآن الكريم من عندالله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا دفعة واحدة في شهر رمضان ، وبعده أخذ جبريل « عليه السلام » ينزله مفرقا بأمر الله جل جلاله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال الله جل ثناؤه : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » (آية ١٨٥ / البقرة)

وعلى المسلمين ، وهم في شهر رمضان الفضيل ان يذكروا فضل القرآن المجيد عليهم ، ويقوموا بمسئوليتهم تجاهه ، فيتلونه ويفهمونه ويحفظونه ويكونون له جنودا عاملين مخلصين . القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو المنهاج التربوي المتكامل ، والتشريع السماوي ، والقانون الالهي من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي

ربي منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان » (رواه احمد والطبراني) .

● حكم صوم رمضان :

صوم رمضان واجب بالكتاب ، والسنة ، والاجماع .

فأما الكتاب : فقول الله عز وجل : « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » (آية ١٨٣ / البقرة)

وقال الله عز وجل : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » (آية ١٨٥ ـ البقرة)

وأما السنة :

فقول النبي « صلى الله عليه وسلم » : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » (رواه البخاري عن عبدالله ابن عمر) .

وأجمعت الامة :

على وجوب صيام رمضان ، وأنه أحد اركان الاسلام ، التي علمت من الدين بالضرورة ، وأن منكره كافر مرتد عن الاسلام .

وكانت فرضيته يوم الاثنين من ليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

استقبال شهر رمضان :

كان المسلمون الاولون « رضوان الله تعالى عليهم أجمعين » يتأهبون لقدوم شهر رمضان قبل الاستهلال ، وتستبشر به نفوسهم ، وتستشرف لنظره استشرافها لقدوم غائب عزيز من سفر بعيد ، لانه موسم العبادة ، وشهر الطاعة والغفران ..

وقد روى عن الامام علي بن أبي طالب « كرم الله تعالى وجهه » أنه كان لا يستشرف لهلال الا هلال رمضان ، وكان اذا نظر اليه قال :

« اللهم أدخله علينا بالسلامة من الأسقام ، والفراغ من الأشغال ، ورضنا فيه باليسير من النوم » .

فاذا دخل الشهر أو شاهد أحد الهلال فيستحب أن يقول : « الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله ، أسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، اللهم سلمنا من رمضان وسلمه منا ، ينقضي وقد غفرت لنا ، ورحمتنا وعفوت عنا » .

خصوصيات شهر رمضان :

خص الله تبارك وتعالى الأمة الاسلامية من بين سائر الأمم بشهر رمضان المبارك ، ووفر بها حظها من الرحمة والنعمة عند القسمة ، كما خص الله تبارك وتعالى رمضان بخصال ووهبها لامة القرآن ، ولم يهبها لغيرها من الأمم .

ففي الحديث الشريف عن أبي

هريرة « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلهم : خلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، فلا يخلصوا فيه الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره ، ويزين الله - عزوجل - كل يوم جنته ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويغفر لهم في آخر ليلة قيل : يارسول الله : أهي ليلة القدر ؟قال : لا ، ولكن العامل انما يوف أجره اذا قضى عمله » . رواه احمد والبزار والبيهقي . ورواه ابو الشيخ بن حيان في (كتاب الثواب) الاانعنده « وتستغفر لهم الملائكة » بدل « الحيتان » الترغيب والترهيب ج٢ ص٢١٨ رقم الحديث ١٤٢٤ وعن ابي هريرة « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « اذا كان اول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : ياباغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة »

(رواه الترمذي وابن ماجه)

على مائدة الرسول « صلى الله عليه وسلم » في رمضان :

يقرر القرآن المجيد مبدأ الاسوة الحسنة والقدوة الطيبة لخاتم الانبياء محمد « صلوات الله وسلامه عليه » فيقول الله عز وجل : « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » (آية ٢١ / الأحزاب)

صام رسول الله « صلى الله عليه وسلم » تسع رمضانات .. وكان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي ، وكان فطره على رطبات ان وجدها ، فان لم يجدها فعلى تمرات ، فان لم يجد فعلى حسوات من ماء .

عن أنس « رضي الله عنه » قال : كان النبي « صلى الله عليه وسلم » يفطر على رطبات قبل ان يصلي ، فإن لم تكن رطبات ، فعلى تمرات ، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء » (رواه ابو داود والترمذي)

ومن سنن الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » في رمضان : السحور ، والسحور من خصائص الأمة المحمدية .. فعن أنس « رضي الله عنه » عن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : تسحروا فان في السحور بركة » (رواه البخاري ومسلم)

وكان سحور رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قريبا من الفجر فكان يفرغ منه وقد بقي على الفجر نحو عشرين دقيقة !

فعن زيد بن ثابت « رضي الله عنه » قال : « تسحرنا مع النبي « صلى الله عليه وسلم » ثم قال : إلى الصلاة ، قلت : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية . رواه الشيخان والترمذي

وكان الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » يقول عند فطره : « ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله » (رواه ابو داود والنسائي)

وكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » . (رواه ابو داود)

وكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » ، واذا رفعت المائدة من بين يديه قال : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه » رواه البخاري .

ما يتحلى به الصائم في رمضان :

كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في شهر رمضان يكثر من الاحسان وتلاوة القرآن الكريم والصلاة والاعتكاف والذكر ، وقد ورد عن ابن عباس « رضي الله عنهما » قال : كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أجود الناس ، وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله « صلى الله عليه وسلم » أجود بالخير من الريح المرسلة » (اخرجه احمد والشيخان)

وعلى الصائم ان يكف أذاه عن الناس من سب وشتم وغيبة وإيذاء .

فقد روى أبو هريرة « رضي الله عنه » ان النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » (اخرجه الجماعة الا مسلما) وعلى الصائم أن يتحرى الحلال في طعامه وشرابه ، فليس من الدين ان يصوم نهاره ليفطر على مايد[illegible] من دماء العباد ..

التقوى من ثمرات الصيام :

التقوى ثمرة الصوم ، وهي امتثال اوامر الله تبارك وتعالى ، واجتناب نواهيه .. وهي جماع كل خير في الحياة الدنيا والاخرة ..

قال الله تعالى : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ● ويرزقه من حيث لا يحتسب** » .
الطلاق / ٢ ـ ٣

وقال الله عز وجل : « **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » النحل / ١٢٨ وحسب المتقي ـ أن يحبه الله تبارك وتعالى ، قال تعالى : « **إن الله يحب المتقين** » التوبة / ٤

مواكب النصر في شهر رمضان :

شهد شهر رمضان المبارك نصرة الاسلام والجهاد والنضال ضد اعداء الله ، وأحرز العرب والمسلمون على امتداد السنين اعظم انتصاراتهم الحربية في هذا الشهر المبارك .

● في شهر رمضان بعد الهجرة النبوية كون المسلمون اول سرية مقاتلة بقيادة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبدالمطلب وسرية عبيدة بن الحارث ، وكان من أثر هذه السرايا بث الرعب في قلوب اليهود الذين

أظهروا العداء الشديد للاسلام ، وكان من أثرها أيضا : رفع المعنويات للمسلمين واقبالهم على الجهاد والقتال .

● في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة النبوية وقعت معركة بدر الكبرى وانتصر المؤمنون على قوات الكفر المشركة ..

● في شهر رمضان من السنة الخامسة للهجرة النبوية كان استعداد المسلمين لغزوة « الخندق » بعد ان حرض اليهود قريشا والقبائل لشن حرب ضد المسلمين ، وقد وقعت هذه الغزوة في شوال من نفس العام ، وانسحبت الأحزاب وقريش من حصار المدينة بعد أن عصفت بهم ريح أوقعت في قلوبهم الرعب ..

● في شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة النبوية واصل المسلمون الجهاد في سلسلة من السرايا .. منها سرية عكاشة بن محصن ، وسرية أبي عبيدة بن الجراح .. وسرية زيد ابن حارثة التي قاتلت بني فزارة الذين انضموا الى قريش في غزوة الخندق .

● في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة الشريفة أنعم الله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة ، وفي نفس هذا العام بعث المصطفى « عليه الصلاة والسلام » بعدة سرايا لهدم الاصنام ، فكانت سرية خالد بن الوليد لهدم العزى ، وسرية عمرو بن العاص لهدم سواع ، وسرية سعد بن زيد لهدم مناة ..

● في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة النبوية احتفل المسلمون بعودة الجيش الاسلامي المنتصر في « تبوك » حيث حققت المعركة أغراضها وأظهرت قوة الاسلام ..

● في شهر رمضان من السنة الثالثة والخمسين للهجرة فتح العرب جزيرة رودس .

● في شهر رمضان من السنة الواحدة والتسعين للهجرة نزلت جيوش المسلمين الى الشاطىء الجنوبي لبلاد الاندلس .

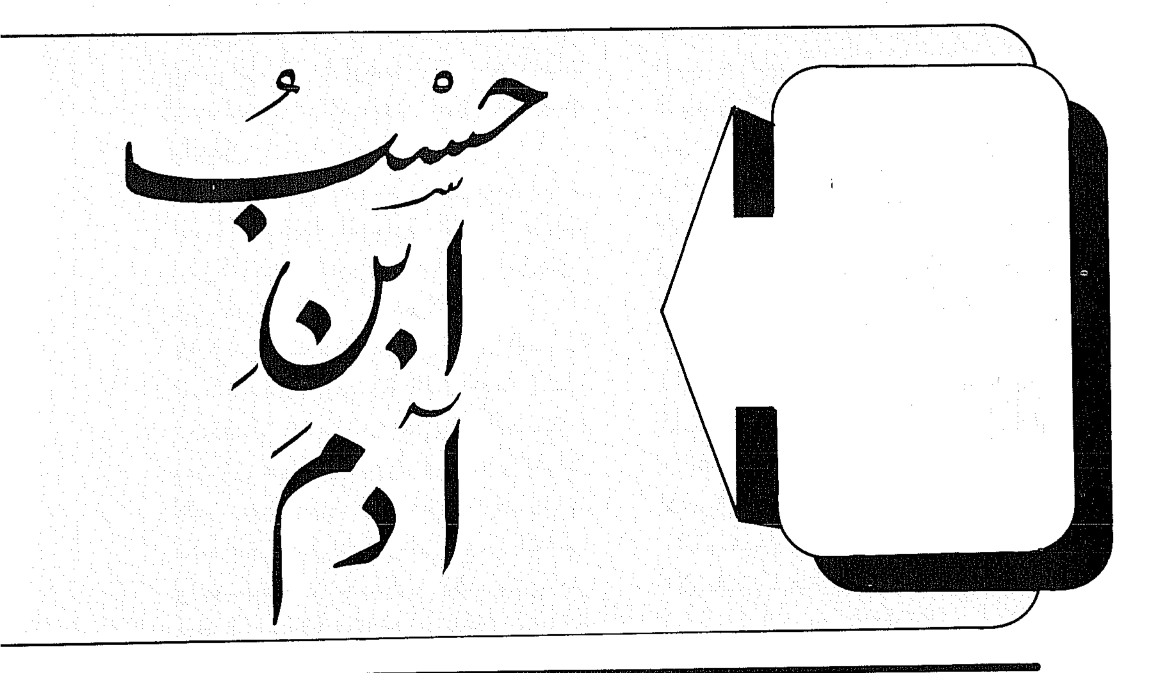
● وفي شهر رمضان من السنة الثانية والتسعين للهجرة انتصر الفاتح الاسلامي طارق بن زياد على الملك فردريك في معركة فاصلة .

● في شهر رمضان سنة ٤٧٩هـ كان انتصار المسلمين على الافرنج في معركة « الزلاقة » بالاندلس .

● في شهر رمضان سنة ٥٨٤هـ استرد البطل الاسلامي المجاهد صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين معظم البلاد التي استولوا عليها في فلسطين .

● في شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ انتصر الجيش الاسلامي على الجيش التتري في عين جالوت ..

● في العاشر من شهر رمضان سنة ١٣٩٣هـ انتصر الجيش الاسلامي على العدو الغاصب ، وعبرت القوات المؤمنة ـ مهللة مكبرة ـ قناة السويس الى سيناء ، « **وما النصر الا من عندالله** » آل عمران / ١٢٦ « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » الروم / ٤٧ .

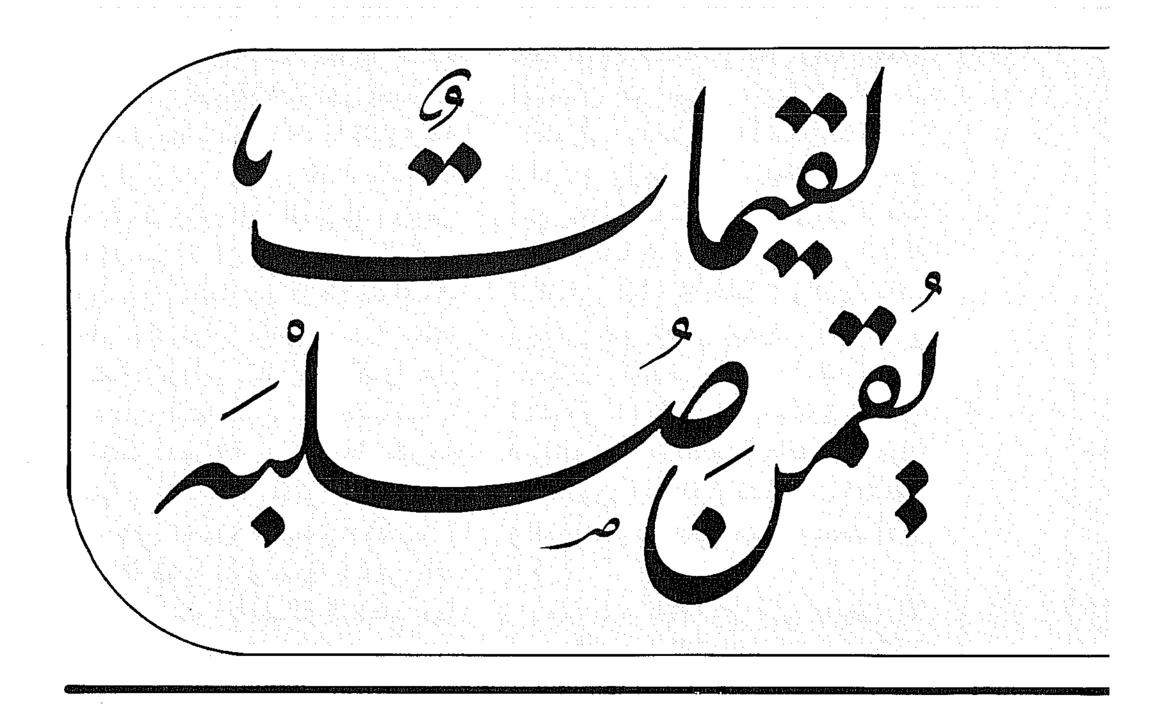


عن المقدام بن معد يكرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » . رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه .

تعسا للمرض ، ووقانا الله شره ! كم أحنى رءوسا ، وأرق جنوبا ، وأدمى قلوبا ، وأقعد عتاة ! ما أقبح وجهه ، وأثقل ظله ، وما أشد وطأته ، وأقسى ضجعته ! إنه أحد أعداء ثلاثة ابتليت بها البشرية في هذه الحياة . وقصته مع الانسان قديمة مرتبطة بوجوده على هذه الأرض ، والمعركة بينهما طويلة وشرسة ، وهي ما تزال قائمة ، وستظل ، فقد حاصر الانسان منذ نشأته ، وطارده طول رحلته ، وهاجمه في غير هوادة ولا رحمة ، وجرعه من كئوس الأسى ألوانا وألوانا ، وأذاقه من الهم ما الله به عليم .

وتحداه الانسان ولم يستسلم ، وكان صراعه معه قاسيا ومريرا ، ففكر وقدر ، وحاول وكرر ، وجرب وطور ، واستطاع بقدر وشيئا فشيئا أن يوقف من زحفه ، ويحد من غائلته ، ويخفف من آلامه .. وبعد تجارب الأيام والسنين ، وكفاح العلماء مع العقاقير والمخابير اهتدى الى الدواء بتوفيق من الله .

وجاء العصر الحديث بآلاته ومخترعاته ، وجاءت معه مشكلاته وصراعاته ومادياته فلم يستطع أن يحقق للانسان سعادته ، أو يوفر له



للأستاذ/محمد محمد حلاوة

أمنه وراحته ، وظهر ما يسمى بأمراض العصر : القلق ، والكبت ، والخوف ، والجبن ، والتوتر ، والوهم ، وغير ذلك من الأمراض . آلاف من (الفيروسات والميكروبات) تحاصر الانسان وتتربص به ، ومثلها من الأمراض تصيبه أو يمكن أن تصيبه ، فمازال بعضها لم يكتشف حتى اليوم .

وبالمشاهدة العادية لعيادات الأطباء على اختلافها تطالعنا الحقائق الآتية :

باستثناء عيادات الجراحة والعظام وأمراض النساء والولادة فان عيادات الأمراض الباطنية وأمراض القلب على كثرتها تأتي دائما في مقدمة العيادات التي تزدحم بمرضاها ، وتفتح نهارا وليلا ، لا فرق في ذلك بين صيف وشتاء ، وربيع وخريف (في حين أن بقية العيادات الأخرى بعضها يغلق أبوابه ليلا ، ومنها ما يقل رواده بدرجة ملحوظة ، ومنها ما يتذبذب عدد المترددين عليه من وقت الى آخر ، أو بالأدق من موسم الى آخر . وتلك ظاهرة ـ فيما أظن ـ تكاد تنتظم كل عيادات الأطباء في بلادنا الشرقية .

وبالرجوع الى شركات الأدوية

المختلفة نجد أن ما تنتجه هذه الشركات من أدوية للأمراض الباطنية وما يتصل بها يعادل ثلث ما تنتجه كله تقريبا أو يزيد ، والأمر كذلك بالنسبة للصيدليات وشركات التوزيع ، وليس لذلك تفسير إلا أن البطن بيت الداء .

ويجمع الأطباء على أن الاسراف في الطعام والشراب يضر ضررا بالغا بالصحة ، ويؤثر تأثيرا مباشرا على الجهاز الهضمي وملحقاته ، وأمراضه معروفة ، وآلامها مبرحة وقاسية ، كما أنه يؤثر تأثيرا غير مباشر على اجهزة الجسم الأخرى ، وله علاقة قوية بأمراضها ، حتى تلك التي يظن أنه لا صلة للطعام بها كالجراحة .

نستطيع أن نجزم الآن أن الاسراف في الطعام والشراب له علاقة وثيقة مباشرة أو غير مباشرة بكثير من الأمراض . وإذا فلنحن رءوسنا إجلالا وإكبارا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » فقد هدانا معلم الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو النبي الأمي إلى أصل الطب كله ، ووضع أيدينا على أنجع علاج لأخطر المشكلات الثلاثة التي دوخت العالم ، وأضنت البشرية ، وحيرت العقول ، دون أن يكلفنا ذلك شيئا إلا عزيمة صادقة ، ونفسا قوية ، وغريزة سوية .

فها هو ذا صلوات الله وسلامه عليه يبين لنا أن شر وعاء يملؤه الانسان هو البطن ، يملؤه بالطعام والشراب ، ذلك لأن الانسان لا يعيش ليأكل ، وإنما يأكل ليعيش ، وفرق كبير بين الحالتين ، فالأكل في الحالة الأولى غاية لا وسيلة ، وهو في الحالة الثانية وسيلة لا غاية ، والذي يأكل ليعيش هو الذي يعرف هدفه في الحياة ، وهدف الحياة منه .. هو الانسان ، اما الذين يعيشون ليأكلوا فأولئك هم الأنعام: **﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾** سورة محمد الآية ١٢ .

ولا يلزم الانسان لكي يعيش إلا قدر قليل من الطعام « لقيمات يقمن صلبه » فما زاد على ذلك فلا حاجة للجسم به ، ولا فائدة منه ، بل يلحق به الأذى ، ويجره إلى متاعب وآلام كثيرة قد تنتهي به إلى ما لا تحمد عقباه .

ولما كان هذا القليل من الطعام قد لا نتفق على مقداره وتحديده ، ولما كانت سورة البطن تتفاوت من شخص إلى آخر ، ومن بيئة إلى بيئة ، ولما كانت الحالات تختلف من واحدة إلى أخرى فقد وضع ذلك كله في الاعتبار ، وحسب له أدق حساب « فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » أي فإذا كان الأمر يحتم أكثر من اللقيمات التي تقيم الصلب فلا بأس ، ولكن حذار أن يصل ذلك إلى حد يرهق معدتك ، ويثقل جسمك وأمعاءك ، ويضغط على صدرك وقلبك ، فتلهث انفاسك ،

وتسرع دقاتك ، وتتدلى أجفانك ، ويسلمك ذلك إلى الرقاد والكسل ، ويطمس على قلبك وعقلك .. ثم ينتهي بك إلى الحيوانية .

وأعتقد أنه ليس من فضول القول أن نورد هنا بعض ما أثر من كلام السابقين في مدح الاقلال من الطعام والشراب ، والثمرات التي نجنيها من ورائه ، وذم الاكثار من الطعام والشراب ، والمضار الناتجة عنه .

قال لقمان عليه السلام يعظ ابنه : « **يابني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة** » وقال الحارث ابن كلدة طبيب العرب : « **الذي قتل البرية ، وأهلك السباع في البرية إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام** » وقال ابن أبي ماسويه عندما قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ، ولتعطلت دكاكين الصيادلة » وعن الحسن رضي الله عنه قال : « والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ، ولو شاء لأكله فيقول : والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله » وقال ابراهيم ابن أدهم : « من ضبط بطنه ضبط دينه ، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة » وذكر أبو سليمان الداراني ست آفات للشبع قال : « **الأولى** فقد حلاوة المناجاة . **الثانية** تعذر حفظ الحكمة **الثالثة** حرمان الشفقة على الخلق . **الرابعة** ثقل العبادة ، **الخامسة** زيادة الشهوات . **السادسة** ان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباع يدورون حول المزابل » ، ولاحد الصالحين وهو يعدد فوائد الجوع ومضار الشبع : « وبه (أي الجوع) صفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة ، فان الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معاون الفكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ، وعن سرعة الادراك ، بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، وصار بطيء الفهم والادراك » .

ومهما يكن من أمر فمن المسلم به أن الانسان يصفو قلبه ، وتسمو روحه ، وترق مشاعره ، وينشط جسمه ، وتخف حركته ، وتنكسر شهوته ، ويصح بدنه ، وتستقيم حياته إذا قلل من الطعام ، ويعمي قلبه ، وتظلم روحه ، ويتبلد ذهنه ، وتقسو مشاعره ، ويثقل جسمه ، وتضعف حركته ، وتطغى شهوته ، ويعتل بدنه ، وتتعثر حياته إذا أفرط في الطعام .

وقد تشدد بعض العلماء ولا سيما الصالحين منهم في تحديد القدر الذي يقيم صلب الانسان من الطعام والشراب ، وروى عنهم في ذلك حكايات وأقوال كثيرة لا تخلو من مبالغات أحيانا ، وقد لا يستريح لها العقل أحيانا أخرى .

وباستثناء الزهاد والعباد ومن اختصهم الله بروح من عنده نقول : إن الانسان كالآلة ، ولكي يتحرك

تلزمه الطاقة ، والطاقة في حاجة إلى وقود ، والوقود لابد أن يكون كافيا ، وعلى درجة عالية من الكفاءة . وإذا كان الشبع يقتل الهمة ، ويضعف النشاط فإن الاقلال من الطعام عن القدر اللازم يوهن الجسم ، ويورث العلة ، ولاسيما في عصر أصبح طلاب العيش فيه في سباق رهيب مع رغيف الخبـز فضلا عن مطـالب الحياة الأخرى ، وما أكثرها وأثقلها ، ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقيمات بقوله « يقمن صلبه » وهو وصف من الدقة بمكان ، وقد يخفى مغزاه على الكثيرين ، فكلمة « تقيم » نفسهـا لا يمكن أن تؤدي هـذه الوظيفة ، وللصلب خاصة إلا إذا كانت مشحونة بشحنة من الزاد عالية وكافية ، واحتاط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لا تكفيه اللقيمات على النحـو السـابق فهنـاك المـرضى ، والضعاف ، ومن يزاولون مجهودات شاقة ، ومن يضعفون أمام شهواتهم فقال صلى الله عليه وسلم : « فإن كان لا محـالـة فثلث لطعـامـه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه .. ليسد كل ثغرة على هذه الحكمة الغالية التي لو عـودلت بكل مـا بـاعتـه وتبيعـه الصيدليات وشركات الأدوية في العالم كله من نشأتها وحتى تقوم القيامة لرجحته .

ومع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نستلهم بعض روائعه .

« ما ملأ ابن آدم وعـاء شرا من بطنه » .

تعبير يجمع بين الابداع والاحكام والجمال ، نتبين ذلك في استخدام ما النافية ، وتصدير الجملة بها ، وفي حسن اختيار الكلمات ، وفي دقـة الصياغة ، وفي روعة التشبيه .

« بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه » .

الباء في بحسب تأتي في موقعها لتؤكد كفاية القليل ، وكلمة حسب نفسها تسمع فيها رنة القطع ، ونبرة التنبيه والتحذير ، والكناية في ابن آدم كناية لطيفة نستشف منها الاشفاق والحنو على بني الانسـان ، ولقمه وتصغيرها « لقيمات » ويقمن صلبه تحمل من الدلالات القوية ما بعضه واضح قريب ، وما بعضه خفي بعيد .

« فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

استعمال كلمة لا محالة تدل على حتمية الزيادة ، والتقسيم في ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه والذي يجرى على الصورة الحسابية يراد به توضيح المعنى وتقريبه إلى الأذهـان ، ويـوحـي بـالضبط ، والانتظام ، والاعتدال ، والحـذر ، ومعان أخرى .

ألا ما أبعد الفرق ، وأوسع الشقة بين الواقع الذي نعيش فيه ، وبين ما يدعو إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين ما يجب أن يكون ، وبين ما هو كائن !! فكم لونا وكم صنفا من الطعام يقدم على موائدنا ؟! وبكم طريقة يعد ؟! وأي كمية نتناول ؟! وكيف نـأكـل ؟! وكم من الطعـام يبقى ؟! وإلى أين يصير ؟!

سلـوا الأطبـاق والأوانـي

والأكواب .

. بل سلوا أنفسكم

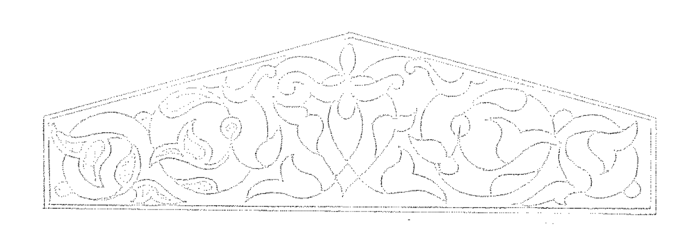
أنتم أيها الناس .. سلوا أيديكم وأفواهكم وجيوبكم ..

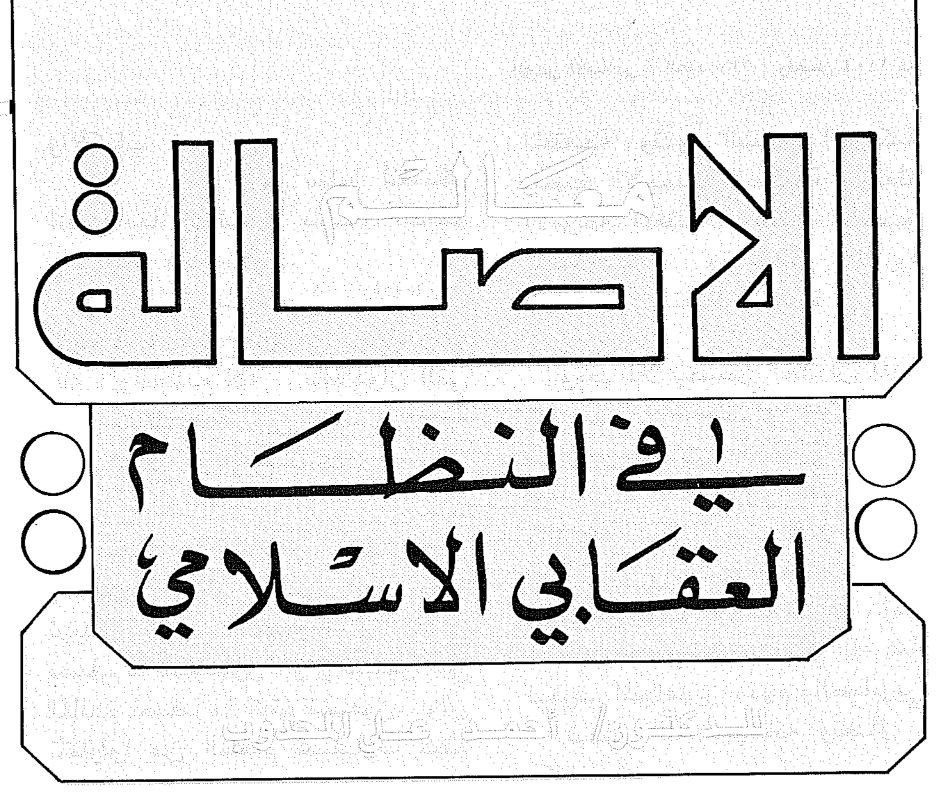
وهل رأيت ما يقدم في حفلاتنا وفي ولائمنا !! البذخ كله ، والاسراف كله ، والجشع كله .. ياللأموال التي تنفق ! والصحة التي تهدر ! والنعمة التي تكفر ! ياللظلم المبين !

أفيقوا أيها المسلمون ، وفكروا أن تشتروا نصف الكمية التي كنتم تريدون ، وأن تنضجوا في القدور نصف ما تنضجون ، وأن تضعوا على المائدة نصف ما كنتم تضعون ، وأن تتناولوا من الطعام نصف ما كنتم تتناولون .. افعلوا وجربوا شهرا واحدا ، واجمعوا ملاحظاتكم ، وسجلوا نتائجكم .. ستخف الكروش المنتفخة ، وتذوب الشحوم المتراكمة ، وتصح الأجسام السقيمة ، وتعتدل الأمزجة المعتلة ، وتمتلىء الجيوب الفارغة ، وتستيقظ الأرواح الهامدة .. ستنتظم الحياة .

وبعد فلا يحسبن أحد أن المرض كله محنة خالصة أو شر محض ، فبالمرض اهتدى الانسان إلى ربه ، فرنا إلى السماء ، ورفع أكف الضراعة والرجاء ، وبالمرض أقر الانسان بعجزه ، واعترف بقدرة الله ، وبالمرض عرف للصحة قدرها ، وشكر الله عليها ، وبالمرض ابتلى الله عباده ليعرف المجاهدين منهم والصابرين .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكفينا شره ، ويهبنا خيره ، وأن يلهمنا السداد والصواب ! والله أعلم .





أوضحنا في مقال سبق نشره بعدد شوال ١٤٠٣ هـ أن التشابه بين بعض الأحكام المتعلقة بالعقوبات في الشريعة الاسلامية وبين نظيراتها في الشرائع السابقة عليها، لا ينفي عن هذه الأحكام صفة الأصالة ولا يثبت شيئا مما زعمه أعداء الاسلام الذين كشفوا بقولهم هذا عن سطحيتهم وبعدهم عن الموضوعية لأنهم لم يحاولوا أن يسبروا غور الموضوع ويتعمقوا في دراسته.

وفي هذا المقال سنبين أن معالم الأصالة في النظام العقابي الاسلامي تبدو أوضح ما تكون لا في النطاق الذي حصر أعداء الاسلام اتهامهم فيه وهو الحدود والقصاص وهي التي لم تعد تطبق في الغالبية العظمى من الدول التي تدين شعوبها بالاسلام، ولكن في خارج هذا النطاق وعلى وجه التحديد فيما يسمى بالعقوبات التعزيرية التي تعد نظاما إسلاميا خالصا نشأ في الدولة الاسلامية الأولى وتأثر في تطوره بما طرأ على المجتمع الاسلامي من تغيرات وإذا كانت قوانين العقوبات أو قوانين الجزاء المطبقة في كل دول العالم تعتمد سلب الحرية كعقوبة أساسية توقع على مرتكبي الغالبية العظمى من الجرائم في صورة الايداع في السجن لمدد تتفاوت في الطول فان هذه العقوبة لم يكن لها وجود قبل قيام الدولة الاسلامية وما ذكر فيما خلفه لنا الأقدمون - من آثار بشأن السجن لا يتضمن أي معنى يدل من قريب أو من بعيد على أن الايداع في السجن كان على سبيل

العقاب ، وإنما كان من قبيل ما نسميه الآن الحبس الاحتياطي أو التوقيف ، وهو عادة إجراء يسبق المحاكمة ويقصد به وضع المتهم بحيث يكون في متناول الدولة أو القضاء فلا يهرب أو يؤثر في شهود الواقعة أو في الادلة المتعلقة بها ، أو حتى بقصد حمايته من أي اعتداء قد يصيبه من المجني عليه أو من أقاربه انتقاما منه ، وهي نفس الأسباب التي يستند إليها نظام الحبس الاحتياطي أو التوقيف في القوانين الحالية . أما الايداع في السجن كعقوبة لها أركان وشروط وغير ذلك فإن الدول التي قامت قبل الاسلام لم تعرفه فمن يقرأ ما عثر عليه من قوانين كانت مطبقة في المجتمعات القديمة لا يصادف في كل ما تضمنته من نصوص أي إشارة إلى عقوبة تسمى الحبس أو السجن وإنما يجد أن العقوبات كلها بدنية وقد تتبعها عقوبات مالية كالمصادرة أو الغرامة أو الاتلاف . كذلك كانت هناك عقوبة أخرى هي عقوبة الطرد من الجماعة أو النفي وبمقتضاها تتخلى الجماعة عن الجاني وتحرمه من الانتماء إليها فيصبح مهدر الدم ولكنها كما هو واضح ليست حبسا ولا هي من قبيله وما ذكر في سورة يوسف يدل بوضوح على أن الايداع في السجن لم يكن عقابا وإنما كان حبسا احتياطيا أو توقيفا ، فالرجلان اللذان التقى بهما النبي يوسف عليه السلام لم يكونا قد حوكما وأدينا وإنما كانا ينتظران المحاكمة ، ولذلك فان ما تنبأ به لهما يوسف عليه السلام كان هو الحكم الذي صدر بحقهما ، فقد أطلق سراح أحدهما بعد أن ثبتت براءته بينما عوقب الآخر بالاعدام بعد ثبوت إدانته . كذلك الحال بالنسبة ليوسف نفسه فإنه لم يحكم عليه بالسجن وإنما أودع به حتى يتبين الملك أمره ، فلما ثبتت له براءته مما نسب إليه ، أطلق سراحه وقربه إليه .

وقد تبين من الدراسات التاريخية لنشأة العقوبات وتطورها أن فرضها ، أي العقوبات لم يكن من فراغ أو على غير أساس فالمعروف أن العقوبة إنما هي جزاء يوقع على الجاني الذي ثبت ارتكابه لجرم ، وهذا الجزاء له أهداف ، ومن ثم فان نوع الجزاء وأسلوب تنفيذه ينبغي أن يكونا بحيث يحققان تلك الأهداف وإلا فان الجزاء يفقد أثره ، بل يؤدي إلى عكس النتائج المرجوة منه وبغض النظر عما يقال اليوم من أن العقوبة يجب أن تهدف إلى إصلاح المحكوم عليه وإعادة تأهيله لكي يعود مرة أخرى عضوا نافعا في الجماعة ، فإن هناك هدفا يرمي المجتمع إلى بلوغه بالعقوبة وهو الايلام ، أي جعل الجاني يشعر بقدر من الألم نظير اللذة التي حققتها له الجريمة وهذا الهدف ، أي الايلام ، سيظل محل اعتبار الجماعات مهما قيل من وجوب تخليص العقوبات من أي قدر من الألم ولو كان ضئيلا وإلا فما معنى أن تكون هناك عقوبة أو جزاء ؟

وإذا نحن أعملنا النظر في النظم العقابية على اختلافها ومنذ قيام الدول وإلى الآن فسوف نلاحظ أن العقوبات

كانت ولا تزال توجه إلى حق من حقوق الفرد ، فالمشرع يهدف إلى المساس بأحد هذه الحقوق تحقيقا لعنصر الايلام الذي يقابل ما حصل عليه الجاني من متعة ، فالعقوبة إذن تعمل على إعادة التوازن بين ما للمجني عليه وما للجاني من حقوق سبق أن أخلت بها الجريمة ومما لا شك فيه أن هذا التوازن يعود كاملا إذا أصابت العقوبة حقا للجاني يماثل ما كان للمجني عليه من حق إصابته الجريمة وهذه هي العدالة المثلى من ذلك أن نفقأ عين الجاني كما فقأ عين المجني عليه أو نقطع يده أو لسانه أو أذنه أو غير ذلك مما أصابته الجريمة في المجني عليه . وكلها تدخل في نطاق ما يسمى بحق الشخص في سلامة جسمه . أما حقه في الحياة فانه يفقده مقابل إزهاقه لروح المجني عليه وهكذا فان تعذر المساس بحق للجاني مماثل لحق المجني عليه الذي انتقصته الجريمة أو سلبته تماما ، فإن العقوبة تتجه إلى حق آخر للجاني فتمس به تحقيقا للغاية المنشودة وهي إعادة التوازن إلى الحقوق التي للأفراد أو التي للجماعة ومن ثم فإنه لا يتصور النص على عقوبة تمس حقا لا وجود له وإلا كانت عبثا .

وقبل الاسلام لم يكن للانسان من الحقوق إلا حقه في الحياة وحقه في سلامة جسمه وحقه في ملكية الاموال الثابتة والمنقولة كالأرض والماشية والمسكن والنقود ومع ذلك فان الحق في الملكية لم يكن شائعا أو عاما وإنما كان قاصرا على عدد قليل من الناس هم الحكام والزعماء وأعوانهم ، أما الغالبية العظمى من الناس فكانوا لا يملكون إلا أنفسهم فقط فهم عبيد أو أتباع أو أقنان ، ولذلك فإن حبسهم أو سجنهم لم يكن يسبب لهم ألما بل لعل العكس هو الصحيح فربما وجدوا فيه فرصة للافلات من المعاناة والتخلص من العذاب والهوان واستغلال الاقوياء والأغنياء لهم . كذلك فان هؤلاء لم يكونوا ليرضوا بحبس عبيدهم أو أتباعهم لأن ذلك من شأنه أن يحرمهم من جهدهم وثمرة أعمالهم ، وبطبيعة الحال فإن الأغنياء وأصحاب السلطة لم يكونوا يعاقبون ولذلك كانت العقوبات كلها بدنية فقطع اليد لم يكن يقتصر على السرقة فقط وكذلك الاعدام لم يكن يقتصر على قتل النفس أو الزنا فقط .

وبظهور الاسلام ظهر حق جديد لا عهد للبشرية به هو الحق في الحرية ، والمقصود بالحرية ليس حرية الحركة فقط وإنما حرية الاعتقاد وحرية الكلام والتعبير وحرية الفكر وبحلول مبدأ العبودية لله الواحد زالت أو كادت عبودية الفرد لغيره ، ودعم مبدأ الحرية مبدأ المساواة فالناس سواسية كأسنان المشط وكلكم من آدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهكذا أصبح الناس سواء أمام القانون ، لا فرق بين أمير وحقير ، ولا بين غني وفقير ، لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ، كذلك دعم المبدأين مبدأ ثالث هو الأمن للجميع ، فالمسلم ، من سلم الناس من لسانه ويده ، ولا يؤمن

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

وهكذا أصبح المسلم أينما كان يملك حريته التي أصبحت حقا ثابتا له يضاف إلى الحقوق الأخرى ، وأصبح المساس بهذا الحق محققا للايلام المقصود . وفي ذلك الوقت لم يكن الانسان في أي مكان آخر من العالم المعروف حينئذ يتمتع بحريته ، بل كانت الغالبية العظمى من أقنان الأرض يباعون معها ، فيملكهم المالك كمايملكها ويتصرف فيهم كما يتصرف في بهائمها وآلاتها ويملك عليهم حق الحياة .

بل ويشارك الزوج زوجته ويأخذ لنفسه الحق في أن يكون أول رجل يضاجع العروس وهو ما كان يسمى بحق « القفزة الاولى » وغير ذلك الكثير مما تمتلىء به كتب التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى التي ذكرت فيما ذكرته أن إقبال الناس على الالتحاق بالجيوش الصليبية التي وجهها زعماء الكنيسة الكاثوليكية في روما لمحاربة المسلمين لم يكن بدافع من إيمانهم أو من قبيل الحماس للدعوة إلى حرب المسلمين ، وإنما كانت بقصد التخلص من وضعهم المزري كأقنان للأرض وعبيد للأمراء وكبار رجال الدين ولذلك نلاحظ أنه بينما لم يبدأ تطبيق عقوبة الحبس في أوربا إلا بعد الثورة الصناعية التي قضت على هذه الأوضاع وبالتالي ردت للانسان الأوربي حريته ، فان هذه العقوبة ظهرت في الدولة الاسلامية منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) أي أن الفرق الزمني بين الأمرين يزيد على أحد عشر قرنا هي في الواقع الفرق بين تاريخ حصول الانسان على حريته في كلا المجتمعين .

ولم يكن فرض عقوبة الحبس عملا تحكميا أو تصرفا عشوائيا من هذه التصرفات ، التي يقدم عليها بعض الحكام ذوي السلطة المطلقة أو تعبيرا عن رغبة أو بدافع من هوى طبقة اجتماعية أو فئة من أصحاب المصالح المتميزة ، وإنما كان تطويرا صحيحا وسليما لنظام كان قائما في المجتمع الاسلامي الأول بمقتضاه يعهد بالمدين إلى الدائن ليحرسه حتى يستوفي منه دينه ، وكان المدين يمسى أسيرا ففي رواية « أبو داود » وابن ماجة عن الهرماس بن حبيب عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي فقال لي : الزمه . ثم قال : يا أخا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك ؟ وفي رواية ابن ماجة ثم مر بي آخر النهار فقال : ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم وكان عليه الصلاة والسلام يوصيه بالأسير خيرا كلما مر به . وهكذا كان الحال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان المجتمع الاسلامي صغيرا والجرائم قليلة ، بل نادرة . فلما زاد عدد المسلمين واتسعت دولتهم بما فتحوه من مدن كانت لفارس وبيزنطة وشرع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إقامة دعائم الدولة الاسلامية الفتية وتنظيم أمور المجتمع الاسلامي الكبير لم يكن بد من قيام الحكومة الاسلامية بأمور كانت من قبل مما يعهد به إلى الأفراد

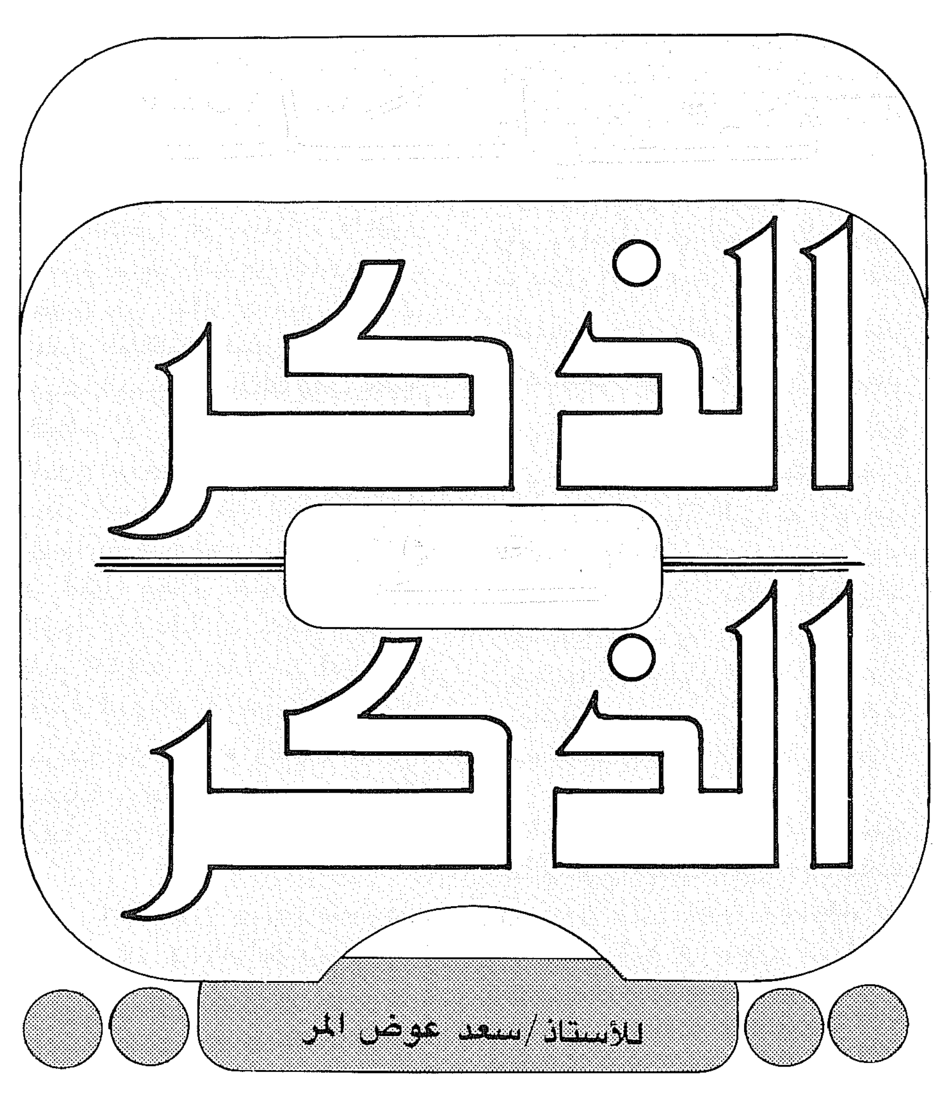
بصفة استثنائية ومؤقتة ، ومن هذه الامور تنفيذ العقوبات الصادرة بحق من ثبت جرمه . من ذلك ما فعله عمر ابن الخطاب بالنسبة لعقوبة الجلد ، فبينما كانت هذه العقوبة تنفذ بطريقة عشوائية وغير منظمة حيث كان الناس يجتمعون على من ثبت جرمه كشارب الخمر مثلا فيضربونه كيفما اتفق بالأيدي والنعال أو بأطراف الثياب إلى أن يستوفوا الحد ، فان عمر ألغى هذه الطريقة واختار سوطا له مواصفات معينة ليكون أداة لتنفيذ عقوبة الجلد ، وعهد إلى شخص واحد بتنفيذ الجلد وألزمه بأن تكون الضربات في أماكن معينة من جسم المحكوم عليه دون غيرها . وكما فعل في الجلد ، فعل في الحبس أو الأسر كما كان يسمى . فلم يكن من المتصور وقد قامت الحكومة الاسلامية أن تعهد بالمذنبين أو حتى المدينين إلى أشخاص يحرسونهم حتى ولو كانوا الدائنين ، لما في ذلك من احتمال إساءة هؤلاء الأشخاص إلى أسراهم ، خاصة وقد دخل في الاسلام أناس لم يكونوا على درجة من التقوى والالتزام بمبادىء الدين مماثلة لما كان عليه صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك بادر الخليفة الثاني إلى شراء دار في المدينة اتخذ منها سجنا يودع فيه المدينين المماطلين والأشخاص الذين ارتكبوا جرائم تعزيرية ، فأصبح هؤلاء بذلك تحت إشراف الحكومة الاسلامية وفي رعايتها تلتزم إزاءهم بتعاليم الدين فلا تنتقص حقا من حقوقهم الطبيعية ، فيما عدا تقيد حركتهم بحيث لا يتمكنون من ارتكاب جرم جديد أو يستمرون في مماطلة دائنيهم . وقد حبس عمر بن الخطاب الشاعر الحطيئة عندما . عاد إلى شرب الخمر وكان قد جلده ونهاه عن العودة إليها . كذلك سجن غيره تعزيرا وأسوة بعمر قام الولاة في الأقاليم الاسلامية بإنشاء السجون وأودعوا بها المذنبين سواء من الموقوفين : « المحبوسين احتياطيا » أو من المحكوم عليهم وكانت الحكومة تتكفل بتقديم الطعام والشراب والكساء والدواء للمسجونين الذين ليس لهم مال ينفقون منه على أنفسهم أما غيرهم من المسجونين فانهم كانوا ينفقون على أنفسهم من مالهم الخاص وهذا وضع عادل إذ لا يتصور أن تتحمل الحكومة بأعباء إعالتهم وهم الذين أساءوا إلى المجتمع بجرمهم فكأنها باعالتها لهم تخسر مرتين : مرة عندما تحملت مضار الجريمة ، والأخرى عندما تنفق عليهم من مال المسلمين ومن معالم أصالة نظام العقوبة في الاسلام ما تتضمنه عقوبة الحبس من شروط إسلامية الطابع ، مثل التفرقة بين الذكور والاناث في الحبس ، بحيث لا يحبس الرجال مع النساء كما كان يحدث في أوربا وأمريكا حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر طبقا لما ذكره « دونالد تافت » في كتاب « مبحث الجريمة » لأن الاسلام يحرم اختلاء المسلم بالمرأة الاجنبية وما في حكمها كذلك كان من غير المسموح به حبس الصغار مع الكبار منعا لما قد يتعرض له الصغار من

فساد .

وقد سبق أن ذكرنا أن الحبس كان يقتصر على تقييد حركة السجناء فقط دون أي مساس آخر بأي حق من حقوقهم وقد اشترط الفقهاء ألا تزيد مدة الحبس على سنة ، واعتبر بعضهم الحبس أشد من الضرب لما في الحبس من إنكار لآدمية الانسان وإهدار لطاقاته وانحراف بها عن وجهتها الصحيحة ، لذلك ذهب غالبية الفقهاء إلى جواز التقاء السجين المتزوج بزوجته في مكان معد لذلك داخل السجن ، مع اشتراط قبول الزوجة بالمجيء إليه ، وذهب بعضهم إلى القول بجواز سجن الزوج مع الزوجة إذا كانا قد عوقبا بالسجن لجرم اقترفاه ، وهذا من قبيل درء الفساد الذي قد يقع فيه الزوج نتيجة لحرمانه من إشباع رغبته الجنسية ولحماية زوجته من الانحراف أثناء غيابه عنها ،

كذلك كان يسمح للمسجون الذي يرغب في القراءة بإحضار ما يشاء من الكتب لقراءتها ، أما غيره من المسجونين الذين ليس لديهم ما يشغلون به وقت فراغهم ، فقد كانوا يكلفون ببعض الأعمال البسيطة ، مثل نسج التكك وصنع السلال أو غير ذلك وهو ما يعد أساسا للسياسة التي تتبعها المؤسسات العقابية الحديثة في تشغيل المسجونين وتعليمهم بعض الحرف التي تدر عليهم دخلا بعد أن يغادروا السجون . ومن يقرأ تاريخ السجون في الدولة الاسلامية يلاحظ أن هذه المؤسسات شأنها شأن غيرها من مؤسسات الدولة قد تأثرت بما طرأ على المجتمع الاسلامي من تطورات أو لحق به من تغيرات فبلغت في بعض المراحل أقصى ما يمكن تصوره من رقي ، وأصابها في البعض الآخر أشد ما يمكن تصوره من انحدار وتخلف وفساد ، وهذا أمر طبيعي عرفته المجتمعات على اختلافها ولكن يجب دائما التفرقة بين المبادىء السامية التي قام عليها هذا النظام وبين التطبيقات السيئة التي لم يتم فيها الالتزام بهذه المبادىء كما يجب أيضا الاعتراف بأصالة نظام العقوبات السالبة للحرية باعتباره نظاما إسلاميا خالصا لم تعرفه المجتمعات السابقة على الاسلام ، ولم تعرفه المجتمعات اللاحقة له إلا متأخرا .

والاعتراف كذلك بما للفقهاء المسلمين أمثال أبي يوسف وابن عبد الحكم وسحنون وابن تيمية وغيرهم من فضل الريادة في مجال الدراسات العقابية والاهتمام بنظام السجون وأساليب معاملة المسجونين وهو الاهتمام الذي سبقوا به نظراءهم في أوربا بقرون كثيرة ، ولاشك أن مسؤولية تعريف الاجيال الجديدة من طلبة كليات الحقوق والشرطة وكافة المهتمين بالاساليب العقابية بأولئك العلماء الأفذاذ تقع على عاتق الأساتذة والعلماء الذين يقومون بتدريس ما يسمى بعلم العقاب في الجامعات العربية والاسلامية .



للأستاذ/سعد عوض المر

لا يستطيع أي مفكر أن ينكر أن العبادات كل العبادات ذكر لله جل علاه ، ولم لا ؟ ونحن لا نهم بها الا حين نذكره ، كما أننا حين نقوم بها نكون قبلها قد ذكرنا الله وتذكرنا أوامره : (**وذكر اسم ربه فصلى**) الأعلى/ ١٥ ، وكما أن كل عبادة : ذكر فإن قراءة القرآن هي أيضا عبادة لان القرآن ذكر ، فاذا سأل سائل : كيف يكون القرآن ذكرا ؟ نقول : ولم لا يكون ذكرا ؟ وفيه الفكر وفيه الشكر وفيه الذكر (**ص والقرآن ذى الذكر**) أول سورة ص ، (**ولقد يسرنا القرآن للذكر**) سورة القمر/١٧ (**وأنزلنا إليك الذكر**) النحل/ ٤٤ ، (**وهذا ذكر مبارك أنزلناه**) الأنبياء/ ٥٠ .

حتى هؤلاء الكافرون الذين عاندوا لم ينكروا أنه ذكر:(**أألقي الذكر عليه من بيننا**) القمر/ ٢٥ ، لقد أطلقوا عليه تلك الصفة التي كانت تزلزل أعماقهم من الجذور كلما سمعوه :(**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا**) الاسراء/ ٤٦ .

* ذكر الله غاية الغايات :

حقا إن ذكر الله عز وجل هو أسمى الغايات لأنه الهدف من كل العبادات ولأنه الصلة الدائمة برب العباد ، إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الجن والانس إلا من أجل هذه العبادة ، ومن أجل هذا الذكر : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) الذاريات/ ٥٦ ، لهذا أمر الله رسوله الأمين ان يذكره دائما : (**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا**) المزمل/ ٨ ، كذلك امتد الأمر الكريم إلى عباده المؤمنين :(**فاذكروني أذكركم**) البقرة/ ١٥٢ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه عن ربه في أحاديثه القدسية : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) متفق عليه .

هذا وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن شرائع الاسلام قد كثرت علي ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) رواه الترمذي ، وابن ماجة .

حقا إنه لهو الحق المبين ذلك الذي قيل في تبيان مقام الذكر سواء في كتاب الله الكريم أم في الأحاديث القدسية المباركة أم في الاحاديث النبوية الشريفة ، حتى ان المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يدعو ربه دائما أن يعينه على شكره وذكره وحسن عبادته .

* مكانة الذكر عند الله تعالى :

لكي نعلم مكانة الذكر عند الله تعالى ، هلم نقرأ قوله عز وجل : (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**) الأنبياء/ ١٠٥ .

إن تفسير هذه الآية يقودنا الى القول : بأن كلماتها المباركة تبين لنا بوضوح أن اللوح المحفوظ هو أيضا ذكر لأن الزبور قد تنزل قبل القرآن الكريم وليس من بعده ، كذلك يمكن القول بأن هذا القرآن الكريم - قبل أن يتنزل على سيد المرسلين - هو المقصود في تلك الآية التي بينت أن الزبور قد تنزل من بعده ، لأن القرآن كان ولا يزال ذكرا للعالمين : (**وما هو إلا ذكر للعالمين**) القلم/ ٥٢ ، فهذا عالم الملائكة وذاك عالم الجن - قد أوجدهما الله من قبل أن يخلق آدم - كذلك عالم

الطير .. كل قد علم صلاته وتسبيحه ، إن هذا ما نلمحه في هذا التقديم في تعليم القرآن وذاك التأخير بالنسبة لخلق الانسان الذي ورد ذكره بسورة الرحمن : (**الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان**) الرحمن/من ١ حتى ٤ .

* أركان الاسلام أساسها الذكر :

إن ذكر الله تعالى يتخذ أساليب عدة حسب حالة كل ذاكر ، لكن قمة المعاني التي يتجلى فيها الذكر أكثر هي ـ كلمة التقوى ـ تلك التي تمثل الركن الأول من أركان الاسلام خاصة عند استحضار مدلولاتها التي تعنيها حين يذوب الكيان فيها : كيان الذاكر فيتطهر من شوائب مادياته حتى ينسى تعطش جسده وهوى نفسه .

ـ عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، رواه ابن ماجة والنسائي كذلك الصلاة وهي ـ أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة ـ تقوم على ذكر الله : (**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**) طه/ ١٤ ، وايضا الحج : كل اعماله قائمة على الذكر لأن فيه التكبير .. وفيه التهليل وفيه التلبية .. وفيه الشكر وفيه الحمد سواء في الطواف او حين السعي أو عند الوقوف بعرفات أو وقت الرمي أو في أثناء الهدى ، كذلك الصيام ـ إنه ذكر دائم للرحمن ـ لأن الصائم طوال صومه يعلم أن ربه يراقبه ، كذلك الزكاة إنها أيضا ذكر ودعاء مرفوع لله جل علاه كي يتقبلها قبولا حسنا .

* تقوى الله ذكر دائم لله :

حقا إن العلماء هم المتقون : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/ ٢٨٢ ، كما أن المتقين هم الذاكرون ، لأنهم يعيشون في ذكر قائم من خلال انتباههم الدائم بمراقبة الله لهم ، لهذا أمرنا الله مولانا أن نلجأ إليه اذا ما أردنا يوما أن نستعلم عن شيء غمض علينا مشيرا اليهم بصفتهم التي وصلوا بها إلى التقوى ثم إلى العلم (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) النحل/ ٤٣ .

إن المتقين يحاسبون أنفسهم لأنهم يعلمون أن الله بصير بما يعملون سميع لما يقولون ، لهذا كانت تقواهم وصالا بالله ، لأن الوصال الفكري يربط هذا التقي بربه على الدوام ، فيجعل شعوره بوجود الله ممزوجا بحركاته وسكناته في تلك الحياة ، أو بمعنى آخر : يعيش الفكر في الذكر عابدا يلتمس معية الله مع كل نبضة حياة .

أما إذا أقبل المتقون على معصية ما حتى كادوا أن يقعوا فيها أو يواقعوها ،

فإنهم سرعان ما يبصرون حين يستحضرون عظمة ربهم وجلاله وجبروته فيتراجعون حين يتذكرون أوامره ونواهيه ، إن هذا التذكر هو أول خطوة في طريق الذكر (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الاعراف/ ٢٠١ ، أما إذا اقترف المؤمن معصية ما أو ارتكب بعضا من الظلم فإنك تراه قد ارتجف من خشية الله حين يتذكره ، ثم تجده يسارع إليه بالاستغفار ويجأر اليه بالدعاء : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**) آل عمران/ ١٣٥ .

* في النظر فكر وذكر :

إنه ليس باللسان وحده يكون الذكر ، أو بالقلب أو بالفكر .. بل بالعين أيضا يكون هذا الذكر ، فحينما يشاهد المؤمن شيئا ما يبهره ، فإننا نسمع لسانه ينطلق سريعا لينطق قلبه باسم ربه (**الله .. الله**) دون أي تردد أو سابق نية ، كذلك الحال حينما يسبح هذا المشاهد بعينيه في جمال خلق الله أو يذوب في سحر ألوان يكون الله قد وضعها فوق ريش طاووس أو فوق فرو حيوان أو فوق قشور أسماك ، حينئذ يسبح كل جزء فيه ذاكرا بملء فيه (**الله .. الله**) ثم ينخفض صوته كي يصلي بفكره مشاركا بذكره أنشودة هذا الكون العظيم تمجيدا للرب الكريم الذي أوجد كل هذا الابداع في مختلف تلك الأنواع .

لكننا في الجانب الآخر نرى أناسا كثيرين يشاهدون كل هذا ولا يتأثرون ، لأنهم لا يتفكرون ولا يتذكرون بالرغم من ان في رؤسهم عيونا لكنهم بها لا يبصرون برغم انهم ينظرون ، كذلك في أفواههم ألسن إلا أنهم لا يذكرون ، رغم انهم بها ينطقون (**الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا**) الكهف/ ١٠١ .

كل العبادات المفروضة لها أوقاتها ومعاييرها فيما عدا الذكر :

لقد حدد الله كل العبادات بأوقات معينة ومواقيت محددة ، فكانت حكمته عز وجل أنه فرض على المسلم عبادات يومية تتمثل في فريضة الصلاة ، وأخرى أسبوعية تتمثل في صلاة الجمعة ، وأخرى حولية تؤدي كل عام كصيام رمضان ، وأخرى عمرية فرضها الله مرة واحدة طول الحياة تلك التي تتمثل في حج البيت لمن استطاع .

لكنها جميعا لا تمثل إلا ساعات قليلة إذا ما قورنت بأوقات الانسان التي يعيشها مغموسا في شؤونه الخاصة أو في نومه طوال عمره ، لهذا جاءت حكمة الله البارىء تحث المؤمن على ذكره .. ذكره كثيرا بأقصى طاقة وأكبر استطاعة حتى يظل هذا الذاكر في حضرته يتنعم في نعمته ويتقلب في رحمته : (**واذكروا الله**

كثيرا) الجمعة/١٠ ، (**والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**) الاحزاب/٣٥ (**يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا**) الأحزاب/٤١ .

* ذكر الله مرغوب ومطلوب في كل الأحوال :

لكي يحج المسلم لابد له أن يأتزر أولا بملابس إحرامه من قبل أن يبدأ مناسكه ، كذلك حين يريد أن يصلي لا بد له أن يتوضأ قبل أن يدخل في صلاته ، لكنه يستطيع أن يأتي الذكر فيذكر بمجرد أن يتذكر وبدون أي عمل يسبقه لكونه طريق وصال وأداة اتصال بالله الرب ووسيلة قرب لهذا القلب بمن أحب .

إن رحمة الله أجازت لهذا المؤمن أن يؤدي الذكر في جميع أحواله وحالاته حتى في حالة الجنابة إلا قراءة القرآن لان فيه كلام الله : (**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**) آل عمران/١٩١ .

هذا وقد ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن هذه الأحوال التي عددتها الآية السابقة هي أحوال المصلي في صلاته ـ تلك التي تقام لذكر الله ـ وفقا لحالته الصحية التي لا تدوم على حال ، لكن الواقع يقول : إن المعنى ليس قاصرا على ذلك ، بل انه امتد ليشير إلى كل أحوال وحالات بني آدم خارج صلاته ، إنه بعينه ما نتبينه من ذكر الصلاة وذكر هذه الحالات معا في آية واحدة : (**فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**) النساء/١٠٣ .

كما يجب أن نلحظ ورود الترتيب في هاتين الآيتين الذي نلمح فيه الأفضلية لحال الذاكر في ذكره ، كذلك نلحظ فيهما ترتيب الأكثرية الذي يتمشى مع الواقع الانساني الذي يعايشه المؤمن في حياته المعتادة ، إن فرصته تكون في الذكر أكثر بينما هو قائم لأن معظم وقته يقضيه على هذه الحال .

* ذكر الله محبوب ومطلوب في كل الأعمال :

لقد أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن كل عمل لا يبدأ بذكر اسم الله يكون مبتورا لا بركة فيه من أجل أن يكون هذا الوقت الذي يظل فيه هذا المؤمن في ذلك العمل في عبادة ، لقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأذكار كي نرددها مع كل حركة نتحركها سواء عند الاقبال عليها أو وقت القيام بها أم بعد الانتهاء منها ، مثال ذلك الأكل والنوم والسفر والقتال والخوف والوقوع في مصيبة ، أو عند الاحساس بهم أو بغم ، وعند الاعجاب بنعمة .

كذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نأكل مما ذكر اسمه عليه ، كذلك نذكر اسمه على ما نأكل وقت أن نأكل (**فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**) الأنعام/١١٨ ، كما نهانا عن أكل ما لم يذكر عليه اسمه (**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**) الانعام/١٢١ .

* ذكر الله محبوب ومطلوب في كل الأوقات :

تالله .. ستأتي على الانسان ساعة (يالها من ساعة) فيها يندم ندما كثيرا على ساعة قد أمضاها من عمره أو ضيعها دون أن يذكر فيها ، لكن هيهات هيهات أن ينفع الندم وقتذاك ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ، رواه مسلم .

ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الخير لامته فانه كان دائما يحثها على الذكر ويبين فضله ومكانته عند الله الحق ، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ـ أوصلى ـ ركعتين جميعا ، كتبا في الذاكرين والذاكرات ، رواه ابو داوود .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا : (أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن) رواه مسلم ، صدقت يارسول الله : ان في هذه الساعة يخلو كل حبيب بحبيبه حين تأتي السكينة ويسبح المؤمن في صمت السكون ، صدقت يارسول الله وصدق الله العظيم الذي يقول : (**إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا**) المزمل/ ٦ .

كذلك تعددت الآيات التي أمر الله فيها نبيه والمؤمنين أن يذكروه ويسبحوه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها (**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**) ق/ ٣٩ ، وأيضا في الصباح وفي الضحى وفي الظهيرة ، كذلك حينما يأتي المساء وفي العشاء وفي الفجر :(**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون**) الروم/ ١٧ و ١٨ ؛ (**ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**) ق/ ٤٠ .

* ذكر الله خفية وخيفة :

إن الذكر محله القلب : (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**) الكهف/ ٢٨ ، ذلك لأن الله سميع بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فلقد أمرنا جل شأنه أن ندعوه في أنفسنا وأن نذكره في قلوبنا رهبة وخشية ، خيفة وخفية لأنه مطلع علينا يعرف عنا ما لا نعرفه عن أنفسنا :(**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/ ٥٥ ؛ (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول**) الأعراف/ ٢٠٥ ، وياللعجب إن هذا الأمر ـ بالنسبة للدعاء والذكر خيفة وخفية وتضرعا ـ جاء في سورة واحدة

ان ذكرك لله يجب ألا يسمعه غيرك حتى لا يكون هناك رقيب عليك فيمتلىء إحساسك بتلك الرقابة فتفقد خشوعك في ذكرك وقت أن يسلب فكرك ، حينئذ

تتلاشى حلاوة وصالك بسبب بعدك عن ربك نتيجة لقربك من الناس بينما أنت قائم في حضرته قائم في نور ذكره .

لكن إياك .. إياك أن تعتقد أن هناك تعارضا بين ذلك المعنى وما رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديثه القدسي الذي يقوله فيه (وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .

ان الله جل شأنه حينما بين في كتابه الكريم طريقة ذكره إنما أراد أن يهدي ذلك المؤمن ليهتدي إلى كيفية وضع نفسه فوق الطريق الأمثل من أجل الاخلاص في سبيل الخلاص من أي رياء ، كذلك التخلص من أي مؤثر غيره أو رقيب سواه ، أما في الحديث القدسي فانه يتناول فضل الذكر من جانب آخر : لأن ما ورد فيه ليس أمرا كما جاءت صيغة الخطاب في الآية المباركة ، إنه عز وجل بين فيه أحوال هؤلاء الذاكرين وما يحظى به كل فريق منهم حسب حالته في ذكره بدليل أنه قدم من يذكره في نفسه عمن يذكره في ملأ من حوله فجعل الجزاء الأول أفضل وأعظم .

* من يعرض عن ذكر الله تعالى كذلك الذي يتعالى عن الدعاء :

إذا تمعنا قليلا في مدلول الدعاء وجدناه العبادة ، ولم لا يكون عبادة ؟ وهو فرع من فروع الذكر الذي هو أيضا عبادة بدليل أن الذي يعرض عنها إنما يكون مستكبرا آثما ، انه كهذا الذي يبحث بنفسه عن طريق هلاك ذاته حين يقطع ببعض أنامله الضعيفة حبل مشيمته .. لا لشيء اللهم إلا ليفقد هذا المدد الدائم المتمثل في أسباب حفظه : **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)** غافر/٦٠ ، إن ما يقال عن استكبار هؤلاء المعرضين عن الدعاء هو نفس ما قيل في حق المعرضين عن الذكر من حيث الاستكبار والتعالي : **(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين.إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته)** الاعراف/٢٠٥ و ٢٠٦ ، كذلك لا يخفي عنا ان الله لا يحب المستكبرين: **(إنه لا يحب المستكبرين)** النحل/٢٣ .

* كثرة الكلام بغير الذكر قسوة قلب :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله : فإن كثرة الكلام بدون ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي) رواه الترمذي .

ومن منا لا يعلم أن الحب منبعه القلب ، فإذا كانت القلوب خالية من كل شيء سوى الله ، فان الله يسقيها حبا ويصب عليها الخير صبا ويغسلها في بحر من محبته من كل قسوة ، هذا وقد روى أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله

عليه وسلم يوما وأخبره بأن ربه يقرؤه السلام ويقول له بأنه يحب الذاكر والشاكر والصابر .

لكن يجب ألا يغيب عنا أن القلب القاسي يختلف تماما عن القلب الناسي ، لانه إما أن يكون هذا القلب الأول لجبار عنيد أو لظالم متكبر متجبر حقود ، إنه ذلك القلب الذي لا يجعل صاحبه متذكرا ربه أو ذاكرا له إذا ذكر ، وحين يتكلم لا يتذكر ولا يذكر مهما كثر أو قل كلامه .

* الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن ينسى ربه :

إن حرية الاختيار التي منحها الله للانسان هي تلك التي أعطته القدرة على نية النسيان : نسيان الله جل شأنه ، نتيجة للمفاضلة الذاتية بين لذات البنيان الجسدي للكيان الفاني وبين السمو النفسي بالغذاء الروحي ، كذلك هذه الغشاوات التي يصنعها هذا الناسي بنفسه ثم يضعها على عينيه وقلبه كي تتراكم ليظل في دوامة غيبوبته وغفلته .

لهذا حرم الله عز وجل الخمر من أجل أن يظل هذا العقل في يقظته الدائمة ، ومن أجل أن يستمر المرء في شعوره المتواصل بوجوده حتى يتذكر دائما وجود الله وقيوميته ، بعكس ذلك الجاحد الذي يبعد نفسه عن ذكر ربه حين يعاند ذاته فلا يساير هذا الكون في تسبيح الله وذكره بعد أن ظن أنه يستطيع أن ينزع منه كيانه ، أو ينخلع عنه بوجدانه كي ينسلخ عنه تماما ، فكان جزاؤه العادل أنه هوى بعد أن نسى .

* الشيطان يعمل جادا على إبعاد المؤمن عن ذكر ربه :

كلنا يعلم أن إبليس اللعين أخذ على نفسه عهدا أن ينتقم من ذلك الانسان الذي كان وجوده سببا لغضب الله عليه بعد أن رفض السجود له ، ثم استكباره وإصراره على هذا الرفض بعد أن أعطى فرصة الرد الذي أكد به رد الأمر بالكفر فكان ذلك الموقف بمثابة شهادة منه على نفسه وكفره .

لهذا كان الصراع عنيفا بين هذا الانسان وبين ذاك الشيطان ، إن الشيطان يستخدم في هذا الصراع أعتى سلاح يستطيع به - إذا تمكن - أن يدمر ويهلك هذا الانسان : إنه سلاح النسيان - نسيان الخالق الحق - حين يظل هذا الناسي غافلا عن ذكر ربه .. لاهيا لاهثا وراء شهواته ، إن هذا بالطبع يجرنا إلى التساؤل الذي يقول : هل سمى الانسان إنسانا لأنه كثير - دائم - النسيان ؟ لقد استطاع الشيطان أن يسرق كثيرا من قلوب الناس بما يزينه لهم من مغريات وبما يوسوسه لنفوسهم من إلحاحات من أجل أن يتم الاشباع الذي ليس له طريق إلا الانغماس في الماديات : (**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) المجادلة/ ١٩ .

ان للشيطان وسائله المتعددة لابعاد المؤمنين عن ذكر الله : إنه يغرقهم في بحور من الخمور أو يحرقهم في لهيب من الميسر : (**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله**) المائدة/ ٩١ ، إنه يشد انتباههم ويجذب تفكيرهم نحو مشاغلهم الدنيوية إذا ما أحس انهم قد أقبلوا على ذكر الله ، لهذا كان أمره تعالى أن نستعيذ به منه قبل أن نبدأ في قراءة القرآن .

كذلك يستخدم الشيطان المال والعيال استخداما خبيثا حثيثا كي يظل ويبقى هذا الغافل في غفلته معرضا عن الذكر : (**يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**) المنافقون/ ٩ ، وبعد أن يجذب هؤلاء المعرضين إلى أحضانه يدفعهم إلى إغواء غيرهم أو الاستهزاء بهم (**ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر**) الفرقان/ ٢٨ ، ٢٩ ، :(**فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري**) المؤمنون/ ١١٠ .

* الجزاء العاجل العادل لمن يعرض عن ذكر ربه :

حقا إن الشقي هو ذلك الذي ينأى بجانبه ويعرض عن ذكر ربه ، لقد اعتقد أنه يستطيع أن يسعد نفسه بنفسه لكنه في الحقيقة قد أشقاها ، لقد أصبح بذلك عبدا لهواه أسيرا لنفسه حين نسى ربه وقت أن أخضع قلبه لشهواتها فكان من الله أن أنساه إياها بعد أن نسيه .

لكن .. هل حقا ينسى الله بعض خلق من خلقه ؟ بالطبع لا .. إن معنى قوله جل شأنه : (**نسوا الله فنسيهم**) التوبة/ ٦٧ : أنه تركهم لأنفسهم برغم أنه أقرب إليهم منهم ، بل ومعطيهم تلك القوة التي تحركوا بها ففعلوا بها ما أرادوا عصيانا لأوامره ، لقد تركهم لأنفسهم كي يجنوا ثمار ما زرعوا بعد أن اعتمدوا على قوتهم دون أن يذكروا قوة الله التي أمدتهم بتلك القوة:(**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**) الحشر/ ١٩ .

إنك تراهم في هم دائم وغم ، تراهم في ضيق وضنك حتى وإن ملكوا أو امتلكوا كل شيء ، ذلك لأن الشيطان ظل جليسهم .. يلازمهم ، يسامرهم ، يمنيهم .. يعدهم الفقر ويجذبهم نحو الغفلة عن الشكر والذكر:(**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا**) طه/ ١٢٤ ،:(**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) الزخرف/ ٣٦ ، :(**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**) الجن/ ١٧ .

* الجزاء العادل الآجل لمن أعرض عن ذكر الله :

لكن .. هل ما يناله ذلك المعرض في دنياه من جزاء يكفي لهذا الجرم العظيم ؟

بالطبع لا .. إن الله عز وجل قد توعده بالمزيد ، توعده بالخسران والنسيان يوم يشيب الولدان ، وإن أردت أن أزيد فلا أملك إلا أن ادعوك لنقرأ سويا قول الله تعالى : (**ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**) طه/ ١٢٤ حتى ١٢٦ .

وهل هناك خسران أضيع من هذا الخسران ؟ بالطبع لا ، يقول الله:(**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**) المجادلة/ ١٩ .

* الويل كل الويل لمن يعرض عن ذكر الحق بقسوة قلب :

نعم يالهم من أشقياء حقا ، بل ياويل هؤلاء الحمقى يا ويل اولئك الذين يقول الله فيهم:(**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**) الزمر/ ٢٢ .

نعم الويل كل الويل لهم لأن الذي توعدهم هو الله الجبار القهار ، فهل لهم بعد ذلك من نجاة ؟ بالطبع لا ، لأنهم لم يعرضوا عن ذكره بسبب لهو أو طول غفلة ، بل نتيجة لأن قلوبهم قاسية لا تلين حين يكون الذكر ، وكأن أصحابها لا يسمعون .. نعم أنهم فعلا لا يسمعون برغم تلك الآذان التي تسمع ، لأن ذلك يرجع إلى ضعف ايمانهم الذي شدهم نحو ضلالهم وإضلالهم .

لقد وردت الكلمات الطاهرة في تلك الآية واضحة :(**القاسية قلوبهم من ذكر الله**) ولم تأت:(**القاسية قلوبهم عن ذكر الله**) رحمة بعباد الله ، ان هؤلاء يذكروننا مرة أخرى بأنفسهم حين نقرأ قوله تعالى:(**و إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**) الزمر/ ٤٥ .

لكننا يجب ألا نضع هؤلاء أو أولئك في صف الذين أسلموا لكنهم بسبب إقلالهم أو إقلاعهم عن ذكر ربهم نتيجة للهوهم أو إنشغالهم لا تخشع قلوبهم أو تقشعر جلودهم عند ذكر ربهم:(**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**) الحديد/ ١٦ .

* قلب المؤمن يطمئن بذكر ربه :

ان اضطراب القلوب له أشكاله المتعددة حسب أحوال كل إنسان ، وكل إنسان مهما أوتى من قوة أو مال لا ينال ولا يستطيع أن يصل إلى كل ما يرنو إليه أو يأمله ، إنه لن يستطيع أن يصل أو يؤمن لنفسه تلك السعادة الدائمة التي ينشدها ، حتى وإن حققها فإنه لن يكون إلا كذلك الزورق الحائر الذي يتأرجح فوق

الأمواج ويخشى أن تعصف به الريح فيضيع أو تضيع منه تلك السعادة كلها أو بعض منها ، وقد يكون اضطراب القلوب نتيجة لهذا الترقب من بغي عات أو من مباغتة عدو أو من غدر غادر أو من بطش ظالم .

إن هؤلاء جميعا لا ينجيهم أو ينقذهم من اضطرابهم أو فزعهم أو يهدىء من روعهم سوى ذكر ربهم ، ولم لا ؟ وهو المهيمن على الأقدار القادر على حفظ كل خائف واجف :(**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ .

وطالما علم الذاكر ان الله يذكر من يذكره وانه مع من يذكره مادام يذكره فإنه لا يحق له أن يخاف أو يهاب أحدا أبدا طالما هو بالذكر قائم لأن الله إذا كان معه فمن بعد ذلك سيكون عليه ؟ إن الطمأنينة بالذكر هي روح من الله وأنس ، إنها نور يقوى بها الضعيف ويهدأ بها الحيران .

* المؤمن يلين قلبه بذكر ربه :

يقول الرب جل وعلا:(**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**) الزمر/٢٣ .

فطوبى لهؤلاء المؤمنين .. طوبى لهم أولئك الذين يتواضعون لله ويخشعون : يخشعون حين تخشع قلوبهم بذكر ربهم ثم تلين .. تلين حين يقرءون القرآن او يسمعون ، حينئذ يتذكرون فيذكرون ، إنهم بايمان على ايمانهم يزدادون ، اولئك هم الذين اطلق الله عليهم المخبتين:(**وبشر المخبتين.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) الحج ٣٤ و٣٥ . (**إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**) الأنفال/٢ .

* المداومة على ذكر الله في بيوت الله مجلبة لسعة الرزق :

لقد ضمن الله أرزاق كل الناس سواء منهم المؤمن أو الكافر ، سواء منهم العباد أو العبيد:(**رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا**) البقرة/١٢٦ ، إنه عزوجل أقسم على ذلك في كتابه الكريم حتى يطمئن الجميع ، لقد تكفل بذلك لأنه هو الذي أوجد الانسان في هذه الحياة ثم أرجأ حسابه ليوم الدين:(**وفي السماء رزقكم وما توعدون**) الذاريات/٢٢ ، بل لقد وردت بعد هذه الآية المباركة آية اخرى أقسم الله فيها بنفسه على ذلك .

ولما كان الاسلام دينا : دين عمل من أجل الحياة ودين عبادة من أجل الآخرة ، فان الله طمأن هؤلاء الذين يسعون الى بيوته كي يقيموا الصلاة فيها من أجل

ذكره ، لقد طمأنهم بأن هذه الأوقات التي يقضونها لن تنقص من أرزاقهم شيئا ، بل على العكس لقد بشرهم بالرزق الوفير نتيجة لذلك ، إن هذا ما نلمحه من قوله عز وجل :(**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**) النور/ ٣٦ .. الى قوله: (**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**) .

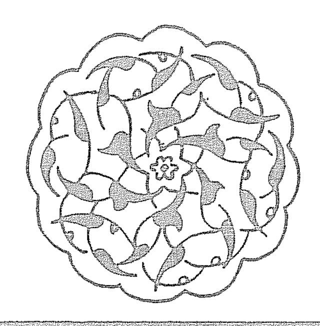
كذلك ما ورد بعد قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**) الجمعة/ ٩ ، (**قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**) الجمعة/ ١١ .

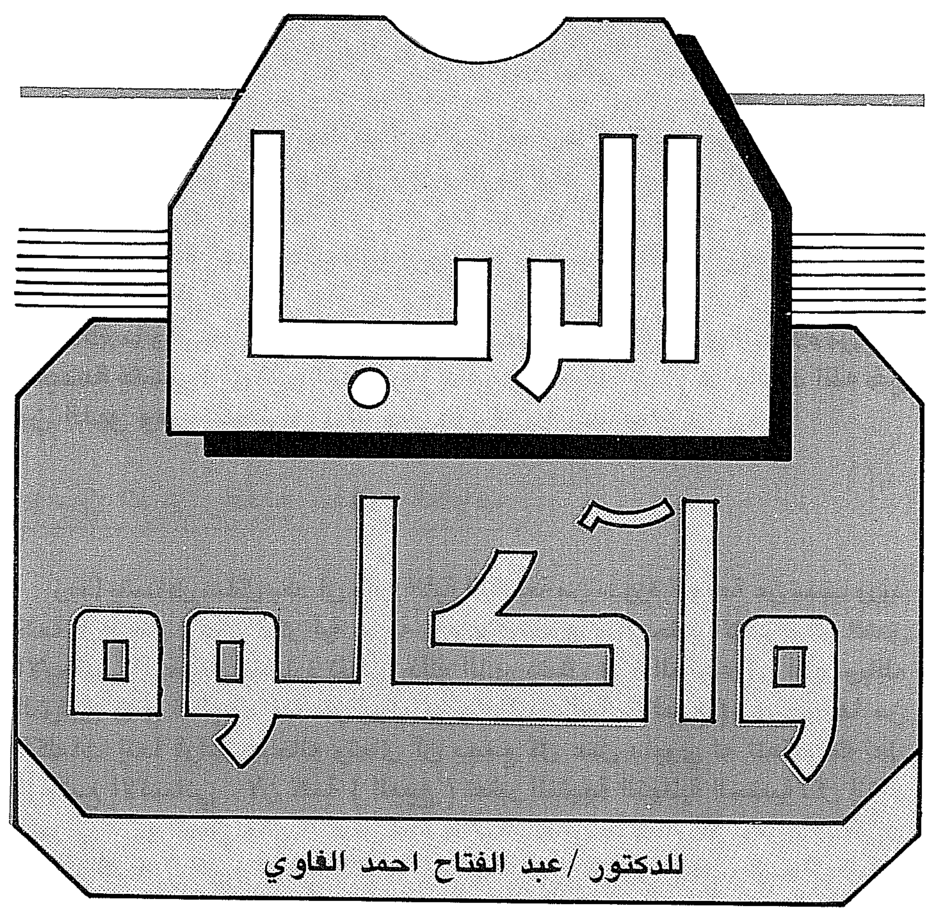
* بين الذكر والبيع تختبر القلوب :

ربما يتساءل سائل بعد أن يقرأ الآية التاسعة من سورة الجمعة عن سبب ورود كلمة (**البيع**) دون ذكر أية حرفة أو مهنة أخرى ، أو حتى الاشارة إلى الشق الايجابي في عملية التجارة نفسها ذلك الذي يتمثل في (**الشراء**) ، أقول وبالله التوفيق وهو العليم : انه عز وجل حينما أنزل كلمة (**البيع**) دون غيرها من الكلمات إنما أراد سبحانه وتعالى أن يجمع كل عمل دنيوي له انعكاساته على المجتمع الانساني ، لأن كلمة (**البيع**) تعتبر النتيجة النهائية الحتمية لكل إنتاج بشري ، أي بتعبير آخر : تعتبر هذه الكلمة المصب الجامع لكل ثمار الأعمال .

ان كلمة (البيع) هي الكلمة الوحيدة التي تنطوي تحت أجنحة حروفها مختلف أنواع الحرف سواء الصناعية أم الزراعية أم غير ذلك ، إن كل إنسان داخل مجتمعه لابد له أن يبيع جزءا من نتاج عمله كي يحصل على جزء أو أجزاء أخرى من ثمار مجهود الآخرين التي تتنوع .

إن هذا ينطبق تماما على الخدمات المؤداة مثل الطب والمحاماة وغير ذلك ، إن كل هذه النشاطات تمثل جميعها بيعا ، بيع خبرة او خدمة مقابل ثمن مثل بيع أية سلعة ، ان ما يوضح ذلك جليا هو ما ورد بالآية الكريمة التي فرقت بين مدلول كلمتي البيع والتجارة حيث جاءت بهما معا كي نعلم أن كلمة البيع لا تعني بالتطابق كلمة تجارة (**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**) النور/ ٣٧ .





عرض القرآن الكريم فيما جاء من آيات التشريع وتعرض لمسألة الربا ، ووفى القول فيها كما وضحت السنة الشريفة ما أجمله القرآن في هذه المسألة حتى غدت مسألة الربا موضوعه وحرمته ومصيره وعاقبته من المسائل الواضحة البعيدة عن الاحتمال والشك .

والربا في اللغة هو الزيادة . يقال : ربا الشيء يربو ومنه قوله تعالى عن الأرض **(اهتزت وربت)** فصلت/ ٣٩ ـ الحج/ ٥ أي زادت . والربا وإن كان زيادة في الظاهر إلا أنه نقص وتنقيص في الحقيقة ، كما أن الزكاة وإن كانت تنقيصا في الظاهر إلا أنها زيادة في الحقيقة .

والربا نوعان : ربا النسيئة ، وربا الفضل : وربا النسيئة هو الذي يدفع فيه شخص مالاً لشخص آخر إلى أجل معين على أن يأخذ صاحب المال كل شهر قدرا معينا مع بقاء رأس المال كاملا فاذا حل الدين طالب المدين برأس المال فإن تعذر عليه الأداء زاد في الحق والأجل وكان هذا النوع معروفا ومتعاملا به عند العرب في الجاهلية .

وأما ربا النقد : فهو أن يباع الدرهم من الفضة بدرهمين والدينار من الذهب بدينارين مثلا .

وجاء الاسلام بتحريم النوعين ربا النسيئة وربا الفضل . وقد حرّم القرآن أحدهما ، وتكفلت السنة بتحريم الآخر وهو ربا النقد ، وكان ابن عباس يحل هذا النوع الأخير من الربا ويقول : لا ربا إلا في النسيئة ، إلا أنه روجع في هذا الرأي فرجع عنه حينما قال له أبو سعيد الخدري : شهدت مالم تشهد أو سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم تسمع . قال محمد بن سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس ، فقال إنما كنت استحللت التصرف برأيي ثم بلغني أنه صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أني حرمته ، وبرئت منه إلى الله .

وكانت حجة ابن عباس أن قوله تعالى (**وأحل الله البيع**) البقرة/ ٢٧٥ يتناول بيع الدرهم بالدرهمين فقط ، وقوله وحرم الربا لا يتناوله ، لأن الربا عبارة عن الزيادة ، وليست كل زيادة محرمة . بل قوله وحرم الربا إنما يتناول العقد المخصوص الذي كانوا يسمونه فيما بينهم بأنه ربا وذلك هو ربا النسيئة فكان قوله ـ وحرم الربا ـ مخصوصا بالنسيئة فبقي أن قوله وأحل الله البيع يتناول ربا النقد وقوله وحرم الربا لا يتناوله فوجب أن يبقى على الحل ، ولا يمكن أن يقال إنما يحرم بالحديث لأنه يقتضي تخصيص ظاهر القرآن بخبر الواحد وذلك غير جائز في عرف ابن عباس .

وأما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على تحريم الربا في النوعين : أما ربا النسيئة فبالقرآن وأما ربا النقد فبالحديث . والحديث مصدر من مصادر التشريع نص عليه القرآن في قوله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) الحشر/ ٧ وفي قوله : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء/ ٥٩ كما نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « إني أوتيت الكتاب ومثله معه » رواه احمد . فالسنة، قولا كانت أو فعلا أو تقريرا مصدر من مصادر التشريع وحجة على جميع المسلمين وما ورد في السنة بالاضافة إلى ما ورد في الكتاب ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما كان مطابقا لما فيه فيكون مؤكدا له ويكون الحكم مستمدا من مصدرين الكتاب والسنة ومن ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج .... الخ .

والنوع الثاني : ما كان بيانا للكتاب بتفصيل مجمله كتبيين السنة العملية لمواقيت الصلاة وأركانها وعدد ركعاتها أو تخصيصا كتخصيص السنة أن الأنبياء لا يورثون « إنا معشر الأنبياء لا نورث ماتركناه صدقة » رواه البخاري . أو كتقييد قطع اليد في السرقة بأنه من الرسغ

والنوع الثالث : ما كان مشتملا على حكم جديد غير مؤكد لما في القرآن ولا مبين له . وهذا النوع فيه اختلاف ولكن الأرجح إثباته وذلك كمسألة ربا النقد التي نحن بصددها فإنها لم ترد في القرآن وانما جاءت بها السنة على ان هذه المسألة يمكن أن تكون من النوع الثاني وهو تخصيص السنة لما ورد عاما في القرآن فنقول

إن السنة خصصت قوله تعالى (**وأحل الله البيع**) بما لم يكن عن طريق ربا النقد والله أعلم .

وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع . ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبار هذا النوع الأخير مصدرا من مصادر التشريع وحذر من إهداره بقوله : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول لا أدري . وما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » . رواه الترمذي وابن ماجة .

ولذلك فإننا يجب أن نعتقد وندين بأن الربا بكلا نوعيه حرام ولا تقل حرمة أحد النوعين عن حرمة الآخر .

ويختلف الرأي مرة أخرى في موضوعات ربا النقد أي في الأشياء التي يحرم فيها الربا فمنهم من يرى قصرها وحصرها على الأشياء الستة التي ورد بها الحديث دون غيرها . ومنهم من يرى أن الحرمة عامة وغير محصورة في هذه الأشياء الستة . وحجة الفريق الأول أن الشارع خص من المكيلات والمطعومات والأقوات أشياء أربعة ، فلو كان الحكم ثابتا في كل المكيلات أو كل المطعومات لقال لا تبيعوا المكيل بالمكيل متفاضلا ، أو قال لا تبيعوا المطعوم بالمطعوم متفاضلا لما عهد في أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايجاز والبلاغة ، فلما لم يقل ذلك بل عد الأربعة علم أن الحكم مقصور عليها . كما قالوا إن حرمة ربا النقد مختلف فيها وقد رجحنا القول بالتحريم قياسا على ربا النسيئة فينبغي أن يقف التحريم عند حدود ما ورد به الحديث حتى لا نبعد ولا نغرق في القياسات . فإن قوله تعالى وأحل الله البيع يقتضي حل ربا النقد فإذا أخرجنا ربا النقد من تحت هذا العموم بخبر الواحد في الأشياء الستة التي وردت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » رواه أحمد ومسلم وأبو داود . ثم اثبتنا الحرمة في غيرها بالقياس عليها كان هذا تخصيصا لعموم نص القرآن في الأشياء الستة بخبر واحد وفي غيرها بالقياس على الأشياء الستة التي تثبت الحكم فيها بخبر الواحد ومثل هذا القياس يكون أضعف بكثير من خبر الواحد وخبر الواحد أضعف من ظاهر القرآن فكان هذا ترجيحا للأضعف على الأقوى وذلك غير جائز .

كما أن التعدية من محل النص إلى غير محل النص لا تمكن إلا بواسطة تعليل الحكم في مورد النص وذلك غير جائز لأنه يقتضي تعليل حكم الله وذلك غير ثابت في الأصول .

وأما جمهور الفقهاء فقد اتفقوا على أن حرمة ربا النقد غير مقصورة على هذه الأشياء الستة بل هي ثابتة في غيرها . ثم إنه من المعلوم أنه لا يمكن تعدية الحكم عن محل النص إلى غير محل النص إلا بتعليل الحكم الثابت في محل النص بعلة حاصلة في غير محل النص فلهذا المعنى اختلفوا في العلة على مذاهب ، فذهب

الشافعي رضي الله عنه إلى أن العلة في حرمة الربا الطعم في الأشياء الأربعة واشترط اتحاد الجنس ، وفي الذهب والفضة النقدية وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه أن كل ما كان مقدرا ففيه الربا والعلة في الدراهم والدنانير الوزن ، وفي الأشياء الأربعة الكيل واتحاد الجنس ، وذهب مالك رضي الله عنه إلى أن العلة هي القوت أو ما يصلح به القوت وهو الملح وقال عبد الملك بن الماجشون أن كل ما ينتفع به ففيه الربا .

هذه هي جملة آراء العلماء حول الربا موضوعه وحكمه ولعل من تمام القول ـ هنا ـ ومقتضيات الحديث تناول حكم فوائد البنوك والشركات وأرباحها بيد أن هذه القضايا أثيرت كثيرا وطال حولها الكلام والخلاف إلا أنه ليس ثمة بأس من الاشارة اليها في هذا المقام إشارة موجزة . وهو أن هذه الأمور بوضعها الذي هي عليه الآن ربا : منها ما هو ربا نقد ومنه ما هو ربا نسيئة لأنه إذا أخذ أرباحا شهرية أو سنوية على ماله المدخر مع بقاء رأس ماله كما هو فهو ربا النسيئة الذي بيناه آنفا . وإن كان التعامل مع هذه الجهات بزيادة المبلغ أو مضاعفته فهو من ربا النقد الذي أسلفنا الحديث عنه أيضا ، فصفة الربا في هذه الأنواع من المعاملات المالية متحققة وخصائصه موجودة وحرمته قائمة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

ولا محل لما يقال هنا أن هذه البنوك أو تلك الشركات تستخدم هذه الأموال وتستثمرها وتدر عليها أرباحا طائلة فليكن لأصحاب هذه الأموال من تلك الأرباح نصيب لأننا نقول لهؤلاء إن الاسلام لم يحرم مثل ذلك النوع من المعاملة فهناك المضاربة الاسلامية ثابتة وقائمة في الشريعة الاسلامية ، ولكن بشرط أن يكون صاحب المال شريكا في الربح بقدر معلوم وفي الخسارة المحتملة أيضا . وبذلك يكون التعاون بين رأس المال والعمل تعاون الشريكين المتكافلين لكل نصيبه من الغنم والغرم قل أو كثر . أما أن يفرض لصاحب المال ربح محدد مضمون لا يزيد ولا ينقص وان تضاعف الربح أو تفاقمت الخسارة فهذا مجافاة للعدل الصريح وتحيز لرأس المال ضد الخبرة والعمل وتشجيع لحب الكسب المضمون دون عمل ولا مخاطرة ، وذلك هو روح الربا الخبيث وكما أباح الاسلام اشتراك الخبرة مع رأس المال فقد أباح وبارك أيضا اشتراك اصحاب رؤوس الأموال في دائرة ما أحله الله بعيدة عن الربا والغرور والظلم والجشع والخيانة بكل صورها وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يد الله على الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما » رواه الدارقطني

وهنا ينبغي أن نشير إلى هذا النوع من البنوك الاسلامية التي أقيمت على أسس الشريعة الاسلامية فجعلت التعامل بينها وبين عملائها قائما على أساس المشاركة في الربح وفي الخسارة معا بقدر معلوم لكل منهم وفيها يخرج الأمر من دائرة الربا إلى دائرة المضاربة كما يخرج من دائرة الحرمة إلى دائرة الحل .

وقد يتساءل البعض ـ وما السر أو الحكمة في تحريم الربا ولم يحظر الاسلام

على أهله ذلك النوع من التعامل مادام قائما على رضا الطرفين وعلى الإيجاب والقبول ، ومادام يتحقق لكل من الطرفين من ورائه منفعة وفائدة ؟

فإننا نرى أن أحكام الشرع لا تتعلل أو لا ينبغي أن تعلل ومع ذلك فإن من أسباب تحريم الربا أنه يقتضي مال الانسان من غير عوض لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض ، ومال الانسان متعلق حاجته وله حرمة عظيمة ، فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرما ، ولا يقال هنا إن إبقاء رأس المال في يده مدة مديدة عوض عن الدرهم الزائد وذلك لأن رأس المال لو بقي في يده هذه المدة لأمكن للمالك أن يتجر فيه ويستفيد بتلك التجارة ربحا فلما تركه في يد المدين وانتفع به المدين كان من حقه أن يأخذ الزيادة عوضا عن هذا الانتفاع .

ولكن ينبغي أن يعرف هؤلاء أن الانتفاع الذي أشاروا إليه موهوم قد يحصل وقد لا يحصل ، وأخذ الدرهم الزائد أمر متيقن ، فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع ضرر .

كما أن الربا قد يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك لأن صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعة الشاقة وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات .

والربا ـ أيضا ـ قد يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض الحسن وغيره لأن الربا اذا حرم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والاحسان ، ولا ينبغي أن ننسى هنا أن المقرض ـ غالبا ما ـ يكون غنيا والمستقرض يكون فقيرا فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير مالا زائدا وذلك غير جائز برحمة الرحيم . وبعد ذلك وقبله يجب أن نعرف ونعترف أن حرمة الربا ثبتت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلوما للخلق فوجب القطع بحرمة عقد الربا وإن كنا لانعلم الوجه فيه .

وإذا كان الله قد حرم الربا ، فإنه كذلك قد نفر منه وشدد العقوبة عليه ، ويكفي تنفيرا منه تصويره المرابي بتلك الصورة التي جاءت في قوله تعالى: (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**) البقرة/ ٢٧٥ ذلك أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة أنه آكل الربا في الدنيا ، وقيل إنه اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين لقوله تعالى: (**يخرجون من الأجداث سراعا**) المعارج/٤٣ إلا أكلة الربا فإنهم يقومون كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وذلك لأنهم أكلوا الربا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الاسراع ولا يقدرون

ويتأكد هذا القول بما روي في قصة الإسراء ان النبي صلى الله عليه وسلم انطلق به جبريل إلى رجال كل واحد منهم كالبيت الضخم يقوم أحدهم فيثقل به بطنه فيصرع فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .

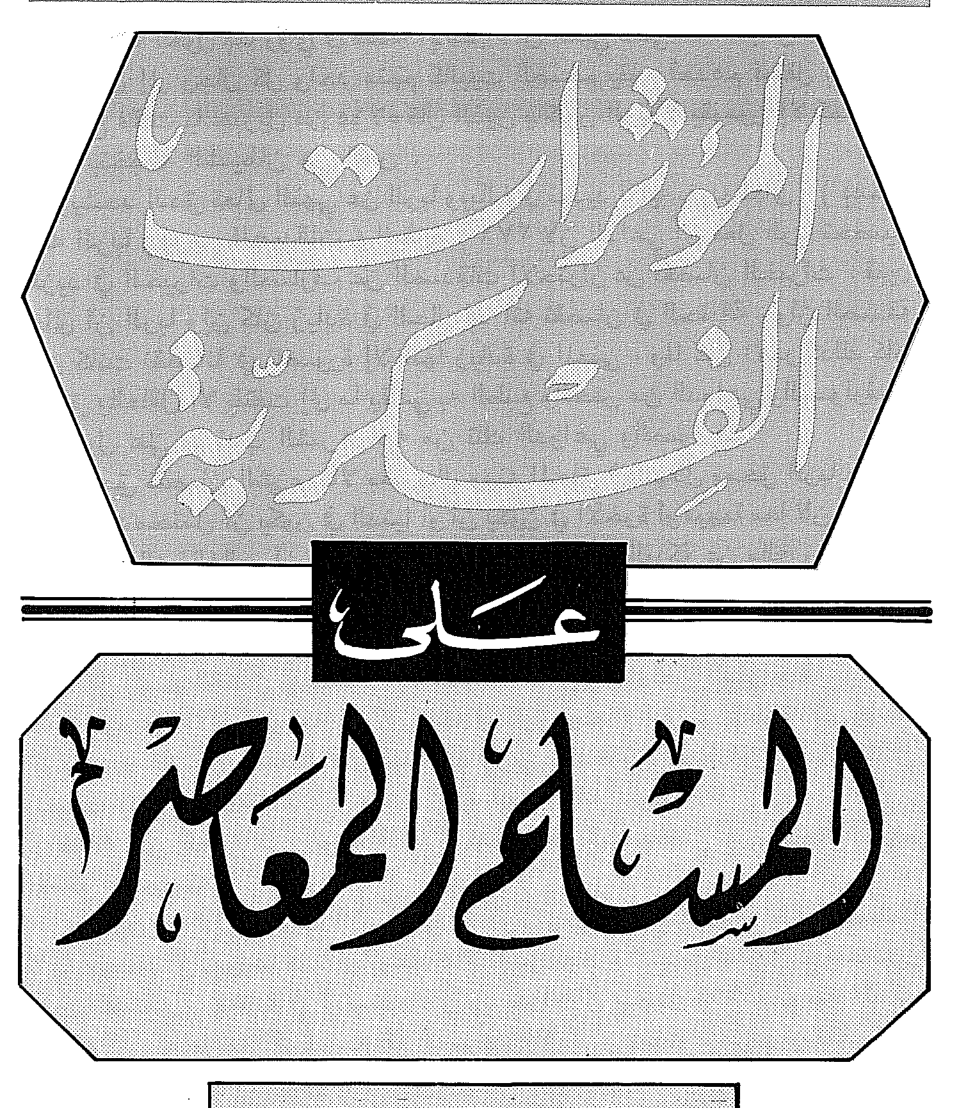
ويشدد الحق تعالى النهي عن الربا ويبالغ في تهديد آكليه بقوله تعالى : (**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**) البقرة / ٢٧٦ لأن الداعي إلى فعل الربا تحصيل المزيد في الخيرات والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصان الخيرات . فبين تعالى أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة ، وأن الصدقة وإن كانت نقصانا في الصورة إلا أنها زيادة في المعنى ، ولما كان الأمر كذلك كان اللائق بالعاقل ألا يلتفت إلى ما يقضي به الطبع والحس من الدواعي والصوارف ، بل يعول على ما ندب الشرع اليه من تلك الدواعي والصوارف .

والمحق نقصان الشيء حالا بعد حال ومنه المحاق في الهلال ومحق الربا وأرباء الصدقات محتمل أن يكون في الدنيا أو أن يكون في الآخرة أو فيهما معا لأن المرابي وإن كثر ماله فالغالب أن تؤول عاقبته إلى الفقر وتزول البركة عن ماله ، قال صلى الله عليه وسلم « الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل » رواه الحاكم . وإذا لم ينقص مال المرابي فإن عاقبته الذم والنقص وسقوط العدالة وزوال الأمانة وحصول اسم الفسق والقسوة والغلظة له ، ناهيك عن لعن الفقراء له ودعائهم عليه ، وتوجه الأطماع اليه من كل ظالم وسارق وطماع ، وأما الآخرة فقد جاء في الحديث « أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام » رواه احمد وأبو داود .

فإذا كان الغني من الوجه الحلال كذلك فما ظنك بالغني من الوجه الحرام المقطوع بحرمته .

هذا ومن مزايا التشريع الاسلامي وسموه أن يراعي فيما يشرع خير الانسانية كلها أبيضها وأسودها مسلمها وكافرها لذا نراه يحرم التعامل بالربا مع المسلمين وغير المسلمين . فالربا في الاسلام حرام : حرام أن يتعامل به المسلم مع المسلم وحرام أن يتعامل به المسلم مع غير المسلم بل قل ـ إن شئت ـ حرام أن يتعامل به الانسان مع أخيه الانسان وهذا على غير ما تقرره شريعة اليهود الآن ـ لا شريعة موسى عليه السلام ـ من أن الربا حرام بين اليهود بعضهم مع بعض ولكن حلال لهم أن يتعاملوا به مع غيرهم في سفر التثنية : « للأجنبي تقرض الربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا » .

ولم يقتصر الاسلام عن تحريم التعامل بالربا وإنما نهي عن ملابسته أو مخالطته بأية صورة فقد جاء في الحديث « لعن النبي صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء ـ رواه مسلم وغيره . وما ذلك الا ليحفظ على البشرية أخلاقها واقتصادها وصلابة مجتمعها .. والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل .



المؤثرات الفكرية على المسلم المعاصر

للأستاذ / عبد القادر بن محمد العماري

منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت النهضة الصناعية في الغرب ، فرض الغرب نفوذه على الشرق ومنه البلاد الاسلامية بقوته وضعف الشرق في جميع نواحي الحياة ، ولانه قد جرت سنة الحياة في طبيعة البشر أن يقلد الضعيف القوي ، فقد حاول الشرقيون والمسلمون منهم ان يقتفوا أثر هؤلاء الذين فرضوا عليهم نفوذهم وقوتهم واستعمروا بلادهم واستغلوا ثرواتها فكان ان ظهر من ابناء المسلمين من تشبع بأفكار المستعمر ورأي أن الطريق الصحيح لماثلة

الغربيين في القوة والحضارة والتقدم ان يندمجوا بهم ويقلدوهم في حركاتهم وسكناتهم وفي قيمهم وأخلاقهم فيأخذوا كل ماعندهم بخيره وشره وحلوه ومره ، وما يحمد منه ومايعاب بل غالى بعضهم كما جاء على لسان بعض أنصار كمال اتاتورك إذ قال : « إننا عزمنا على أن نأخذ كل ماعند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئتهم والنجاسات التي في أمعائهم » . وهكذا تنكب أكثر المثقفين من ابناء المسلمين الطريق ولم يفرقوا بين النافع والضار في الحضارة الغربية ولم يميزوا بين الصالح والطالح منها ، ومع هذا فشلوا في تقليد الغربيين في القوة والتقدم والصناعة والعلوم ، واكتفوا بالمظاهر ونهلوا من ثقافة الغرب في الادب والفلسفة والتاريخ والقانون وقصروا في الطب والهندسة والعلوم الطبيعية ، فكانت النتيجة وكان المردود هو التشكيك في الدين والقيم والاخلاق والهجوم العنيف على تاريخ المسلمين وتراثهم ، وبقيت شعوبهم على ضعفها وأفقدوها شخصيتها وثقتها بنفسها وأخذوا يلوكون كلاما ويغمرونها بالقصص والافلام والمقالات والمسرحيات التي تشيد بالغرب وثقافته وتسخر من الاسلام ورجاله وتاريخه ولم تخل الساحة من رجال تصدوا لهذا الغزو الفكري وحملوا المشاعل لانارة الطريق وفرقوا بين الحق والباطل والغث والسمين ونادوا بأعالى أصواتهم بأن على المسلمين ان يأخذوا بأسباب التقدم وأن يفرقوا بين الحضارة والثقافة والفكر والمعرفة ففي الاسلام ثقافتنا وفي الاسلام حريتنا ، وفي الاسلام عزتنا وكرامتنا ، واذا أخذنا بعلوم الغرب في الطبيعة والطب والهندسة فلنا سابقة فيها ، وقد أخذت اليابان حضارة الغرب وعلومه ورفضت فكره وثقافته ، والاوربيون أنفسهم أخذوا علوم المسلمين دون ثقافتهم عندما قاموا في العصور الوسطى بترجمة كتب الطب والعلوم والجبر والهندسة من العربية الى اللاتينية ، فقد ترجموا كتب الزهراوي والموصلي وابن البيطار والرازي وابن سينا والخوارزمي والبستاني وأبو الوفاء وابن الهيثم والبيروني والخازني والفزاري وغيرهم من علماء الاسلام المتضلعين في مختلف العلوم من طب وجبر وهندسة وكيمياء وفلك وجغرافيا ، وكانت هذه الكتب التي نقلها الاروبيون عن المسلمين هي أساس حضارة اوروبا وتقدمها فالمعرفة اذا ملك عام شائع بين جميع البشر وأما الثقافة فهي أقرب ما تكون مرتبطة بالقيم الاساسية للامم والفكر يصدر عن الثقافة ، واليوم تتقاسم العالم فكرتان فكرة علمانية قومية وشيوعية أممية ، ومن حيث النهج الاقتصادي رأسمالية وشيوعية وظهرت في بعض دول العالم الثالث فكرة ثالثة أخذت من الفكرتين وهي الماركسية القومية ، اما الاشتراكية وان كانت هي مقدمة الشيوعية في نظر الماركسيين الا انها لم تعد ذات معنى بعد ان ادعاها اتباع هذا وذاك ، ولم يبق منها الا الاسم من غير رنين .

ومعين هذه الافكار جميعها ومصدرها الفكر الغربي حتى الشيوعية اذ هي نتاج فكر ماركسي وهو من اليهود الألمان ، وكل هذه الافكار تقوم في الجملة على المادة والاشادة بها والتفسير الاقتصادي للتاريخ فالعلمانية وهي فصل الدين عن الدولة والسياسة كانت بسبب سيطرة رجال الكنيسة في الغرب من الكهان والرهبان ومحاربتهم للعقل والعلم واستغلالهم للشعوب المسيحية وقد طرحت هذه الفكرة في المجتمعات الاسلامية نتيجة السيطرة والنفوذ الذي للاستعمار الغربي فقد فرض عليها أن تقتبس قوانينه التي تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة فعاشت المجتمعات الاسلامية حياة غير مستقرة نتيجة فصل الدين عن المجتمع وقد تبنى

المثقفون ثقافة غربية من الاجيال التي خلفها الاستعمار هذه الفكرة وفات هؤلاء ان الاسلام يختلف عن الاديان الاخرى فليس للاسلام مؤسسة كالكنيسة في الغرب ولا صراع في الاسلام بين الدين والعلم ، ولا بين الدين والعقل ، ولم يؤيد الاسلام ابدا ظلم الملوك والامراء المستبدين بل كان دائما ضد الظلم والطغيان والاستبداد ، واذا كانت المسيحية قد قررت ان ما لقيصر لقيصر وماالله لله ، فان الاسلام قرر منذ أول يوم فيه ان الكل خالص لله « **له مافي السموات ومافي الارض وما بينهما وماتحت الثرى** » (٦ : طه) . « **وله من في السموات والارض** » . (١٩ : الانبياء) . ولذلك فإن الشعار الذي يرفع أحيانا « **الدين لله والوطن للجميع** »

فيه انحراف عن الاسلام وشبهة الشرك بالله فالصلة التي تربط الدولة بالدين أو السياسة بالدين هي من خصائص الاسلام ومميزاته ، وإذا كان الغرب معذورا في ابعاده الدين عن السياسة او عن الدولة بسبب سيطرة رجال الكنيسة وظلمهم ، فانه لا عذر للمسلمين في ذلك اذ ما عرف الاسلام الا انه محرر للشعوب ولا عرف علماء الدين في تاريخ الاسلام الا انهم قادة للامة في قول كلمة الحق ودفع الظلم والجهاد في سبيل الله فلا كهنوت ولا رهبانية ولا طبقة تسمى رجال الدين في الاسلام ولا متاجرة بصكوك الغفران وان من يطبقون الفصل بين الدين والدولة على الاسلام انما هم كالببغاوات تردد ماتسمعه من سيدها ، واذا كانت القرون الوسطى تمثل في اوروبا فترة قاتمة مظلمة وهي فترة الصراع بين الكنيسة والدولة فهي تمثل في تاريخ المسلمين مجدهم وعزتهم ولذلك ترى مدى جهل اولئك الذين يرددون في وجه المطالبين بحكم الاسلام القول : أنكم تريدون ان ترجعونا الى عهد القرون الوسطى ، واذا كان الغرب قد قضى على نفوذ رجال الكنيسة في العصر الوسيط ، فأننا نرى في العصر الحديث ارتباطا بين الدين والدولة او بين الدين والسياسة وبشكل آخر ، فقد أسست أحزاب سياسية على انها مسيحية ، فهناك الحزب الديمقراطي المسيحي في ألمانيا والحزب الديمقراطي المسيحي في النمسا والحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا ، وفي بريطانيا تعتبر الملكة رئيسة الكنيسة ، ولا يخفى مايمارسه البابا في الفاتيكان من تدخلات في شؤون العالم السياسية وحتى بولندا البلد الشيوعي للكنيسة فيه دور سياسي اتضحت قوته في

الفترة الأخيرة ، ولكن يوجد عندنا من ينكر مثل هذا الارتباط على الاسلام ، لان الصهيونية والماسونية والاستعمار يريدون ذلك ، وقد يموهون على العامة بأن ابعاد الدين عن السياسة يحفظ له قدسيته واحترامه ، وهم يعلمون ان احترام الدين وتقديسه هو في اتباع هديه وتطبيق أحكامه مع انهم اذا شاؤوا وكانت لهم مصلحة خاصة ادخلوا سياساتهم الحمقاء في الدين ليشوهوه ، فالسياسة في مذهبهم حرة ولها الحق كل الحق في ان تتدخل في الدين وليس للدين الحق ولا بعض الحق في التدخل في الشؤون السياسية .

والقومية أيضا من نتاج الفكر الغربي وقد قامت دعوة القوميات في تركيا والبلاد العربية وغيرها من بلاد المسلمين مرتبطة باللادينية ، فالذين بشروا بالقومية في البلاد الاسلامية والعربية كانت نظرتهم علمانية بحتة فأبعدوا الاسلام عن أسسها وأنكروا الأخوة الاسلامية بين الاجناس التي جمعها الاسلام ، تلك الاخوة التي قررها رب العالمين في محكم تنزيله « **انما المؤمنون إخوة** » وأعادوها عنصرية وعصبية كتلك العصبية الجاهلية التي أدانها رسول الاسلام عندما بدرت من بعض المسلمين قائلا لهم « **ما بال دعوى الجاهلية دعوها انها منتنة** » .

رواه البخاري وقال عليه الصلاة والسلام أيضا « **ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا قاتل على عصبية** » . رواه أبو داود ولم ينس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلقى خطبته في حجة الوداع أن يذكرهم بنعمة الله عليهم وامتنانه على أن أذهب عنهم هذه العصبيات فقال : « ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بالآباء والاجداد ، الناس لادم وآدم من تراب ، لافضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى » . أخرجه أبو داود والترمزي .

فمن اصالة الفكر الاسلامي إيمانه بالوحدة البشرية القائمة على أساس وحدة المنشأ والمصير ، وقد أعلن الاسلام الاخوة الانسانية وبشر بالدعوة الى العالمية ، أما حكمة التقسيم الى شعوب وقبائل فهي للتعارف أما التفاضل انما هو بالتقوى والعمل الصالح . يقول الله تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات/١٣ ويقول تعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا**)النساء/١ .

وللانسان الحق كل الحق في أن يحب قومه ويحب الخير لهم بل إن ذلك من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على هداية قومه حتى قال له ربه : (**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**)فاطر/٨ . (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث

أسفا) الكهف/٦ الكهف . واذا قصدنا من القومية الواقع اللغوي والتاريخي والثقافي والجغرافي والاجتماعي لشعب من الشعوب ، وأبعدنا عنها العصبية والعنصرية وجعلناها في اطار الرسالة الانسانية المشتركة بين بني البشر جميعا فاننا لن نكون مخالفين في ذلك مبادىء الاسلام على أن نقيم نحن المسلمين حكم الاسلام في هذا الواقع وليس بالضرورة ان تكون لنا دولة واحدة ، فالعرب باعتبارهم شعبا واحدا متجانسا وله لغة واحدة يقيمون كيانا واحدا مستقلا ، وكل شعب من الشعوب الاسلامية يقيم له دولة وتجمعهم جامعة اسلامية ، وعلى هذا الاساس يمكن للمسلم الملتزم بالاسلام إن يقبل فكرة القومية العربية ولكن من المؤسف أن دعاة القومية عندنا استغلوا العاطفة الصادقة في نفوس المسلمين فخلقوا للقومية فلسفة منمقة ومفهوما مستقلا عن الاسلام وانطلت دعوة العصبية القومية هذه على بعض دعاة الاسلام بعبارات مثل التراث والتقاليد لانه يراها تنسجم مع رغبته في الحفاظ على الشخصية الاسلامية والمسلم يؤمن بالاسلام لا على انه من تراثه وتقاليده بل لانه تنزيل من عزيز حميد يحقق السعادة في الدنيا والآخرة ، فليس الاسلام تراث قوم ولا تقاليد قوم وانما هو دين من الله جاء الى الناس كافة فاذا نحن خدعنا بهذه العبارات واندفعنا في اتجاه العادات والتقاليد والتراث فلكل شعب عاداته وتقاليده السابقة على الاسلام ، ويحرص أعداء الاسلام على بعثها وإحيائها لتكون منطلقا للانقضاض على الاسلام وعائقا لانتشاره بين غير المسلمين وبذلك نكون قد ساعدناهم على تحقيق أهدافهم المعادية للاسلام ، وقد أقام الاسلام الوحدة على أساس الفكر لا على أساس الدم فالدين هو أساس الاخوة بين المسلمين .

أما الفكرة التي سلبت ألباب جمهور عظيم من أبناء المسلمين وسيطرت على أفكارهم فهي الفكرة الماركسية او الشيوعية . فآراء ماركس ومعه انجلز الدستور والاساس للفكرة الشيوعية او الاشتراكية العلمية كما يروق للبعض أن يسميها وهي مبنية على مبدأ النقيض ، فكل شيء في نظرهم يتضمن نقيضه وينتقل الشيء الى نقيضه حتى يصل الى نقطة معينة فيحصل التغيير المفاجىء ، ويطردون هذا المبدأ في جميع الاشياء الطبيعية وغيرها حتى في المجتمعات ، فالنظام الملكي يتحول الى النظام المقابل له والاقطاع يتحول الى الرأسمالية ، والرأسمالية لابد وان تتحول الى الشيوعية والتحول عندهم يكون الى الاحسن فالرأسمالية لابد ان تتحول من الرأسمالية ، وسموا ما يتعلق بالمجتمعات بالصراع بين الطبقات او الصراع الطبقي ، وعندهم العوامل الاقتصادية هي الدوافع وراء كل الاعمال الانسانية على مدار تاريخ البشرية وموقف الشيوعيين من الاديان موقف معاد ، فهم يعتبرون الاديان مخدرة للشعوب وأنها من صنع الاقطاعيين والبرجوازيين من أجل بقاء سيطرتهم ونفوذهم على الطبقات الكادحة ، وأن الاله خرافة وحولوا الالوهية الى الدولة وجعلوا العلم المادي هو مصدر التوجيه الوحيد في حياة الانسان ، وذلك ان

الشيوعية تنكر ماوراء الحس والمشاهدة ، وفي الوقت الذي لا يرى الشيوعيون شيئا مقدسا ينسون انهم يدعون الى عبادة الدولة ويضفون على قيادة الحزب الشيوعي قداسة لا حدود لها ويدعون ان الماركسية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

أما نظرتهم الى القيم والاخلاق فتنبع من اعتقادهم عدم ثبات القيم ، فتقاليد الاسرة وعلاقة الجنسين لابد ان تتطور الى الافضل ، والافضل في نظرهم هو الحياة الحيوانية بين الجنسين ، وأن تتبنى الدولة الاطفال الشرعيين وغير الشرعيين ، وتطبيقا لمبدئهم وهو انتقال الشيء الى نقيضه يقتضي تحول الشيوعية الى نقيضها ، ولكنهم هنا يصمتون صمت القبور ، ولا يطردون هذا المبدأ على شيوعيتهم ويوقفون حركة التاريخ عند الشيوعية باعتبارها الهدف الأسمى للبشرية والجنة الموعودة في هذه الارض ، حيث يكون الناس جميعهم طبقة واحدة متساوية ، ولم يعودوا في حاجة الى قوة بوليسية تحمي اهل السيادة ، فاذا انتقل الشيء الى مقابله ثم انتقل المقابل الى جامع بين الشيء ومقابله ، وسيكون هذا الجامع هو الموحد بين المتقابلين ، فرأس المال سينتقل من الرأسماليين الى العمال ثم ينتقل الى الدولة ، والدول الصغيرة سيكون بينها الصراع ، ثم ان هذا الصراع سينتقل الى دول كبرى ، والصراع بين الدول الكبرى ستكون نتيجته عالما موحدا ، ثم لاداعي بعد ذلك الى وجود دولة وكلها خيالات ، وتخمينات يصوغونها في قالب علمي ، وقد رأينا ان بعضا من تنبؤات ماركس التي اعتبرها الشيوعيون قواعد علمية لا تقبل النقاش قد تبين زيفها ، فقد تنبأ ماركس ان الثورة الشيوعية ستقوم اولا في اكثر البلاد تقدما في الصناعة وقد رشح لذلك المانيا او بريطانيا ، فقامت في أكثر البلاد تخلفا في اوروبا وهي روسيا ، ولولا مساعدة الغرب للثورة الشيوعية في روسيا بقيادة لينين سنة ١٩١٧ لما انتصر ، فلينين نفسه هيأ له الالمان الذهاب الى روسيا لقيادة الثورة ، وهذه المساعدات من الدول الغربية للشيوعيين كانت نكاية لروسيا القيصرية التي كانت تناصبهم العداء ، فلا زالت الشيوعية في دعايتها تعتمد على أخطاء الغرب من مواقفه الاستعمارية للشعوب وفي الحرب العالمية الثانية لولا الدعم الهائل من امريكا للاقتصاد الروسي وإمدادها للاتحاد السوفيتي بالتكنولوجيا والخبراء الغربيين لاضمحلت الشيوعية ، فوقعت روسيا فريسة تحت اقدام هتلر ، واليوم فان لموقف أمريكا والدول الغربية من قضايا الامة العربية والاسلامية ومناصرة الغرب للظلم الصارخ في فلسطين وتحيزه الكامل لاسرائيل تأثيرا كبيرا فان الشيوعية في حد ذاتها قد فشلت فشلا ذريعا من حيث التطبيق ، وقد تبين ان العمال ـ كانوا مخدوعين فيها ، وقد جاءت في زعمها من أجل العمال لتدفع عنهم الظلم والاجحاف ، فماذا حدث بعد ذلك ؟ أن أحداث المجر سنة ١٩٥٦م . وتشيسلوفاكيا سنة ١٩٦٥م . والان أحداث بولندا سنة ١٩٨٠م ـ وسنة ١٩٨١م . والسور المكهرب المحيط ببرلين في المانيا الشرقية ، كل ذلك قد

اعطانا الدليل القاطع ان الشيوعية بالنسبة للعمال والشعوب ماهي الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . فقد كان العمال قبل قيام الحكم الشيوعي يستطيعون ان يطالبوا بحقوقهم بمختلف الطرق ولهم حق الاضراب والاحتجاج بكل الوسائل ، أما بعد قيام الحكم الشيوعي فلا حق لهم في أي احتجاج ولا إضراب ولا مطالبة بزيادة اجور ، وأصبح العامل مجرد آلة مسخرة للدولة ، لان الدولة بزعمهم هي دولة العمال ، وبعد ان كان يجد من ينصفه من صاحب العمل ويحتكم اليه ، فلم يعد له في النظام الشيوعي أي ملجأ ، لان صاحب العمل هو الدولة وهي الخصم والحكم ، واستأثر القادة الشيوعيون بالمناصب وسكنوا القصور والدور الفخمة وتمتعوا بكل مالذ وطاب وأحلوا لانفسهم كل شيء ، وتركوا ابناء شعبهم يعيشون في فقر مدقع .

والان وقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها ولم تعد تنطلي دعاويها على الشعوب ، ولم يبق أمامها الا ان تقوم أكبر دولة شيوعية في العالم وهي الاتحاد السوفييتي بالغزو المسلح في محاولة منها للسيطرة على مقدرات الشعوب ، وقد رأينا كيف اندفعت قواتها في أكبر هجوم مسلح على شعب مجاور هو الشعب الافغاني المسلم ، فعندما رأى الاتحاد السوفيتي ان الشعب الافغاني يرفض الشيوعية ، وأن عملاءه في أفغانستان الذين اغتصبوا السلطة على حين غفلة وبدعم من الاتحاد السوفيتي من أجل تطبيق الشيوعية في أفغانستان ، قد بدأوا يتساقطون تحت ضربات الشعب الافغاني المجاهد فلم يسع الاتحاد السوفيتي الا ان قام بهجومه البربري ولكن الشعب المسلم في أفغانستان الذي لايرضى بالاسلام بديلا منذ رفرفت عليه راياته بقيادة محمد بن القاسم الثقفي لن يتوقف عن الجهاد في سبيل الاسلام ومن أجل دحر الشيوعية عن بلاده ، ولعل من المبشرات بالنصر ان يواكب هذا الجهاد الصحوة الاسلامية التي عمت الشعوب المسلمة والتي قد امتدت الى داخل الاتحاد السوفيتي نفسه في الجمهوريات الاسلامية التي تعاني من القهر الشيوعي ، ان الشيوعية اليوم تتقهقر في المجال الفكري أمام البعث الاسلامي المتدفق ، هذا البعث الذي رأيناه أيضا قد بدأ يتأجج بين المسلمين في الارض المحتلة فلسطين ، وقد بدأت اسرائيل تشعر بخطره عليها أكثر من أي خطر آخر ، اذ كل أعداء الاسلام يعرفون ان انبعاث الروح الاسلامية على حقيقتها هو الكفيل للقضاء على أطماعهم في بلاد المسلمين ان فلسطين لن تحرر بالقومية ولن تحرر بالاشتراكية ولن تحرر بالماركسية ولن تحررها المحافل الدولية ولا قرارات هيئة الامم ولا مجلس الامن ولا مؤتمرات القمة ولا دول المواجهة ولا الصمود ولا اتفاقيات معسكر داود ، انما ستتحرر بالاسلام كما تحررت وفتحت بالاسلام .

ان صلاح الدين الايوبي عندما انتزعها من أيدي الغزاة الصليبيين بعد ان احتلوها ثمانين عاما لم ينتزعها الا بعد ان جمع المسلمين ووحد مصر والشام على فكر اسلامي واحد وثقافة اسلامية واحدة ثم بعد ذلك رفع شعار الاسلام الخالد

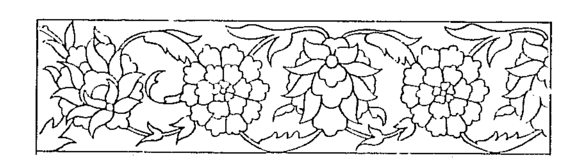
الله أكبر ولله الحمد ، فلا أكبر من الله جل جلاله ولا حمد الا لله رب السموات ورب الارض ، وقد وعى المسلمون آنذاك قول ربهم **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** الانفال : ٦٠ . فدخلوا الحرب على استعداد كامل في العدة بعد أن عمروا قلوبهم بالايمان والثقة لما أعد الله لهم من جنات عرضها السموات والارض ، فلم يدخلوا الحرب بقلوب خاوية وأسلحة فاسدة ، وانما دخلوها بقلوب مليئة بالايمان تراقب الله وتخشاه وتطيعه بالليل والنهار ، فلا يترفهون بالليل على الجنس وموائد الخمور والقمار ولا يولون الادبار عند احتدام القتال بالنهار ، وانما يقضون ليلهم في ذكر الله وطاعته ، ولا يترفهون بما يغضب الله ، وان كانوا يروحون عن انفسهم أحيانا بمالا معصية فيه وبما أحله الله ، واذا حمى وطيس المعركة ثبتوا كالرواسي وخاضوا غمارها كالاسود الكاسرة .

ولعل أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه الذي ينظر بنور الله ، قد استشعر ما ستؤول اليه حال العرب والمسلمين اليوم من تفريط في الاسلام ، مما سيؤدي الى ضياع وتفريط في أوطانهم وفي مقدمة تلك الاوطان القدس وفلسطين ، ومن العجب ان يستشعر عمر ذلك وهو على مشارف بيت المقدس فقد روى الحاكم وقال صحيح على شرطهما عن « طارق خرج عمر رضي الله عنه الى الشام ومعنا ابو عبيدة فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل وخلى خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض ، فقال ابو عبيدة يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا ؟ ماسرني اهل البلد استشرفوك . فقال : أوه ولو يقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لامة محمد إنا كنا اذل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » . وانما قال عمر لأبي عبيدة لو كان غيرك لجعلته نكالا لامة محمد أي لعاقبته ليكون ذلك ردعا لمن بعده ، لانه عرف من أبى عبيدة حسن النية والاخلاص ، وقد كان ابو عبيدة قائدا للجيش .

وانظر إلى جواب عمر فقد جعل القضية ، قضية اسلامية ككل ولم يحصرها في ملاحظة ابى عبيدة المحدودة .

وأخيرا فرحم الله الامام مالك بن أنس الذي قال لا يصلح آخرهذه الامة الا بما صلح به أولها .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .





● الصدقة جزء من المال غير محدد المقدار يخرجه المالك من ماله لأصحاب الحاجة سدا لحاجتهم وابتغاء لمرضاة الله .. وقد تكون محددة المقدار كصدقة الفطر .. التي يخرجها المستطيع القادر الحر عن نفسه وعمن يعيل قبل الخروج إلى صلاة العيد .

● يقول الله في محكم التنزيل مخاطبا نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » . ويقول سبحانه « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل** » .

ويقول تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ... » إلى آخر الآية الكريمة في سورة البقرة .

ومن هذه الآية يتضح أن في المال حقا غير الزكاة ... فالزكاة مقدرة القيمة ، ولها نصاب ، وتستحق وقت حصاد الزرع الى غير ذلك من الشروط ، أما قوله « **آتى المال على حبه** » فإنها تعني الصدقة بلا حدود .

● والصدقة الجارية : هي التي يمتد أمرها إلى ما بعد انقضاء أجل صاحبها في الحياة الدنيا .. وذلك كبناء المساجد ، أو إنشاء المكتبات ليستفيد منها طلاب العلم والمعرفة ، أو تشييد مدرسة يتلقى فيها أطفال المسلمين دروس التربية الاسلامية ، أو تعبيد طريق يسهل للناس حياتهم ، أو إنشاء مصانع ، ومستشفيات ، وشق ترع وقنوات ، إلى غير ذلك مما يعود بالنفع على جموع المسلمين .

● أليس من الصدقة الجارية أن يربي الانسان ولده تربية إسلامية صحيحة ؟ .. فينشأ الولد على الخلق الكريم والآداب السامية ، فيحسن التعامل مع الناس ، ويعرف لكل ذي حق حقه ، ويتحلى بالأمانة والصدق والشرف . فيكون لبنة صالحة في بنيان المجتمع الاسلامي .. ويكبر الولد

فيصير والدا ويربي أولاده كما رباه والده .. أليس ذلك أثرا طيبا موصول العطاء يفيد المجتمع بأسره ؟ .. وهل يفعل مسلمو اليوم ذلك .. أم أن الكثيرين يتركون الحبل على الغارب لأولادهم حتى إذا ما سقطوا في مهاوي الرذيلة .. حاولوا العلاج بلا فائدة .. فقد استفحل الداء واستعصى على العلاج ووسائل الإعلام المختلفة من صحافة منحرفة أو «سينما» هابطة ، أو «فيديو» ينشر الرذيلة كلها عوامل إفساد وإضلال . فإذا ما نشّأ والد أولاده ، برغم هذا الوسط - تنشئة إسلامية فإنه بذلك يساهم في نشر الفضيلة بعد وفاته .. فتكون له صدقة جارية .

● وعلماؤنا الأفاضل الذين ألّفوا في فروع العلم ، وخدموا دين الله ، ونفعوا البشرية ، وما نزال نعيش على موائد فكرهم إلى اليوم .. أليس الذي صنعوا من الصدقة الجارية .. يصلهم ثواب جميل صنيعهم إلى اليوم وإلى ما يشاء الله ؟!

● هل هذا العالم الذي يخترع اختراعا يفيد البشرية .. في مجال الطب ، والزراعة ، والصناعة ، والتكنولوجيا وغير ذلك مما يفيد الناس في معاشهم .. أليس صاحب صدقة جارية ؟

● إن الصدقة الجارية بمفهومها الواسع لا تقتصر على مجرد العطاء المادي .. بل هي واسعة شاملة كل ما ينفع الناس في حياتهم وآخرتهم .

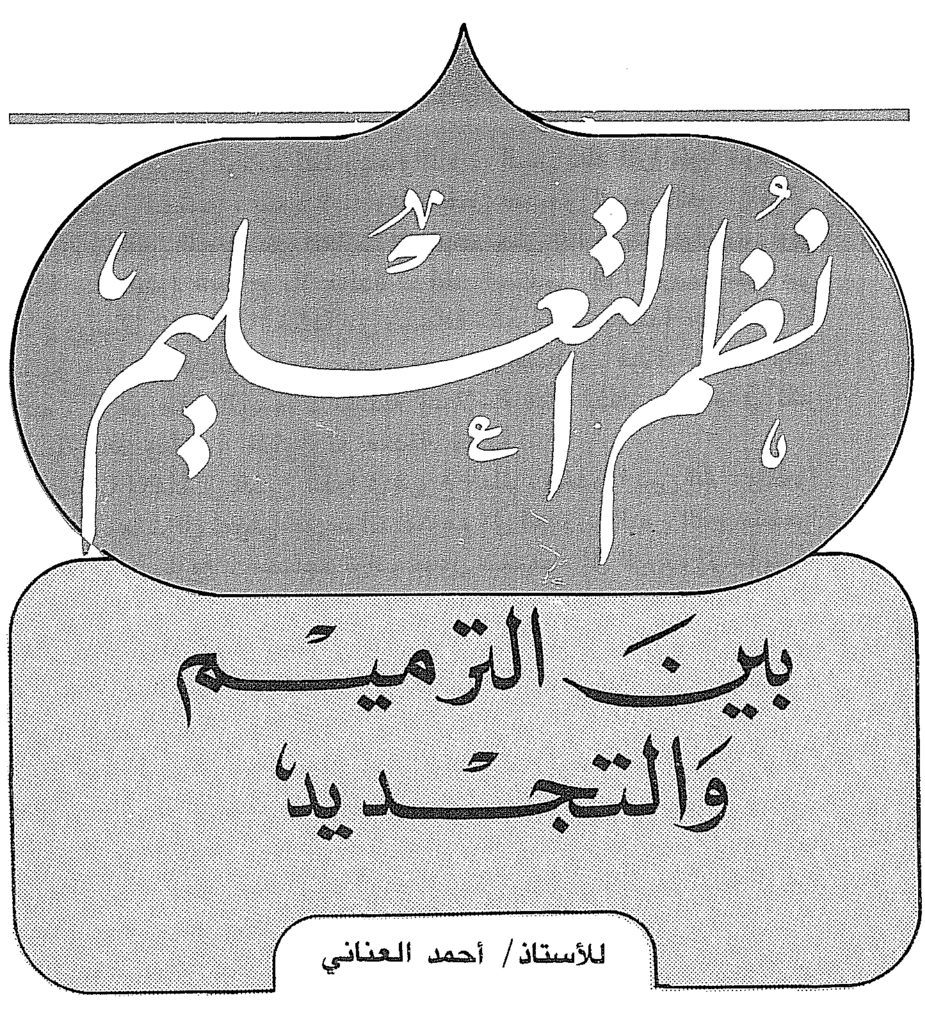
● وغير المسلمين ممن اخترعوا اختراعات أفادت البشرية جمعاء في مجالات مختلفة .. في الكهرباء ، وفي الأدوية التي نعالج بها مرضانا .. وفي المصانع .. وفي غير ذلك .. ما جزاؤهم ؟ ..

إن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا .. فهؤلاء ذاع صيتهم .. واكتسبوا شهرة في الدنيا ، وخلدت أسماؤهم في سجل العلماء .. وذاك هو جزاءهم في الدنيا - أما عند الله في الآخرة .. فلا نصيب لهم .. هكذا أراد الله .. فلاحظ إلا لمن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .. ذاك قبل الأعمال ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

● وهل لمسلمي اليوم أن ينهضوا - أو تنهض طائفة منهم - ليكونوا روادا في كل مجال .. كما كان المسلمون الأوائل ؟ أو على الأقل ليساهموا في مجالات الحضارة المعاصرة .. لتكون لهم الذكرى الطيبة والعاقبة الحسنى ..

هذا ما نأمل ... وبالله التوفيق ،

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :
« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .



- الأزمة الراهنة في نظم التعليم الغربية وتكهنات صائبة لمفكر أوروبي .
- جناية « الكم » على الشعوب الفقيرة .
- يجب أن نبدأ من حيث انتهى المسلمون قبل عشرة قرون .
- رضوان الله والنفع هدفا التعليم الأساسيان ...
- دور المسجد والمعمل والحرفيين .
- يجب أن نخرج من السرداب بهداية القرآن والسنة ومعلمينا العظام .

● ● ●

هناك أزمة كبيرة في موضوع التعليم تكاد الشكوى منها تعم العالم كله وان كانت في الواقع آخذة سبيلها لتأزم مكرب في سائر بلدان العالم الثالث بخاصة ، والبلدان الصناعية بعامة .

ونحن في الشرق الاسلامي كما سنرى لاحقا في هذا المقال استجلبنا هذه

لمصيبة الى جحورنا استجلابا أحمق نتيجة مؤامرة التقليد الأعمى للغرب خلال القرن الراهن .. ولو كنا توقفنا قليلا لنفكر فيما يصلح أو لا يصلح لنا ، ولو راجعنا حتى أبسط طرقنا البدائية في التعلم لكنا جديرين بقدر أقل من العذاب والندم للأوضاع التي انتهينا إليها .

ولكن ما هي هذه الأزمة ؟ انها أزمة تعميم التعليم بالأساليب المطبقة حاليا في فتح أبواب مختلف المراحل الدراسية أمام كل الأولاد في المجتمع دون تمييز أو استثناء .

ولأول وهلة قد يتساءل البعض : وأي ضرر في ديمقراطية التعليم أليس من حق الناس أن يتعلموا بقدر ما هو من حقهم أن يستنشقوا الهواء وينالوا ولو أدنى الغذاء ؟ أليس ذلك أجدر بأن يضمن لنا وصول الناس جميعا لحقوقهم ، ومعرفتهم واجباتهم واحسانهم المساهمة في إعمار أوطانهم ؟

وهنا ، ومن هنا أيضا جاء الخلط في هذا الموضوع الكبير ... إذ ليس لأحد اعتراض على مبدأ التعلم والتثقف انما الموضوع المطروح هو ماذا نتعلم ، ومتى ؟ وكيف ؟ ومن الذي يتحمل نفقات التعليم اذا كان تنفيذه سيكون على وفق الطريقة المطبقة حاليا من فتح الصفوف وتقسيم الحصص لاستيعاب نفس المناهج التي تدرس حاليا ؟ وكيف يمكن أن تحتمل البلدان النامية بخاصة كل النفقات المخيفة لبناء المدارس وصيانتها وربما توفير سبل المواصلات إضافة إلى أسرة التدريس من معلمين وموجهين ومشرفين اجتماعيين وفراشين وخدم ، ناهيك عن الكتب المدرسية وأدوات الاستهلاك المستمر في المدارس ... ، وكذلك نفقات الادارات التعليمية ووسائل الايضاح وأجهزة المختبرات ونفقات المكتبات وتنظيمها وتسييرها ...

إن فرض العبء على كاهل أية أمة فقيرة بهذه الكيفية انما يعني أن ينوء ذلك الكاهل مهما كان متينا بذلك العبء ، وفي العادة فإن النتيجة مفهومة ، يهبط « الكم » بقدر التوسع في « الكيف » هبوطا وئيدا في البداية ، ثم يتحول إلى انحدار فانحلال تام في العملية التعليمية كلها ... إننا في الواقع نقاسي حتى اليوم من الأخطاء الكبرى التي جاء بها الانقلاب الصناعي الهائل في أوروبا حين أصبحت القارات الأربع سوق استهلاك ضخم للبضائع الأوروبية ، ومستزرع غذاء ومصدر مواد خام رخيصة لبطون أبنائه - أعني الغرب الصناعي - ومطالب مصانعه وشركاته الاحتكارية الضخمة .

لقد أدت العجلة والارتجال في تلبيته مطالب ذلك التغيير إلى فوضى هائلة وأخطاء ما تزال تقتضي الناس العذاب في كل مكان ، فالصناعيون الرأسماليون باتوا يعبدون الربح بأية وسيلة ، ويدخلون الى المناجم والمصانع والأراضي المستغلة لصالح الشركات ، النساء والأطفال والعبيد المنهوبين في رابعة النهار من مزارعهم

وقراهم ... وكانت النتيجة قيام أوضاع عاتية من شدة بؤس أولئك العاملين ولا سيما النساء والأطفال وخصوصا أنهم تكدسوا في أحياء واسعة من الأكواخ الركيكة وشبه البيوت الضيقة المبنية كما اتفق مما جعل من مساكنهم مباءات للجريمة والسوء وأدى الى قيام حركات عمالية متشددة في تحقيق مطالب عاطفية متطرفة منها مساواة الرجل بالمرأة ليس فقط في أجور العمل ولكن في كل وضع وحق دون أي استثناء . ومفهوم أن يكون الأجر عادلا لكنه ليس مفهوما أبدا أن نلغي كل الفروق بين المرأة والرجل بالرغم من الاختلاف الكبير في البنية الطبيعية وما يتبع ذلك من أمور خاصة بالمرأة من حمل وميلاد وتنشئة ، الأمر الذي أدى الى شيء كثير من الانحلال الخلقي .

كذلك وفي نفس المناخات المتوترة نشأت الدعوة الى فتح أبواب المدارس لسائر الأطفال من سن معينة دون أن تكون هناك رؤيةمسبقة في شأن الارهاصات والمشكلات التي قد تنجم عن مثل تلك التوجهات النظرية التي لم تدرس فيها النفقات ولم تحدد الأهداف المتوخاة ، والتنسيق بين حاجات التعليم وضرورات الاقتصاد ، وكذلك بين برامج التعليم ومقتضيات التطور التقني الهائل في كل مكان بالعالم الآن ..

وليس سرا أن مستويات التعليم بكل مراحله في معظم العالم ولا سيما العالم الثالث تعاني هبوطا خطيرا في المستويات الدراسية وهبوطا متواصلا أيضا ، كما أن الآثار الناتجة عن ضآلة المخصصات المالية للتعليم في عالم الفقراء الثالث يسارع الآن بالعملية التعليمية الى حالة من الانحلال التام .

تكهنات صائبة لمفكر أوروبي :

ولقد كان المفكر البريطاني برتراند رسل تكهن في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بأواخر الأربعينات أن تؤدي « ديمقراطية التعليم » في كل العالم الثالث إلى حالة الانحلال التي تعانيها المدارس اليوم ، وبالتالي لقيام الدكتاتورية التي تدعي القدرة على حل أمثال هذه المشكلة ولكنها في الواقع لا تزيد الأمور الا تعقيدا .. ذلك بأنه لا يمكن أداء رسالة المعلم بالكيفية الدعائية الغوغائية التي يستهدفها بعض الشباب خصوصا وان العقلية التي تتفاعل مع مثل هذا الوضع هي نفسها التي تنفق فوق طاقة البلاد على شؤون مرتجلة وبمقررات عاطفية ، وها نحن نرى بلدا كبريطانيا يعاني الأمرين من أمثال هذه النفقات ، مع أنها كانت أحسن بلدان العالم اقتدارا على تسيير سياسة تعليمية ليبرالية كما يقولون ، والسبب واضح ، وهو عجز تلك البلاد ، بدون موارد امبراطورية ضخمة ، عن الوفاء بمتطلبات جهاز تعليمي مرتفع السوية بمجرد موارد بريطانيا الحالية وليس سرا أن أعدادا ضخمة من المدارس البريطانية خارج الحواضر الكبرى أصبحت في أوضاع مزرية ولا تصلح لإيواء الطلبة ، فضلا عن أن مستوى المعرفة

والانضباطية عند الطلاب ومستواهم الخلقي عموما أصبحت كلها مهزلة من المهازل ..

ذلك في بريطانيا فكيف الحال ببلاد قد لا يصل معدل الدخل القومي فيها خمسين دولارا للرأس في ظروف الغلاء الفاحش في عالم اليوم وكيف يمكن لمثل هذه البلاد باتباع ديمقراطية التعليم أن تظفر بأية نواة من العلماء الاختصاصيين من أبنائها في أي وقت ... ؟

وتوضيحا لما أريد أطرح مجموعة من الأسئلة على سبيل المثال لا الحصر طبعا

السؤال الأول : لماذا يجب أن ينفق الطالب والطالبة اثنتي عشرة سنة دراسية قبل الوصول لأدنى مستوى يؤهل لطلب الالتحاق بالجامعة ؟

والسؤال الثاني : لماذا يجب أن يدرس كل الطلاب سائر موضوعات التاريخ والجغرافيا والعلوم وعلم الاجتماع ومبادىء الفيزياء والكيمياء والأحياء والجبر والحساب والهندسة واللغة الأجنبية وقد تكون أكثر من لغتين أحيانا ؟

وسؤال ثالث : لماذا الرياضيات حتى لطالبة الفرع الأدبي والى نهاية المرحلة الثانوية ؟ ثم إلى متى تدريس النحو على نفس أسلوب أجدادنا الأولين ، والى متى تبقى العملية التعليمية بهذا التخشب الذي ورثته عن صفوف السكسون في القرن الماضي .

ثم إلى متى نسوق التلاميذ حتى للجامعات سوقا لكي يكونوا حلية ضمن افتخارات آبائهم وأمهاتهم ؟

مزايا التعليم الاسلامي :

ويا لله ما أروع العملية التعليمية التقليدية في الاسلام ، وما أعظم جدواها وأقل كلفتها اذا ما قيست بهذه النظم المتخشبة التي أخذناها قوالب مصبوبة لكي نظهر في مستوى الدنيا التي تتعلم .

وتعال معي نستذكر جوانب من تلك العملية .

أولا : في مجال التثقيف العام وارتفاع مستواه معروف أن الإسلام فرض قدرا أدنى من الثقافة الدينية التي تمكن من أداء الفروض وتمييز الحلال من الحرام ، وحسن تلاوة القرآن والالمام بالحديث الشريف وهذه عملية حياتية مستمرة يساهم فيها المتعلم نفسه بكل الحرص اللازم للنجاة من النار ، ودخول الجنة مع الأبرار ، كما يساهم فيها خطباء المساجد ، والمدرسون في حلقاتهم التثقيفية حيث تتاح الفرصة لكل مسلم ليطرح بحرص ومودة كل تساؤلاته وهي عملية لا تعيقها ممارسة المهنة ، ومخالطة شؤون الحياة العملية وتلتمس عند كل مسلم قادر على العطاء ، وتتداولها الأسرة فيما بينها ويرى كل مسلم ان عليه دورا في تبصير أخيه المسلم في أمور دينه هذه إن هذه الثقافة الاسلامية توفر تدريبا مثاليا في طلب المعرفة مع الحب والحرية والانطلاق وراء قيود الزمان والمكان وبهذه التطوعية

فإن كلفة هذا التثقيف لا تبلغ شيئا يقاس بالنفقات الباهظة لوسائل التثقيف المتخشبة فيما يسمونه بالمدارس النظامية .

ثانيا : مزايا الحلقات الدراسية : إن الذي يعيد للأذهان المزايا العظمى لممارسة الدراسة في الحلقات التقليدية هو الفشل الذريع لعمليات الصفوف المدرسية الاصطناعية وما يواكب دراسة التلميذ فيها من استكراه وملالة وما يصب عليه رغم أنفه من دراسات قد لا يتذوقها ولا يريدها ، بينما نجد الحلقة وقد غشيها أناس بمحض اختيارهم تجاوبوا مع العلم المطروح فيها على من يشاء أن يأخذ .

إن أخذ المعرفة مع المحبة والاختيار الفردي الواعي يوفر علينا كل الجهود والنفقات الضائعة في تطبيق منهج متماثل على ألوف مؤلفة من الطلبة قد لا يكون الا نسبة ضئيلة بينهم صالحة للعلوم التي يحملون على حضور حصصها ومتابعة دروسها وامتحاناتها . إن نظام الحلقات الدراسية الإسلامية يفتح باب التعلم لكل راغب في الوقت والعمر وبالقدر والكيفية التي يستطيعها وتلائم ظروفه المعيشية ، ولا تعطل جهده الآخر في تعلم علم دنيوي أو اكتساب مهارة فنية أو صناعية . كذلك فإن الحلقة الدراسية تفتح باب المناقشات الحرة ، وتهيىء قنوات الفكر لاستقبال روافد جديدة من المعرفة مع الرغبة . ويطول الكلام كثيرا في موضوع الحلقات ومزاياها وربما عدت لها في مقال منفصل .

ثالثا : المعلمون والعرفاء في مجال العلوم الدنيوية والصناعية والتقنية :

لقد كان لكل صناعة عريف في السوق ، والعريف هو كبير الهيئة المسؤولة من معلمي أية حرفة أو صناعة ، فصناعات الكيمياء ، والعطارة ، والأدوية النباتية ، وصناعات النحاس والحديد وما يتبعها من حفر وتطعيم وزخرفة ... كلها تدرس في السوق وعبر الخدمة العملية ومع الحفاظ على أخلاق المتعلم المسلم وضرورة إكسابه ثقافة اسلامية تكمل له شرف التلمذة .

وكان معلمو الصناعات يناظرون تماما أساتذة وشيوخ الحلقات للعلوم الاسلامية والانسانية ، وكان للمعلم وللمتدرب وغيرهما نظم تضبط تطور تدريب المتدرب ، وتبين حقوق المعلم وكانت العلوم المتصلة بكل صناعة تجد لها مختبرات ضمن مؤسسة المعلم .

والآن نرى دعوة عالية للتعويل على التدريب العملي الصناعي وتجديده وتنويعه لنفس المتدرب بين الحين والآخر لمتابعة التطور العلمي الصناعي ، وبعبارة أخرى بدأ العلم في العالم يخرج من حالة التخشب الى وضع عملي مرن يقصد به الحصول على التدريب المؤمن مكانا في المجتمع ، ودورا في الانتاج وبالتالي كسب الرزق الحلال .

رضوان الله تعالى والعلم النافع :

منذ نزلت أول آية في الاسلام بدأت الدعوة للقراءة ولكنها قراءة باسم الله تعالى الذي خلق الانسان من علق ، وهي قراءة موضوعية يراد بها تأكيد هدف الحياة بحسن عبادة الله تعالى ، واكتساب الوسيلة المؤمنة للمعيشة أيضا باسم الله تعالى ، ولنفع النفس عن طريق نفع المسلمين ، من هنا كان الاسلام أول من ربط العلم بالحياة وبالتنمية وبحاجات الأمة ، ومن هنا كان تأكيد المسلمين الدائم على العلم النافع ، ومن هنا رفض المسلمون السحر والشعوذة والتمثيليات الوثنية ، ورفض ما يمكن أن ينحدر بهمة الانسان أو يزري بشرفه وكرامة انسانيته باسم الفن أو ما خالط ذلك من المعاذير المنتحلة لاغتيال أسمى ما في الانسان من دوافع للسمو واحترام الذات .

الخروج من السرداب :

منذ أن وضعت لنا نظم التعليم الغربية ونحن نسير في سرداب مظلم وما زلنا دون الانجاز اللازم لتغيير هذه الحال المحزنة . ان من التوجهات الخاطئة منذ انتشار الوعي الاسلامي الظن بأن من الممكن ترميم نظم التعليم الغربية المطبقة لنا ، والواقع الذي نحتاجه هو نظم جديدة كاملة تصل ما بيننا وبين غاية جهد أجدادنا الى نهاية القرن الخامس للهجرة على الأقل يجب أن نخرج من السرداب المظلم ويجب أن نستعيد دور المسجد والبيت والمصنع والمتجر ومجلس القرية (والديوان) لاستعادة الثقافة الاسلامية الانسانية ، واسترداد وحدتنا الثقافية ومنطلقنا الفكري الواحد من حول القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين إن حاجتنا ماسة جدا لانقاذ العملية التعليمية من قهر الانضباطية الصفوفية ونفقاتها الرهيبة وجوها الخانق ، واستعادة التمحور حول القرآن والسنة كأساس ونواة علومنا الانسانية ، أما علومنا المادية الحياتية فيجب أن نباشرها في المصانع والمتاجر والمخابز وحوانيت المعلمين وشيوخ النقابات .

وبهذه الكيفية فإن الأماثل سيبرزون لأنهم سيدرسون ما يحبون باختيارهم الحر في الحلقات وفي أماكن التدريب الصناعي التجاري

هذا غيض من فيض هذا الموضوع الكبير أردت به أن أثير الهمم لاحترام الذات واستعادة الايمان بنظمنا ورد الاعتبار لتقاليدنا القويمة .

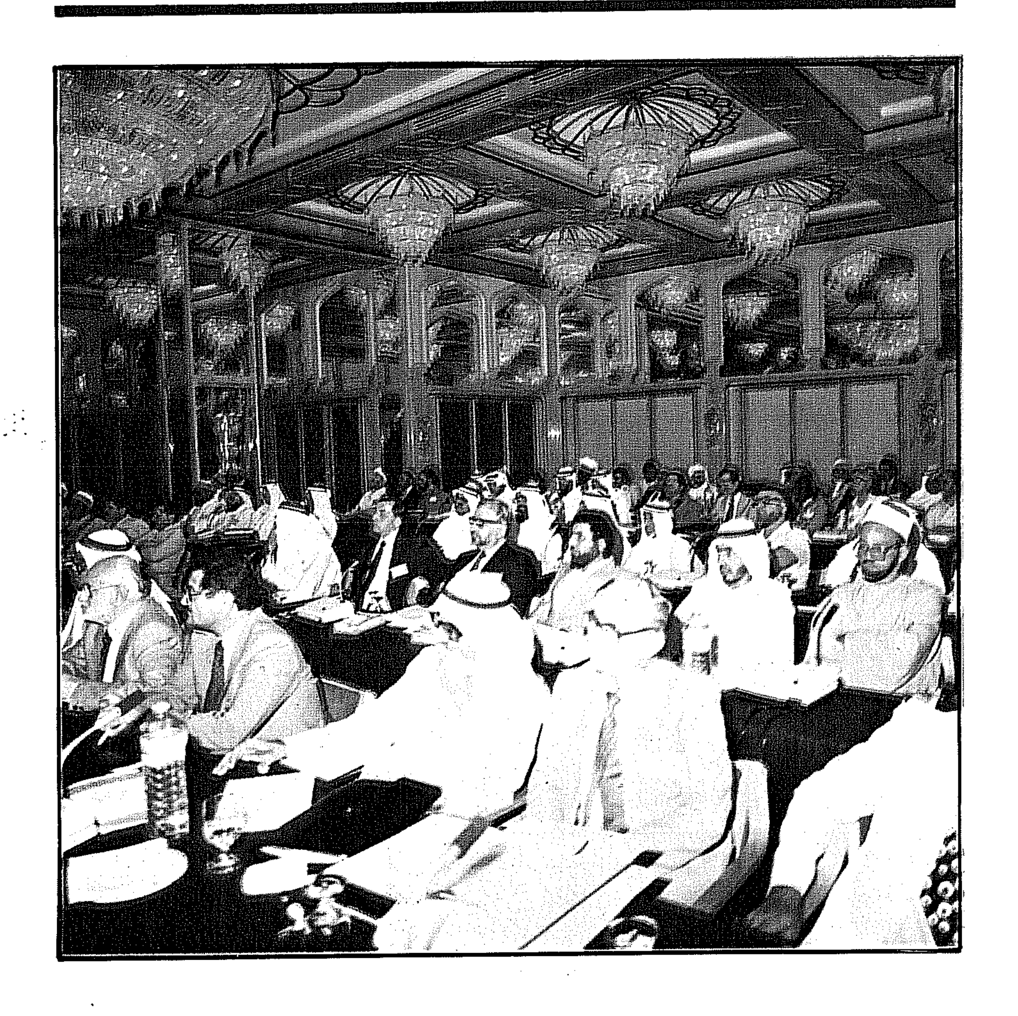




بين التجربة الأولى والطموح الكبير

كتب نبيل الخانجي :

لكل مؤتمر « أول » خصوصية تميزه . إنها مغامرة التجربة الأولى ، بكل ما تحفل به من جدة وطرافة ، وطموح وأمل ، .. ومفاجآت أيضا . ومن ههنا نفهم بوضوح كل ما ظهر في المؤتمر الأول للزكاة : من إدراك للأهمية الكبيرة لهذا الركن الثالث من أركان الاسلام ، ومن ثقل المسؤولية التي يجب أن يتصدى لها علماء المسلمين ، ومن قضايا عدة معاصرة تطرح عددا كبيرا من الأسئلة تنتظر الحلول ، ونفهم كذلك : لماذا برز هذا التنوع في الآراء ، ولماذا اصطبغت بعض المناقشات بألوان الحماسة المحببة ، على الرغم من الطابع العلمي الصرف الذي كان جو المؤتمر الأصيل ، وعلى الرغم من ضيق الوقت ضيقا أجمع عليه المشاركون .



○ صنفان من العلماء

لقد اجتمع في المؤتمر صنفان من العلماء : الأول يضم المتخصصين في علم من العلوم المتعلقة بالزكاة كالمال والمحاسبة والقانون ونحو ذلك ، والثاني يشمل الفقهاء والأصوليين . والحق ان وقت المؤتمر الوجيز لم يتح لهؤلاء وأولئك ضربا من التفاعل العميق الذي لا بد أن يأخذ مداه الكامل ليتسنى للجميع إنضاج القضايا المعروضة إنضاجا فنيا وشرعيا كاملين .

○ اتجاهات في المنهج

وبرز في المؤتمر اتجاهات في المنهج : فبعض المشاركين كانوا ينطلقون من نظرتهم إلى واقع المسلمين اليوم الذي يبتعد قليلا أو كثيرا عن الاسلام وأحكامه ومفاهيمه وطرائق عيشه ، والذي تهيمن عليه أنظمة اقتصادية ومالية لا تقوم في كثير من جوانبها على أساس من أحكام الشرع الاسلامي ، والذي ظهرت فيه حاجات وأوضاع معاصرة هي نتيجة هذا كله . وقد برز لدى هؤلاء

المشاركين ميل إلى التوسع في بعض مدلولات النصوص الشرعية ، ودعوة إلى الاعتماد على ما أطلق عليه « روح النص » .

غير أن هناك منهجا آخر برز في المؤتمر ، استمسك به آخرون من المشاركين ، ورأوا أن من الافتئات على النصوص الشرعية وأحكام الشرع أن نقول بالتوسع في مدلولاتها ، وأن من الخطأ أن تتحمل نصوص الشرع أوزار واقع غير قائم على الأحكام الاسلامية ، وأن من الضروري - بل من الحتم الشرعي - أن نلتزم التزاما دقيقا بمدلولات النصوص الشرعية المحددة .

○ طرائق في الاصلاح

وكذلك ظهر أكثر من اتجاه في فهم طريقة الوصول إلى حل للمشكلات القائمة في العالم الاسلامي ، فبعض المشاركين كان يؤكد على حقيقة أساسية هي أن الاسلام كل متكامل في أحكامه جميعا ، ولا يمكن أن نكفل النجاح لحكم من أحكامه عند التطبيق ما لم تكن سائر أحكام الاسلام مطبقة في مختلف جوانب الحياة ، بينما كان آخرون من المشاركين يتساءلون : وهل ننتظر حتى تقوم الدولة الاسلامية ؟ وهم يرون أن واقع المسلمين اليوم لا يمكننا من تطبيق أحكامه كلها مرة واحدة ، فلا بد - كما يرون - من أن نميل إلى التدرج في تطبيق ما يمكن تطبيقه ، أملا في أن تستكمل سائر الأحكام في المستقبل ، ويقوم الحكم الاسلامي بمعناه الكامل .

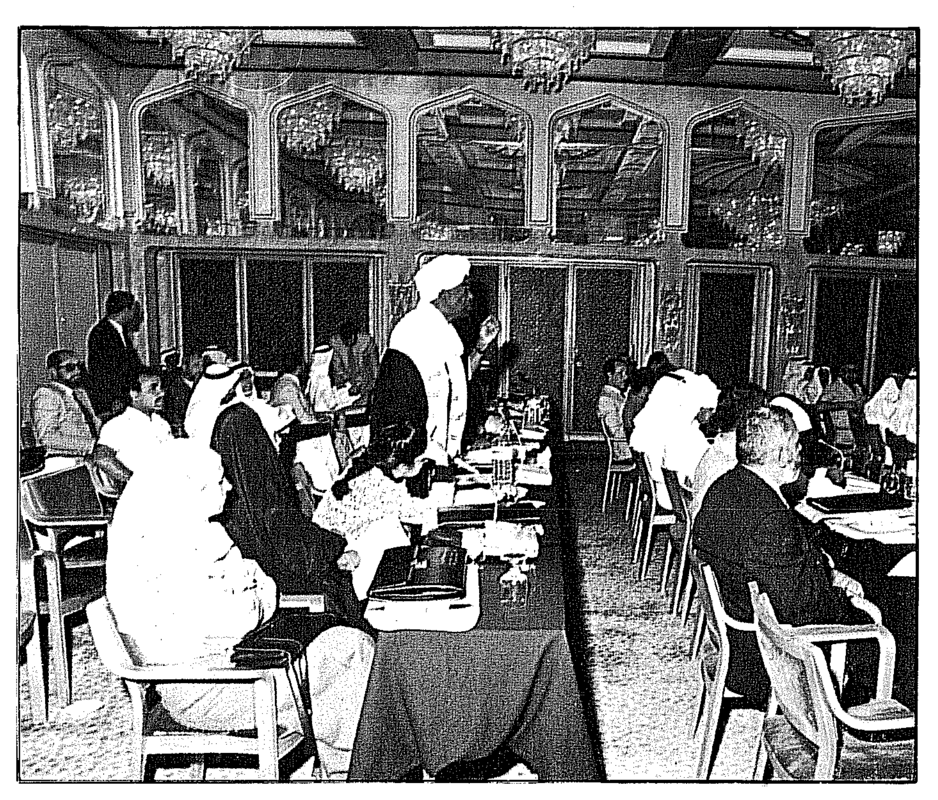
○ النقاش بين الدقة والخطابة :

وأما أساليب النقاش التي سادت في المؤتمر فيمكن أن توصف بأنها علمية هادئة في مجملها ، غير أنك تستطيع أن تلحظ فرقا أحيانا بين هؤلاء الذين تميزوا بالدقة والضبط والحيطة في التعبير عن أفكارهم ، وبين أولئك الذين نزعوا إلى أسلوب مشوب بشيء من رنة الخطابة والتكرار .

○ ضيق الوقت :

غير أن هؤلاء وأولئك جميعا لم يلتزموا بالوقت المخصص لهم في المناقشة ، بل الحق أن يقال إنه لم يكن في مستطاع أحدهم أن يلتزم بذلك ، لأن الوقت المخصص لكل منهم كان ثلاث دقائق ، لا مناص من أن تستغرق إحداها في توجيه الشكر للباحث في البدء وفي غير ذلك من لوازم الحديث ولعل مما يجدر ذكره أن البرنامج الذي أعده للمؤتمر بيت الزكاة الكويتي قد تم تنفيذه بدقة تامة .

وإذا كان هناك من ملاحظة على المؤتمر فهي أن المشاركين لم يتمكنوا من الاطلاع على الأبحاث ودراستها قبل أن يحضروا المؤتمر ، وذلك - كما ذكر لي الأستاذ فؤاد العمر مدير بيت الزكاة - أن الباحثين تأخروا في تقديم أبحاثهم عن الموعد المحدد . ومهما يكن من أمر فقد خطر ببالي أن أقوم بحساب الوقت الذي أتيح فيه لكل مشارك أن يدرس الأبحاث المقدمة ، علما بأن الباحثين لم يكونوا في أثناء إلقاء أبحاثهم يتقيدون بالنص المكتوب ، فضلا عن أن يذكروا جميع ما ورد فيها من قضايا وأفكار ، فإذا حذفنا اليوم الثالث الذي صدرت فيه التوصيات والفتاوى بقي لدينا ٤٨ ساعة . يمكن تقسيمها على النحو التالي في غضون يومين :
١٢ ساعة للنوم ، ١٤ ساعة لحضور المشاركين في قاعة المؤتمر للمناقشة ، ٦ ساعات للطعام ، ٢ ساعتان لحفل العشاء الذي اقامته وزارة الأوقاف ، ٤ ساعات للقاءات الفردية والتعارف بين المشاركين ، ٢ ساعتان يخلو فيهما المشارك لنفسه وربه وشؤونه الخاصة . ويبقى من اليومين ٨ ساعات فقط . وأظن أن من المحال على أي مشارك أن يقرأ (٣٤٤) صفحة من القطع الكبيرة جدا (تعادل ٧٠٠ صفحة من الكتاب المتوسط) حتى لو كان ما يقرؤه قصة



بوليسية مشوقة جدا ، فكيف بك إذا كان الأمر يحتاج الى دراسة مستأنية ، وتفكر ، وتدبر ، وفحص للأدلة ، ومقارنة ، وترجيح ، وما ينبغي لذلك كله من اجتهاد كل الاجتهاد ، حتى يتم التوصل الى رأي يطمئن المشارك إليه ، ثم يقوم بطرحه في المؤتمر ؟! .

وعلى هذا كله ، يوشك أن يكون معظم المشاركين مجمعين على أهمية مثل هذا المؤتمر وضرورته ، ومتفائلين بالخير من هذه اللقاءات التي تتم بين العلماء المسلمين ، كما سوف نرى بعد حين إذ نعرض لما قاله عن المؤتمر بعض المشاركين فيه .

○ الأيام الثلاثة للمؤتمر : صورة مجملة

ولنعد إلى البداية .. إلى يوم ٢٩ رجب ١٤٠٤هـ لنرسم صورة موجزة للأيام الثلاثة التي امتد بها المؤتمر ، في فندق حياة ريجنسي الذي يقع على شاطىء الخليج في منطقة هادئة نسبيا (الرميثية) ، والذي دعا إلى انعقاده بيت الزكاة الكويتي .

فقد بدأ المؤتمر بآيات من القرآن الكريم ، وألقى بعدها كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد أحمد سعد الجاسر فتحدث عن أهمية الزكاة في النظام الاسلامي ، ودعا المواطنين الى الاعتماد على بيت الزكاة لصرف زكواتهم في الطريق الأمثل ، وبين أن المؤتمر سيسهم في تحقيق أثر هذه الفريضة على الناس والمجتمعات . ثم ألقى السيد يوسف النصف كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر وأعرب عن أمله أن يكون انعقاد المؤتمر خطوة على طريق



التعاون ، وإعطاء هذه الفريضة حقها لتؤدي الدور المناسب لسد حاجات الأفراد والمجتمعات ، وتحدث عن دواعي انعقاد المؤتمر فذكر ان أهم ما يسعى إليه المؤتمر هو تنسيق الجهود وتلاقي الخبرات وتوحيد التوجهات العامة وترتيب الأولويات .

ثم تلا ذلك الجلسة الأولى للمؤتمر برئاسة السيد عيسى ياسين وجرى فيها عرض لبحث « آثار الزكاة في الأفراد والمجتمعات » ألقاه الدكتور يوسف القرضاوي . وأعقب العرض مناقشات عدة في القضايا التي طرحها الباحث . ثم عقدت الجلسة الثانية في مساء اليوم نفسه برئاسة السيد حمد الجوعان ، وألقى فيها السيد احمد أمين حسان بحثا بعنوان « الجوانب القانونية لانشاء وتنظيم وإدارة مؤسسات الزكاة وتطبيقاتها العملية المعاصرة » وبعد المناقشة التي اعقبت الجلسة جرى عرض الحلقة الأولى من تقارير الزكاة ، وكانت عن مديرية صندوق الزكاة بالمملكة الأردنية الهاشمية .

وفي اليوم الثاني عقدت الجلسة الثالثة برئاسة السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ، وتم فيها عرض بحث « التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها » للدكتور محمد عقلة ، ثم عرضت بعد ذلك الحلقة الثانية من تقارير مؤسسات الزكاة وكانت عن ديوان الزكاة والضرائب بجمهورية السودان الديمقراطية . وفي مساء اليوم نفسه عقدت الجلسة الرابعة برئاسة الدكتور عمر زهير حافظ وألقى فيها الدكتور محمد أنس الزرقا بحثا بعنوان « دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية » .

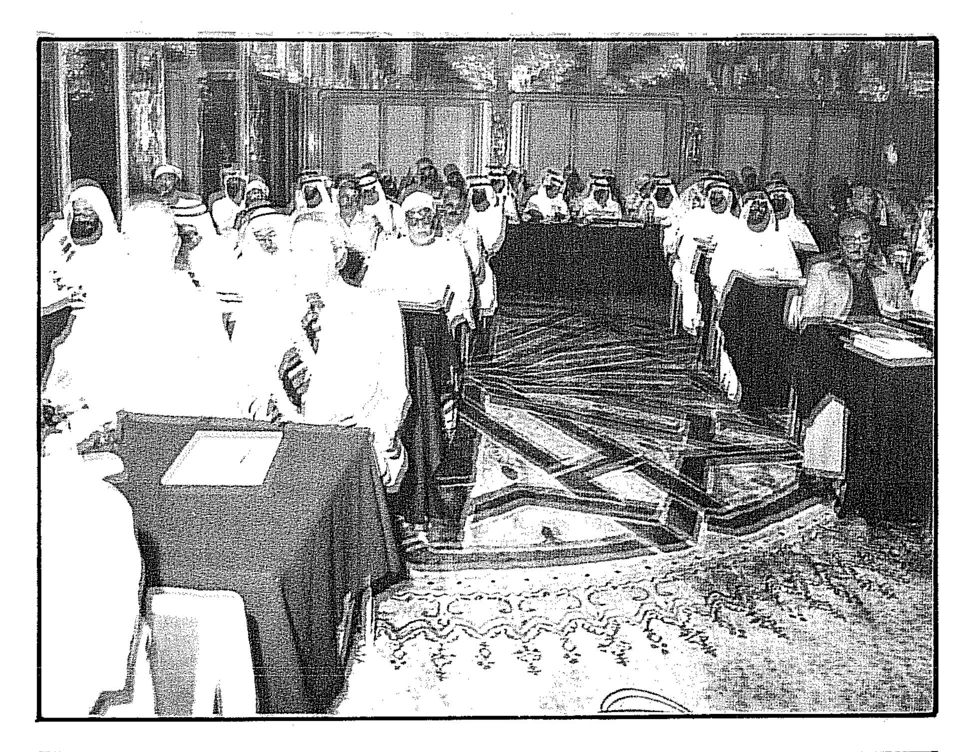
كما عقدت اللجنة العلمية في مساء اليوم

الثاني اجتماعها التمهيدي ، وعقدت كذلك مؤسسات الزكاة اجتماعها التمهيدي أيضا .

وفي صباح اليوم الثالث عقدت الجلسة الخامسة برئاسة الدكتور خالد بودي ، وألقى فيها الدكتور شوقي اسماعيل شحاته بحثا بعنوان « أصول محاسبة الزكاة وضبط جمعها وصرفها » وعرضت بعد المناقشة الحلقة الثالثة من تقارير الزكاة وكانت عن صندوق الزكاة في ماليزيا وفي المساء عقد الاجتماع الختامي للجنة العلمية لصياغة الفتاوى المستخلصة من ندواتها ، وتم كذلك عقد الاجتماع الختامي لمؤسسات الزكاة لصياغة القرارات والتوصيات ثم جرى إعلان التوصيات والفتاوى ، وأعقب ذلك الكلمة الختامية للجنة التحضيرية للمؤتمر ، ومن الجدير بالذكر أنه قد حضر المؤتمر عدد كبير من العلماء والفقهاء المسلمين من مختلف أقطار العالم الاسلامي .

○ صور من مناقشات المؤتمر :

كما يتضح من عناوين الأبحاث المقدمة في المؤتمر جرى تناول جوانب عدة في موضوع الزكاة ، شملت النواحي الاجتماعية والقانونية والتاريخية والاقتصادية والمالية والمحاسبية . كما أوضحت تقارير مؤسسات الزكاة جانباتطبيقيا هاما من خلال عرضها لتجارب متنوعة لمؤسسات الزكاة في بلدان العالم الاسلامي ، غير أن الصورة لا يمكن أن تكتمل ما لم نعرض لصور من المناقشات التي أثيرت وبعض القضايا التي دار حولها الجدل ، في قاعة المؤتمر وكانت مجال أخذ ورد بين المشاركين . وأما الأبحاث التي ألقيت في المؤتمر وكانت مدار المناقشات فقد قام بطبعها في مجموعتين بيت الزكاة الكويتي ، ويمكن القارىء أن يطلع عليها بنفسه .



○ التوسع في مدلول « في سبيل الله » :

من القضايا التي أثارت نقاشا طويلا في المؤتمر مسألة التوسع في مدلول « في سبيل الله » الواردة في الآية التي حددت فيها الأصناف الثمانية المستحقة للزكاة ، وذلك قوله تعالى : « « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » التوبة/ ٦٠

وقد ذكر د . يوسف القرضاوي أن الفقهاء اختلفوا « في تحديد معناه ـ مصرف « في سبيل الله » ـ والجمهور على أنه يراد به (الجهاد) وقالوا : إن المراد به عند إطلاق اللفظ . وقال ابن الأثير : إنه صار لكثرة الاستعمال فيه كأنه مقصور عليه . وعلى هذا لا يجيزون أن يبنى من مال الزكاة مسجد ، أو تنشأ مدرسة دينية أو يقام مستشفى خيري ، أو دار لرعاية الأيتام أو تكفين الموتى ونحو ذلك .

وذهب بعضهم إلى أن (سبيل الله) يشمل كل القرب والطاعات ، وكل ما فيه مصلحة للمسلمين ، فقد نقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء : أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير ، من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد ، لأن قوله (وفي سبيل الله) عام في الكل .. »

ثم يقول د . القرضاوي : « والمسألة اجتهادية ولكن الذي أميل إليه أن كل عمل يراد به نصرة الاسلام وإعلاء كلمته ونشر دعوته هو (في سبيل الله) استلهاما من قول النبي صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » فيلحق بذلك كل عمل ثقافي أو تربوي أو إعلامي أو اجتماعي أو اقتصادي يراد بها إعلاء كلمة الاسلام .. » ص ١٤٥ أبحاث المؤتمر ـ المجموعة الثانية .

وقد اختلفت آراء المشاركين حول المسألة (في سبيل الله) فقال د . عمر سليمان الأشقر من الكويت : إن التوسع فيها هو إلغاء لما ورد من أن هناك ثمانية أصناف يصرف لها من الزكاة فهو توسع أكثر من اللازم . بينما قال د . عبد العزيز الرومي من السعودية : المقصود بـ (في سبيل الله) هو الغزو ، ولا ينبغي أن نتوسع في هذا المفهوم ، وحيثما أطلق تعبير (في سبيل الله) فهو الغزو فقط ، وإذا توسعنا فيه فسوف يتأثر هذا المرفق الهام وهو إعداد العدة لقتال العدو . أما ما ذكر من أبواب التوسع فيمكن أن تصرف لها من أموال الصدقات الخيرية وصدقات التطوع ، وأما الزكاة المفروضة فتصرف في باب الجهاد بمعناه المحدد وهو الغزو . والآية الكريمة ذكرت أبوابا لصرف الزكاة ، بعضها هو من باب (في سبيل الله) وبعضها ليس من بابه ، أي أن (في سبيل الله) يراد بها الغزو فقط .

وقال د . محمد أبو فارس : لو كان المقصود بها الجهاد فقط لما اختلف الفقهاء في المقصود بها ، والمسألة ليست نصية بأن الجهاد هو الغزو فقط ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم مائة من إبل الصدقة لأولياء الانصاري الذي قتل في خيبر كما روى الشيخان ، والعلة في هذا كانت حياطة الأمن ، ولم يكن هؤلاء من أحد الأصناف الثمانية . فلماذا لا ينفق من أموال الزكاة في المصالح العامة التي تتعلق بأمور الدين والدولة دون الأفراد ؟! وقال د . محمود الخالدي من الأردن : لقد قام الدليل من الكتاب والسنة على ان المراد بـ (في سبيل الله) الجهاد فقط ، وفي آية الصدقات (انما الصدقات ..) حصر واضح ، وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم معنى (في سبيل الله) بقوله : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » أي ان المصرف يكون في حمل السلاح وبناء المصانع الحربية وإعداد المقاتلين ونحوها ، والحقيقة أن التوسع في مدلول (في سبيل الله) لتشمل



المساجد والمدارس والمستشفيات ، هو خطأ محض ، لأن هذا كله من مهام الدولة وعليها ان تقوم به ، وأخشى أنه إذا قام بذلك الأفراد أن يكون ذلك داعيا الدول القائمة الى الاسترخاء وتضييع أموال المسلمين في غير موجباتها ، والخلاصة : يجب أن نلتزم بالحكم الشرعي المحدد لمصرف (في سبيل الله) على أنه الغزو وحمل السلاح .

إنشاء مصانع أو مؤسسات من أموال الزكاة :

اقترح د. إبراهيم زيد الكيلاني من الأردن تعقيبا على ما ذكر من أن فقهاء المسلمين قد أفتوا أن يجعل من مصارف الزكاة تأمين حاجة ذوي الحاجة من أدوات الحرف وآلاتها .. اقترح إقامة مصانع ومؤسسات حديثة وتمليكها لذوي الحاجة تبعا لتطور الحياة المعاصرة .

وقد تنوعت الآراء حول هذا الاقتراح فقال د . عبد العزيز الرومي : أخشى أن يكون في هذا الاقتراح حرمان بعض أفراد الفقراء ممن لا يستطيعون المجيء إلى مثل هذه المؤسسات كما أخشى أن يؤثر هذا الاقتراح على الهدف الأسمى الأساسي من الزكاة وهو سد حاجة الفقراء .

بينما أيد د . عبد السلام العبادي من الأردن راي د . الكيلاني في بناء المصانع من حصيلة الزكاة ، وأضاف بأن من الممكن أن تكون المصانع ملكا للفقراء أو ملكا لبيت الزكاة يشتغل فيها الفقراء ، ما دام الغرض هو استئصال الفقر .

وقال د . محمود الخالدي : إن استثمار أموال الزكاة غير جائز لأن الاستثمار يعني الربح والخساوة وهذا قد يؤدي إلى تضييع اموال الزكاة ، أو اموال صنف من الأصناف الثمانية المنصوص عليها ، ولا دليل شرعي على جواز استثمار أموال الزكاة ، فهذا الاستثمار إذن مخالف للشرع .



وقال د . القرضاوي : أفضل أن تملك المؤسسات العامة للفقراء وتوقف عليهم . وقال إن مرادنا من استثمار أموال الزكاة أن نملك أموال الزكاة للفقراء للعمل ، وهذا مذهب الامام الشافعي ، ولم نرد المعنى العام للاستثمار .

زكاة النفط :

أثار الأستاذ الحسيني هاشم من مصر الحديث عن زكاة البترول وقال إن فيه زكاة مقدارها ٤/١ العشر يعطى لبيت مال الزكاة كما أفتى بذلك السيد سابق وغيره . وقال د . القرضاوي إن النفط والمعادن فيها زكاة حين تكون ملكا لأفراد أو شركات ؛ وأما إذا كانت ملكا للدولة فكيف نقول إن فيها زكاة ؟! وأرى أنه لا يجب فيها الخمس بل خمسة الأخماس أي أن تكون كلها لمصلحة المسلمين ، إنها فيء والله تعالى يقول : « **ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » الحشر/ ٧

إن الكل يجب أن ينفق في مصلحة المسلمين ، وعلى رأس ذلك المصارف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة ، وأنا أرى أن أموال الدولة لا زكاة فيها ، والزكاة فرع من التمليك ، فكيف تملك الدولة ما ليس لها ؟!

وقال د . شوقي الفنجري الواقع أن الدولة تحتكر النفط ، وأظن أن الخلاف في القضية هو من حيث التطبيق . بينما قال د . ياسين العمر : إن الدولة إذا أقامت شرع الله تبقى مسؤولة عن مال الله ، ثم تساءل : لكن إذا لم تكن تطبق شرع الله فماذا نفعل ؟!

فوائد المصارف الربوية :

تساءل د . عبد السلام العبادي حول فوائد أرصدة « أموالنا » التي في البنوك الأجنبية فقال : هل يمكن أن تصدر فتوى في ذلك عن هذا المؤتمر ؟

ويرى د . القرضاوي أن أي فوائد لأموالنا تتجمع في البنوك الأجنبية يجب أن تستخلص منهم ، لأن تركها لهم خطأ آخر ، وستحول إلى خناجر للتبشير والاستعمار .

وأما احتجاج البعض بحديث « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا » فنقول إن هذه الفوائد ليست صدقة ولا حلالا إنها مال حرام ، فهل نرميه في البحر ؟ لا .

○ هل يعطى غير المسلمين من أموال الزكاة ؟

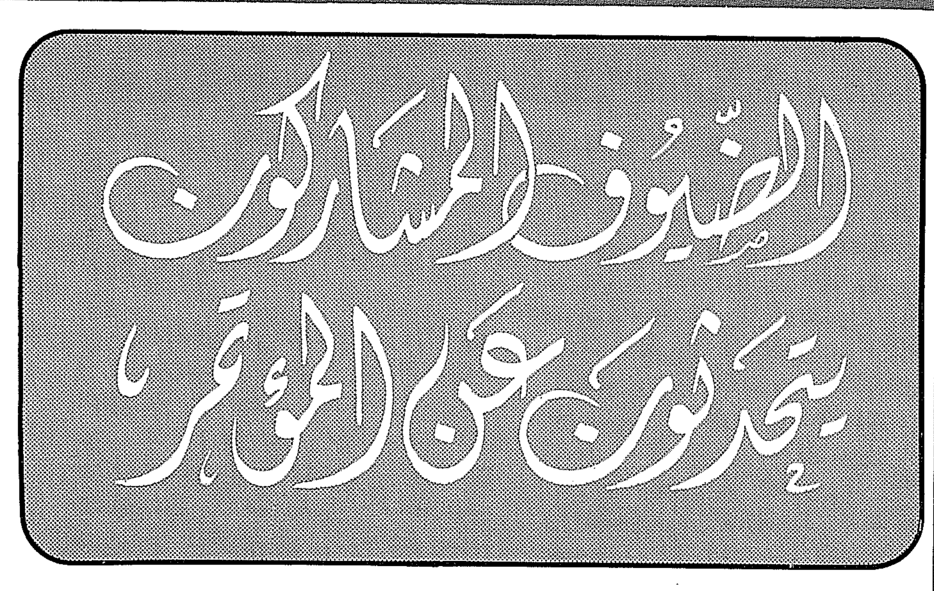
من القضايا التي أثيرت في المؤتمر ما ورد في بحث الدكتور محمد عقلة (التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها) عن شمول غير المسلمين بآثار الزكاة فجاء في البحث ما رواه أبو يوسف في الخراج من أن « عمر رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عمر عضده على خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودي . قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : اسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ! إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه » ص ٤٠ المجموعة الأولى من أبحاث المؤتمر .

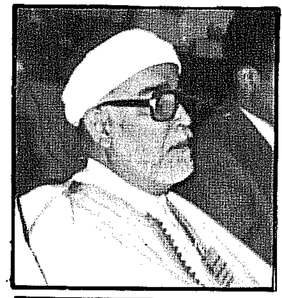
فقال د . نور الدين عتر من سورية يجب أن نؤكد أن ما فعله عمر رضي الله عنه لم يكن مخالفة شرعية بل إن له فهما للنص القرآني فأطلق كلمة مساكين على المسلمين وغيرهم . وقال الشيخ بدر المتولي عبد الباسط : إن حادثة عمر مع اليهودي ضرب من ضروب المعاونة وهي حادثة وليست قاعدة .

أما د . محمود الخالدي فقال : إن ما فعله عمر لا يعني أنه أعطى اليهودي من مال الزكاة ، فلم يرد نص يفيد ذلك ، بل يفهم من الرواية أنه أعطاه من بيت مال المسلمين ، وهذا أمر معروف ودليله أن الدولة الاسلامية ملزمة أصلا بتوفير الكفاية لجميع مواطنيها مسلمين وغير مسلمين . ومن جهة أخرى لا يجوز الاستدلال بأن النص القرآني يتسع لغير المسلمين فالنص محكم ، وإذا سلمنا فرضا بأنه مجمل ، ففهمه يكون بالسنة الشريفة ، وقد ورد في حديث معاذ قوله صلى الله عليه وسلم : فإن أجابوك - أي إلى الاسلام - فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » أي بعد أن يصبحوا مسلمين ، والنص واضح في عدم جواز دفع الزكاة لغير المسلمين ، لأن الزكاة عبادة . ثم قال د . عمر سليمان الأشقر : لدي ملاحظتان في هذا المجال : الأولى عن طريقة تناول الحكم الشرعي : يظن بعض الباحثين أنه إذا وجد في المسألة قولان جاز له أن يأخذ بواحد منهما . والحق أن هذه ليست طريقة السلف ، والواجب أن يقوم الباحث بدراسة الأدلة ويأخذ بالرأي الذي يرجح لديه أن الدليل عليه أقوى ، ونتيجة البحث هي التي تهدي إلى العلاج . والملاحظة الثانية عن التثبت والتحقيق في تناول النصوص : فما دليل ثبوت قصة عمر رضي الله عنه مع اليهودي ؟ فلا بد للباحث من التأكد أولا من صحة هذه النصوص . وأرى أن زكاة المال يجب أن تكون لفقراء المسلمين ، وهل يقوى هذا النص عن عمر ليقوم أمام نصوص القرآن الكريم الواضحة ؟!

○ استغلال حركات التنصير (التبشير) لأوضاع الفقر في العالم الاسلامي :

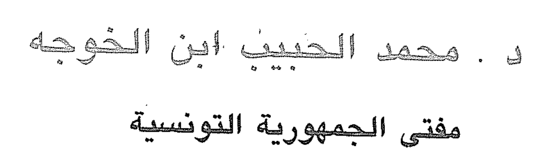
لفت بعض المشاركين في المؤتمر الأنظار إلى خطورة الدور الذي تقوم به حركات التنصير في العالم الاسلامي ، وإلى أن هذه الحركات تستغل أوضاع الفقر الضاربة في معظم بلدان المسلمين ، ولقد أكد كثير من المشاركين هذه الحقيقة ، وبينوا أهمية الدور الملقى على عاتق مؤسسات الزكاة لاستنقاذ المسلمين من براثن الفقر وبراثن التنصير .





د . محمد الحبيب ابن الخوجه

مفتي الجمهورية التونسية



المؤتمر استجابة لرغبة اسلامية عامة

لقد كان المسلمون يتطلعون من زمن طويل إلى الحلول العملية التي تستجيب لروح الدين الاسلامي في مواجهة المشاكل المعاصرة التي يتحدى بها العالم الغربي واوضاعه وانظمته وفلسفته .. العالم العربي الاسلامي . والمؤتمر الذي حضرناه جاء استجابة لرغبة جامحة في نفوس المسلمين لدراسة مشاكل كثيرة منها : التأكيد على القيام بالركن الثالث من أركان الاسلام وهو الزكاة ، والمسلمون اليوم أمام ألوان من المكاسب والوان من الدخول المختلفة التي جاء القرآن وجاءت السنة بتحديد ما ينبغي إخراجه منها . والمعاملات الجديدة مثل قضية الأسهم والسندات والمستغلات بانواعها والمداخيل التي تحصل من المهن الحرة والأجور والمرتبات ، وايضا الأموال المحرمة .. تحتاج كلها إلى درس وتحديد موقف الشريعة الاسلامية منها . فكان هذا المؤتمر استجابة لرغبة إسلامية عامة في دراسة هذه الألوان من المكاسب وتحليلها تحليلا شرعيا تراعى فيه الأحكام ومقاصدها .

ولا أدعي أن هذا المؤتمر قد حل كل المشاكل بل هو يعترف وتعترف اللجنة العلمية التي مهدت لأشغاله ، وانتهت إلى ضبط توصياته .. بأن هناك كثيرا من الخفايا ما زالت تحتاج إلى درس أعمق ومداولات أكثر للوصول إلى الحلول الصحيحة التي يطمأن إليها في التصرفات المالية الاسلامية ، وبخاصة في تطبيق أحكام الشريعة في مجال الزكاة .



د . خالد بودي

رئيس تحرير مجلة النور الاسلامية الاقتصادية

أتمنى التركيز على موضوعات تخصصية

المؤتمر أثار قضايا هامة تتعلق بجوانب مختلفة كالقانونية والاقتصادية والمحاسبية وتوضيح الآثار الفردية والاجتماعية للزكاة . والتقى نخبة من الأساتذة والمفكرين والعلماء ، وكانت المناقشات مفيدة . وأعتقد أن المؤتمر نجح على الأقل في إثارة الاهتمام بموضوع الزكاة .

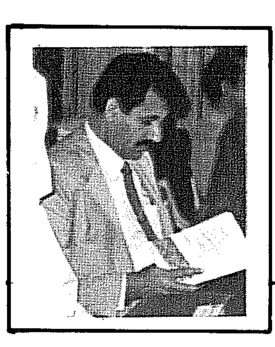
ولا نزال بحاجة إلى ندوات متخصصة تبحث في جوانب معينة للزكاة ، وبخاصة في وقتنا الحاضر حيث تتعقد الحياة المالية والاقتصادية ، لذا لا بد من التوصل إلى مبادىء محددة مبنية على الأصول الشرعيةللزكاة .

وكان من الطبيعي أن يتميز في المؤتمر أنواع من التخصص في المجالات العلمية المتعلقة بالزكاة ، وهذه في الحقيقة ظاهرة عالمنا المعاصر عالم التخصص العلمي .

أما المناقشات في المؤتمر فالحق أنها لم تشمل النواحي التطبيقية كافة ، بل جرى عرض نظري ، لأن هذا هو المؤتمر الأول ، وهو بداية .

وعن مشاركة صناديق الزكاة في البنوك الاسلامية في المؤتمر أقول إن صناديق البنوك صغيرة نسبيا ، ولم يتوقع أن يكون لها دور رئيسي في المؤتمر .

وعلى العموم أقترح أن يتم التركيز في المؤتمرات القادمة على موضوعات تخصصية تعطى حقها في قضية الزكاة .



د . محمود عبد المجيد الخالدي

استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة اليرموك بالأردن

هناك أخطاء !

لي على المؤتمر عدد من الملاحظات :

○ إن بعض الباحثين لم يتقيد بالموضوع الذي أعده في أثناء عرضه له .

○ إن كثيرا من المحاضرين لم يلتزم بالعربية الفصحى في حديثه ، وهي لغة القرآن .

○ إن الوقت المخصص للتعقيب على الباحث ومناقشة الآراء لم يكن كافيا ، لذا ضاعت القدرة على بلورة كثير من المفاهيم .

○ لم ألحظ الطريقة المنهجية في استنباط الأحكام الشرعية ، ولذلك فإني أعتقد أنه لا يمكن الاطمئنان إلى النتائج التي تصدر عن مؤتمر تقع فيه مثل هذه الأخطاء .

○ ومما لا أجد له مسوغا أن يتكرر دائما في كل المؤتمرات وجود أشخاص معينين ، فهذا يؤدي إلى تكرار الآراء نفسها دون جديد يذكر .

د . محمد أنس الزرقا

المؤتمر فرصة للتعاون بين العقول والخبرات

ليت المؤتمر حصل قبل ١٠ سنوات فهو ضرورة منذ زمن ، وعلى كل حال الحمد لله على عقده . وأعتقد أن المؤتمر يحتاج إلى الكثير من التشاور والعديد من الدراسات ، والمؤتمرات تتيح فرصة للتعاون بين العقول والخبرات .

لقد كان تنظيم المؤتمر جيدا ، وواضح أن هناك جهدا كبيرا قد بذل في الاعداد العلمي ، والجهد العلمي المسبق للمؤتمر لا يستهان به .

أتمنى أن يكون هناك فترة أطول لاعداد وكتابة الأبحاث ، وإرسالها للمعقبين العلميين للتعليق عليها قبل موعد المؤتمر ، وألا يتم طبعها إلا بعد انعقاد المؤتمر في ضوء المناقشات . وفي ظني أن التحضير للمؤتمر يجب ألا يقل عن سنة .



د . نور الدين عتر .

استاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث

بجامعتي حلب ودمشق

تميز المؤتمر : بالجدة والابتكار والموضوعية العلمية ..

يتميز المؤتمر بطابع الجدة والابتكار ، لأنه أول مؤتمر متخصصفي الزكاة ، ولهذا التميز دلالة على وعي الأثر العميق للزكاة في الناحية الدينية ومقاصد الشريعة الاجتماعية والاقتصادية . ويعتبر المؤتمر وسيلة ممتازة للدعوة إلى الزكاة ، فيشعر المسلم بمسؤوليته تجاه إخوانه المستحقين .

وتميز المؤتمر بإعداد ممتاز ، وتنظيم دقيق ، ومراعاة المواعيد مراعاة دقيقة ، ورعاية الوفود رعاية جيدة ، وبتحديد الموضوعات التي تمس الحاجة المستعجلة إليها ، خصوصا لبيت الزكاة الكويتي .

ولاحظت في المناقشات تحكم الموضوعية العلمية ، وسعة صدر المناقشين للآراء المختلفة ، على الرغم مما كان يبدو من اقتناع بعض المشاركين بضعف الرأي الآخر .

وأقترح للمؤتمرات القادمة إن شاء الله متابعة البحث في النقاط التي لم يتفق عليهما الباحثون : مثل حكم الزكاة في ريع الدور والبنايات المؤجرة والآلات الصناعية وما يستجد عن التطبيق من أمور . وأن تستمر هذه الظاهرة دوريا في البلدان الاسلامية .





امين عام ديوان الزكاة بالسودان

المؤتمر صحوة

المؤتمر صحوة وهو في خير المنطقة ، وهو ظاهرة علمية حرية بالدراسة ، وقد أجاد الباحثون في اختصاصاتهم .



د . عبد السلام العبادي

وكيل وزارة الأوقاف والشؤون

والمقدسات الاسلامية بالأردن

التعرف على المؤسسات الزكوية حقق أهدافه

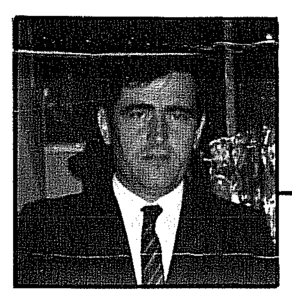
المؤتمر بادرة طيبة . وباعتباره أول مؤتمر ليس من المتوقع أن يغطي جميع قضايا الزكاة ، ومن المتوقع أن تكون المناقشات والدراسات في بدايتها . وأعتقد أن التعرف على المؤسسات الاسلامية العاملة في مجال الزكاة قد حقق أهدافه . ومن الملاحظ أن الأبحاث المقدمة طرحت أفكارا جيدة جديرة بالتطبيق . وأما الخلاف بين الآراء في المناقشات فهو في رأيي دليل حيوية ، ودليل على أن المؤتمر يتصدى لقضية حساسة ومهمة .

أما بروز نوعين من العلماء فنيين من جهة وفقهاء من جهة أخرى فهو في رأيي إفراز طبيعي للبنية التعليمية في العالم الاسلامي . ولكن هذا غير مخيف ، ولعل زيادة المؤتمرات تحل المسألة قدر الامكان ، ولا بد من أن نعد الكوادر اللازمة التي تتمكن من ردم هذه الازدواجية .

أما عن وقت المؤتمر فأقترح أن تعطي المناقشات وقتا أطول .
أما عن الباحثين فقد خرج بعضهم عن موضوع البحث المعروض .
أقترح أن تتكرر المؤتمرات بشكل دوري ، وأن تتولى التخطيط لها جهة معينة كأمانة سر دائمة للمؤتمر .

وأقترح تشكيل لجنة علمية متخصصة لصياغة قانون للزكاة متطور يهتم بالقضايا التالية :

١ ـ أن يقعد أحكام الزكاة ، وبخاصة ما اتفق عليه .
وأن يتبنى حكما معينا من الأحكام الاجتهادية المختلف فيها ، على أساس قوة الدليل وتحقيق المصلحة .
٢ ـ أن يتبنى رأيا واضحا في القضايا المعاصرة بخصوص الزكاة مثل الأموال المستحدثة .
٣ ـ أن يحدد إجراءات تنظيمية مرنة للتحصيل والتوزيع بما يتفق وظروف كل بلد بحيث تعالج بشكل واضح العلاقة بين الزكاة والضرائب المعاصرة التي تجبيها بعض الدول الاسلامية من مواطنيها .



د . صالح جو كولا فيتش

الأستاذ في الجامعة الاسلامية

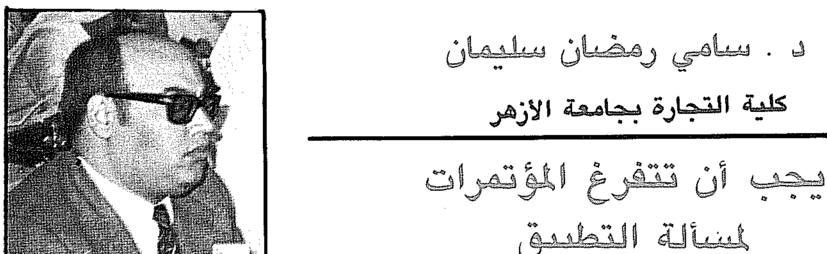
في سراجيفو ـ يوغسلافيا

هموم الجاليات الاسلامية

المؤتمر جيد ، وهو بداية نرجو أن تكون مثمرة مفيدة لنا جميعا ، ولا شك في أن لمؤسسة الزكاة دورا كبيرا في حياة المسلمين الاقتصادية . أما وقت المؤتمر فلم يكن كافيا للوصول إلى نتائج عملية ، ومع هذا فللمؤتمر ـ باعتباره أول مؤتمر ـ أهمية وفائدة .

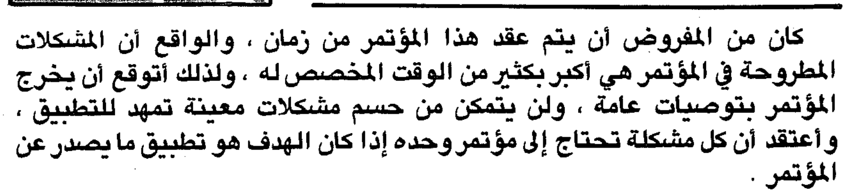
أتمنى أن يعقد أحد المؤتمرات القادمة في بلد من البلدان غير الاسلامية في إحدى دول أوربة مثلا لدعم موقف الجاليات الاسلامية وتنشيطها .

واسمح لي أن أضيف رغبة خاصة بالجاليات الاسلامية : إن ما يهمني هو مساعدة الدول العربية الاسلامية للجاليات الاسلامية في مجال الدراسة ، لما لذلك من أهمية بالغة ، وأتمنى أن تزيد المنح الدراسية للطلبة والطالبات من المسلمين ، فمثلا نحن افتتحنا منذ ست سنوات مدرسة دينية إسلامية للطالبات اليوغسلافيات وهن يتطلعن لمتابعة الدراسة في بلد عربي إسلامي ، وأتمنى النظر في قبول الطالبات اليوغسلافيات في جامعة الكويت .



د . سامي رمضان سليمان

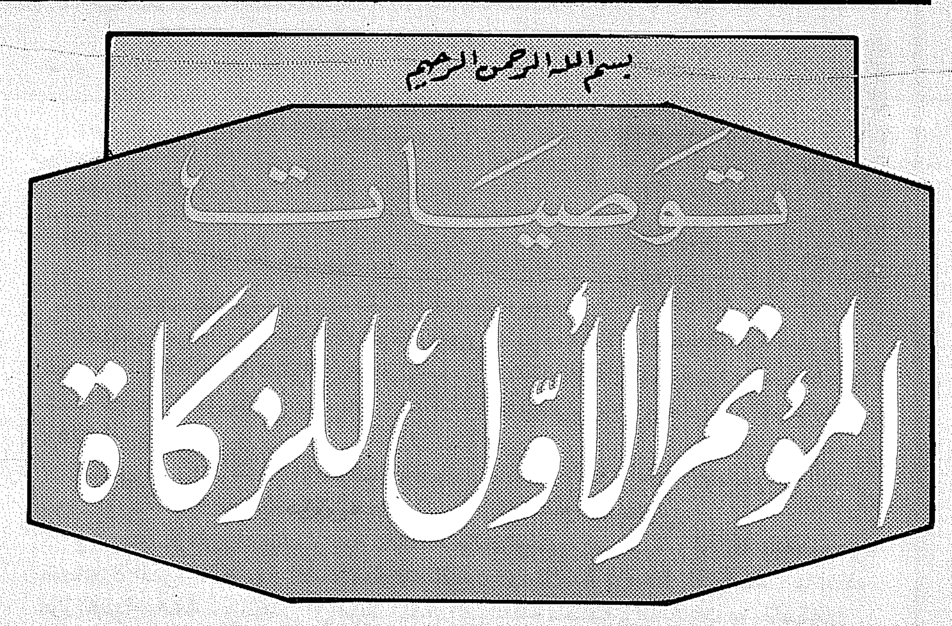
كلية التجارة بجامعة الأزهر



يجب أن تتفرغ المؤتمرات لمسألة التطبيق

كان من المفروض أن يتم عقد هذا المؤتمر من زمان ، والواقع أن المشكلات المطروحة في المؤتمر هي أكبر بكثير من الوقت المخصص له ، ولذلك أتوقع أن يخرج المؤتمر بتوصيات عامة ، ولن يتمكن من حسم مشكلات معينة تمهد للتطبيق ، وأعتقد أن كل مشكلة تحتاج إلى مؤتمر وحده إذا كان الهدف هو تطبيق ما يصدر عن المؤتمر .

ولو شكلت لجان علمية من فقهاء ومحاسبين وغيرهم للاستقرار على بعض الآراء الفقهية التي تناسب التطبيق في ظل ظروف الاستثمارات المعاصرة بشرط عدم تعارضها مع النصوص الصريحة القاطعة . وأقترح أن تتفرغ المؤتمرات لمعالجة : كيف يكون التطبيق العملي ، وأعني ألا يستغرق وقت المؤتمر في الجدل الفقهي ، وإلا فسوف يضيع الوقت دون أن ندخل في تحقيق الهدف ، وهو تطبيق الزكاة في واقع حياتنا المعاصرة .



عقد مؤتمر الزكاة الأول في دولة الكويت بدعوة من بيت الزكاة في الفترة من ٢٩ رجب وحتى ١ شعبان ١٤٠٤هـ الموافق ٣٠ ابريل وحتى ٢ مايو ١٩٨٤م في فندق حياة ريجنسي الكويت وقد تناول المؤتمر الابحاث الآتية :

١ ـ آثار الزكاة في الافراد والمجتمعات .
٢ ـ الجوانب القانونية لانشاء وتنظيم وادارة مؤسسات الزكاة وتطبيقاتها العملية المعاصرة .
٣ ـ التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها .
٤ ـ دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية .
٥ ـ اصول محاسبة الزكاة وضبط جمعها وصرفها .

وكما استعرض المؤتمر تقارير لمؤسسات الزكاة الآتية :ـ
١ ـ صندوق الزكاة في المملكة الاردنية الهاشمية .
٢ ـ ديوان الزكاة في جمهورية السودان الديمقراطية .
٣ ـ بنك ناصر الاجتماعي في مصر نظام تدبير الزكاة في ماليزيا .

وكما ناقشت اللجنة العلمية في اليوم السابق للمؤتمر اربعة جوانب لاحكام الزكاة وهي :
١ ـ زكاة اموال الشركات والاسهم والسندات .
٢ ـ زكاة المستغلات العقارية والصناعية وغيرها .
٣ ـ زكاة ارباح المهن الحرة والرواتب والاجور .
٤ ـ زكاة الاموال غير المنصوص عليها والاموال المشتبه بها والمحرمة .

وقد اتخذ المؤتمر التوصيات الآتية :ـ
١ ـ يؤكد المؤتمر على ضرورة أن يعمل المسلمون جميعا ـ حكاما ومحكومين على ترسيخ العقيدة الاسلامية الخالصة وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية الغراء في بلادهم .
٢ ـ يناشد المؤتمر ولاة الامور في الدول الاسلامية وغيرها التي لم تنشأ فيها مؤسسات الزكاة ضرورة انشاء وتشجيع قيام مؤسسات مستقلة للزكاة وذلك لما للزكاة من آثار طيبة على المجتمعات والافراد .

٣ ـ انشاء أمانة عامة او اتحاد لمؤسسات الزكاة لتنظيم جميع شئون الزكاة وعقد المؤتمرات المتخصصة واختيار احد البلدان مقرا لها .

٤ ـ تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الامور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية ويتولى بيت الزكاة الكويتي متابعة الجهات المختصة في العالم الاسلامي لتنفيذ ذلك ، على ان تعطي اللجنة اولوية لاعداد صياغة شرعية موحدة لاحكام الزكاة تعالج جمعها وصرفها وجميع المسائل المتعلقة بها .

٥ ـ تكوين صندوق او منظمة باسم صندوق الزكاة تشترك فيه الدول الاسلامية يكون تابعا لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، للتنسيق بين مؤسسات الزكاة في الدول الاسلامية وحل مشاكلها عن طريق البحوث والدراسات اللازمة وتنظيم جمع الزكاة وتوزيعها على مستوى العالم الاسلامي . على ان يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية مع منظمة المؤتمر الاسلامي واعداد الدراسات اللازمة في هذا الشأن .

٦ ـ يوصي المؤتمر بأن يكون انعقاد مؤتمر الزكاة كل سنه مرة في أحد الاقطار الاسلامية تأكيدا لاهمية هذه اللقاءات لمعالجة قضايا تخصصية على ان يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية .

٧ ـ دعوة وزارات التربية والتعليم والجامعات في الدول الاسلامية للاهتمام بتدريس مقررات الزكاة وجوانبها المختلفة ضمن مناهجها وتشجيع البحث العلمي في نواحيها المتعددة .

٨ ـ يوصي المؤتمر كافة الوسائل الاعلامية بتوضيح وتبسيط احكام فريضة الزكاة واعداد البرامج الموضحة لمدى الحاجة اليها في المجتمعات الاسلامية وآثارها في النهوض لهذه المجتمعات .

٩ ـ يوصي المؤتمر بأهمية اختيار الموظفين ذوي الكفاءة والصلاح والاهتمام بالعمل الاسلامي العام لادارة مؤسسات الزكاة والعمل على تنظيم الدورات التدريبية والحلقات التخصصية لتطوير قدراتهم .

١٠ ـ يوصي المؤتمر بدراسة التطبيقات الحالية والمتقدمة في تطبيق فريضة الزكاة للاستفاده من خبراتها وانشطتها المختلفة مثل المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان الاسلامية وغيرها من الدول الاسلامية .

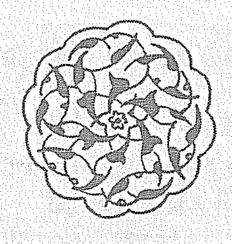
١١ ـ يوصي المؤتمر صناديق وبيوتات الزكاة بالاهتمام بالمجاهدين وتقديم كل عون لهم .

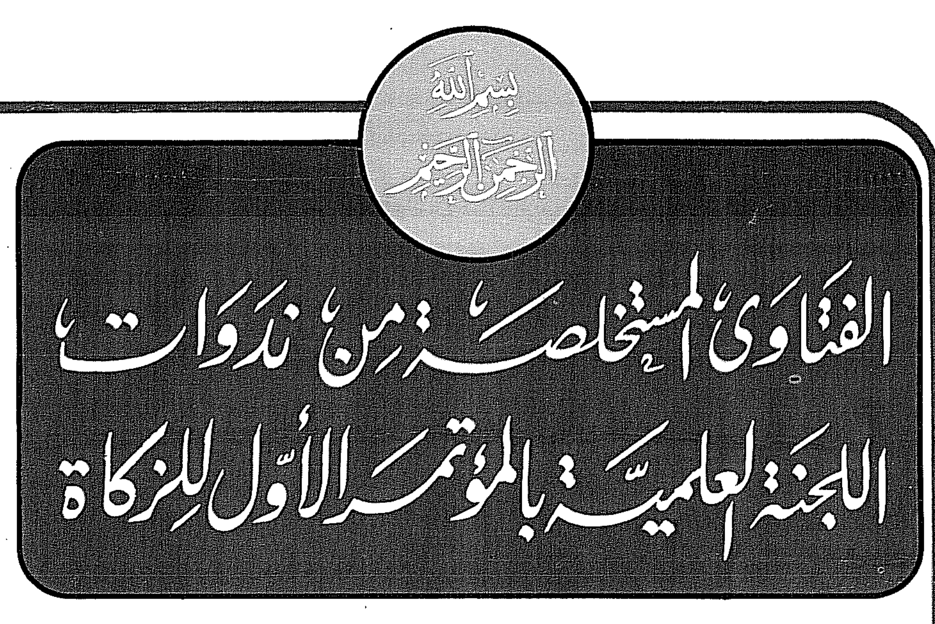
١٢ ـ يوصي المؤتمر مؤسسات الزكاة في العالم الاسلامي بضرورة التنسيق المستمر فيما بينهم والعمل على تبادل الخبرات والرأي في مختلف قضايا الزكاة .

وفي النهاية يتوجه المؤتمرون بالشكر والتقدير لدولة الكويت على هذه البادرة الطيبة باقامة واستضافة مؤتمر الزكاة الاول .

كما يتوجه الحضور بالشكر الى بيت الزكاة الكويتي على الجهد الخالص الذي قام به في سبيل انجاح هذا المؤتمر ووضعه اللبنة الاولى لمثل هذه اللقاءات الخاصة بموضوع الزكاة .

وأوصى المؤتمر برفع برقيات شكر تتضمن ذلك لحضرة صاحب السمو أمير البلاد ولسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ووزير الاوقاف والشئون الاسلامية رئيس مجلس ادارة بيت الزكاة ولرئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر .





○ زكاة اموال الشركات والاسهم .

○ زكاة اموال الشركات :

تربط الزكاة على الشركات المساهمة نفسها لكونها شخصا اعتباريا ، وذلك في كل من الحالات الاتية :ـ

(١) صدور نص قانوني ملزم بتزكية اموالها .
(٢) ان يتضمن النظام الاساسي ذلك .
(٣) صدور قرار الجمعية العمومية لشركة بذلك .
(٤) رضا المساهمين شخصيا .

ومستند هذا الاتجاه الاخذ بمبدأ (الخلطة) الوارد في السنة النبوية بشأن زكاة الانعام ، والذي رأت تعميمه في غيرها بعض المذاهب الفقهية المعتبرة والطريق الافضل وخروجا من الخلاف ـ ان تقوم الشركة باخراج الزكاة ، فان لم تفعل فاللجنة توصي الشركات بأن تحسب زكاة اموالها وتلحق بميزانيتها السنوية بيانا بحصة السهم الواحد من الزكاة .

○ زكاة الاسهم ○

اذا قامت الشركة بتزكية اموالها فلا يجب على المساهم اخراج زكاة اخرى عن اسهمه منعا للازدواج .

اما اذا لم تقم الشركة باخراج الزكاة فانه يجب على مالك السهم تزكية اسهمه وفقا لما يلي :ـ

كيفية تقدير زكاة الشركات والاسهم

اذا كانت الشركة ستخرج زكاتها فانها تعتبر بمثابة الشخص الطبيعي وتخرج زكاتها بمقاديرها الشرعية بحسب طبيعة اموالها ونوعيتها ، اما اذا لم تخرج الشركة الزكاة فعلى مالك الاسهم ان يزكي اسهمه تبعا لاحدى الحالتين التاليتين :-

الحالة الاولى :

ان يكون قد اتخذ اسهمه للمتاجرة بها بيعا وشراء فالزكاة الواجبة فيها **هي اخراج ربع العشر (٥ر٢٪) من القيمة السوقية بسعر يوم وجوب** الزكاة ، كسائر عروض التجارة .

الحالة الثانية :

ان يكون قد اتخذ الاسهم للاستفادة من ريعها السنوي فزكاتها كما يلي :

أ) ان امكنه ان يعرف عن طريق الشركة او غيرها - مقدار ما يخص السهم من الموجودات الزكوية للشركة فانه يخرج زكاة اسهمه بنسبة ربع العشر (٥ر٢٪) .

ب) وان لم يعرف فقد تعددت الآراء في ذلك :

- فيرى الاكثرية ان مالك السهم يضم ريعه الى سائر امواله من حيث الحول والنصاب ويخرج منها ربع العشر (٥ر٢٪) وتبرأ ذمته بذلك .
- ويرى آخرون اخراج العشر من الربح ١٠٪ فور قبضه ، قياسا على غلة الارض الزراعية .

زكاة المستغلات

يقصد بالمستغلات المصانع الانتاجية والعقارية والسيارات والالآت ونحوها من كل ما هو معد للايجار وليس معدا للتجارة في اعيانه .

وهذه المستغلات اتفقت اللجنة على انه لازكاة في اعيانها وانما تزكى غلتها ، وقد تعددت الآراء في كيفية زكاة هذه الغلة :

- فرأي الاكثرية ان الغلة تضم (في النصاب والحول) الى ما لدى مالكي

المستغلات من نقود وعروض التجارة ، وتزكى بنسبة ربع العشر (٥ر٢٪) وتبرأ الذمة بذلك .

ـ ورأي البعض ان الزكاة تجب في صافي غلتها الزائد عن الحاجات الاصلية لمالكيها بعد طرح التكاليف ومقابل نسبة الاستهلاك وتزكى فور قبضها بنسبة العشر (١٠٪) قياسا على زكاة الزروع والثمار .

○ زكاة الاجور والرواتب وارباح المهن الحرة وسائر المكاسب ○

هذا النوع من الاموال يعتبر ريعا للقوى البشرية للانسان يوظفها في عمل نافع وذلك كاجور العمال ورواتب الموظفين وحصيلة عمل الطبيب والمهندس ونحوهم ، ومثلها سائر المكاسب من مكافآت وغيرها وهي مالم تنشأ من مستغل معين .

وهذا النوع من المكاسب ذهب اغلب الاعضاء الى انه ليس فيه زكاة حين قبضه ولكن يضمه الذي كسبه الى سائر ما عنده من الاموال الزكوية في النصاب والحول فيزكيه جميعا عند تمام الحول منذ تمام النصاب ، وما جاء في هذه المكاسب اثناء الحول يزكي في آخر الحول ولو لم يتم حول كامل على كل جزء منها .

وما جاء منها ولم يكن عند كاسبه قبل ذلك نصاب فيبدأ حوله من حين تمام النصاب عنده وتلزمه الزكاة عند تمام الحول من ذلك الوقت ونسبة الزكاة في ذلك ربع العشر (٥ر٢٪) لكل عام .

ـ وذهب بعض الاعضاء الى انه يزكي هذه الاموال المستفادة عند قبض كل منها بمقدار ربع العشر (٥ر٢٪) اذا بلغ المقبوض نصابا وكان زائدا عن حاجاته الاصلية وسالما من الدين .

فاذا اخرج هذا المقدار فليس عليه ان يعيد تزكيته عند تمام الحول على سائر امواله الاخرى ويجوز للمزكي هنا ان يحسب ما عليه ويخرجه فيما بعد مع امواله الحولية الاخرى .

○ الدين الاستثماري والزكاة

ـ الدين اذا استعمله المستدين في التجارة يسقط مقابله من الموجودات الزكوية اما اذا استخدم في تملك المستغل من عقار او آليات او غير ذلك فنظرا الى انه على الرأي المعمول به من ان الدين يمنع من الزكاة بقدره من

الموجودات الزكوية وان ذلك يؤدي الى اسقاط الزكاة في اموال كثير من الافراد والشركات والمؤسسات مع ضخامة ما تحصله من ارباح .

ـ لذلك فان اللجنة تلفت النظر الى وجوب دراسة هذا الموضوع وتركيز البحث حوله وترى اللجنة مبدئيا الأخذ في هذا بخصوصه بمذهب من قال من الفقهاء من انه اذا كان الدين مؤجلا فلا يمنع من وجوب الزكاة على ان الامر بحاجة الى مزيد من البحث والتثبت والعناية .

○ السندات والودائع الربوية والاموال المحرمة ونموها :

ـ السندات ذات الفوائد الربوية وكذلك الودائع الربوية يجب فيها تزكية الاصل زكاة النقود ربع العشر ٢٫٥٪ أما الفوائد الربوية المترتبة على الاصل فالحكم الشرعي انها لا تزكي وانما هي مال حيث على المسلم ان لا ينتفع به وسبيلها الانفاق في وجوه الخير والمصلحة العامة ما عدا بناء المسجد وطبع المصاحف وسائر الشعائر الدينية .

وكذلك الحكم في الاموال التي فيها شبه .

أما اموال المظالم المغصوبة والمسروقة ، فلا يزكي عليها غاصبها ، لانها ليست ملكه ، ولكن عليه ان يردها كلها الى اصحابها .

○ الحول القمري :

الاصل في اعتبار حولان الحول مراعاة السنة القمرية ، وذلك في كل مال زكوي اشترط له الحول .

واللجنة توصي الافراد والشركات والمؤسسات المالية اتخاذ السنة القمرية اساسا لمحاسبة الميزانيات .

او على الاقل ان تعد ميزانية لها خاصة بالزكاة وفقا للسنة القمرية .

فان كان هناك مشقة فان اللجنة ترى ان يجوز تيسيرا على الناس اذا ظلت الميزانيات على اساس السنة الشمسية ـ ان يستدرك زيادة ايماها عن أيامها السنة القمرية بأن تحسب النسبة ٢٫٥٧٥٪ تقريبا .

هذا ما وصلت اليه اللجنة ولايزال بعض هذه الموضوعات محتاجا الى مزيد من البحث والتمحيص الفقهي في ضوء واقع الحال ...

كما يوصي المؤتمر باستكمال دراسة القضايا الاخرى المستجدة مما لم يتسع له وقت المؤتمر ..

واخيرا تدعو اللجنة الى الاهتمام بالتوعية بالزكاة ودراسة احكامها ومراعاة شأنها في كل مجال يتطلب ذلك في التطبيقات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

في استقبال رمضان

للاستاذ محمد السيد الداوودي

سطع الفجر فاستجاب المنادي ... وأذاع النداء في كل ناد
أقبل الضيف يسحب الذيل تيها ... بهبات ميمونة وأياد
جاء في موكب من الملأ الأعلى ... بنور إلى المحجة هاد
كلما غاب ذابت النفس شوقا ... وحنينا إلى اقتراب المعاد
فإذا لاح نجمه اكتست الآفاق ... نورا يفيض في كل واد

★★★

ضيفنا الواعظ الأثير أتى ... بالخير واليمن والهدى والرشاد
وبأي من الكتاب تلاها ... خير داع إلى طريق السداد
ليلة فيه عادلت ألف شهر ... فاتقوا الله فالتقى خير زاد
ليله ساهر وقرآنه تال ... وأنغامه ربيع الفؤاد
والتسابيح صاعدات وأنفاس ... المناجاة رائحات غواد
وعطاء السماء متصل الفيض ... دؤوب وماله من نفاد
وقلوب العباد في الليل يقظى ... ولهذا العطاء غرثى صواد
حسبنا أن الله معط كريم ... واسع الفضل باسط الأمداد

★★★

رب إنا إلى رحابك نرجو ... عزة الوصل بعد ذل البعاد
ثقل الوزر والخطايا توالت ... وزحام الذنوب في الازدياد
والمسيء الظلوم في حمأة الهول ... معنىً وليس يفديه فاد

ليتـه كـان في الـوجـود تـرابـا   ليس يرجو الثمار يوم الحصاد

★★★

مـالكم يابني العروبة اشتاتـا   وأنتـم ذخيـرة الآبـاد
هبط الـوحي في حمـاكم فكنتم   في حمى الـوحى كعبة القصّاد
والـرسـول الأمـين فيكم ومنكم   جـاهـد المـارقـين أيَّ جـهـاد
جمـع الصحب حولـه في إطار   محكـم ضـم صفـوة الأمجـاد
وتـلاميـذه الأعـزة كـانـوا   في ثبـات اليقـين كـالأطـواد
رسمـوا منهـج الحيـاة سويـا   وبنـوا صـرحهـا رفيـع العمـاد
إن للحـق هيبـة وجـلالا   فانصروا الحق يـاحماة الضـاد

★★★

فـرقتكـم أهـواؤكـم فجنيتـم   بعد ورد الريـاض شوك القتـاد
وانتهت كبـريـاؤكم بعمى القلب   فمـا تبصـرون غـير الفسـاد
ضل قومي قصد السبيل وجاروا   واستعـادوا فرعـون ذا الأوتـاد
كم تمنيت أن أرى فيهم الاحسان   لكنـهـم طـغـوا في البـلاد
واستباحوا الـدماء قتـلا وسفكا   وتمـادوا وأسرفـوا في التمـادي

★★★

ليت قـومي تعايشـوا في سـلام   ووئـام وألفـة ووداد
وتنـاسوا دواعي الفرقة الـرعناء   واستلّـوا كـامـن الأحقـاد

★★★

مـا أحيـلاك يـاوفـاق رسـولا   نـاظم الشمـل غـائظ الحسَّـاد
ليت أنـا عـلى الـوفـاق التقينـا   وحيينـا في عـزة واتحـاد

★★★

ربِّ إن العبـاد حـاروا ولجّـوا   في عتـو وغلظـة وعنـاد
رب فـامنن بـرحمـة وبلطـف   يـغمـران الأنـام بـالاسعـاد

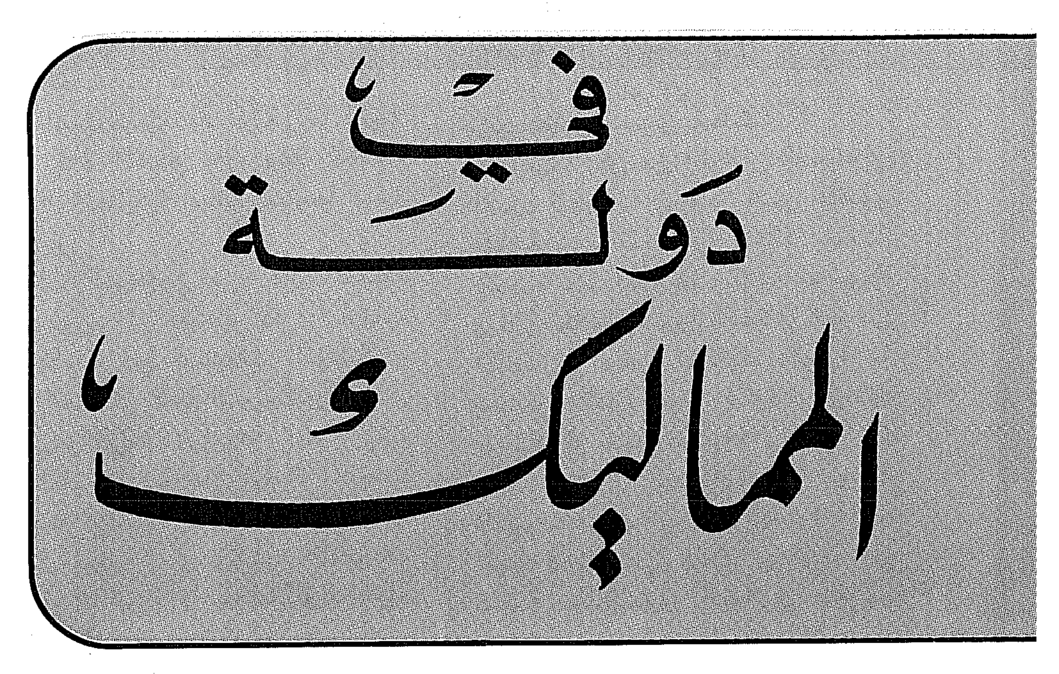


اختلف العلماء في تصنيف الفئات التي يتكون منها المجتمع زمن المماليك ، فابن خلدون يقسم المجتمع الى قسمين : سلطان ورعية[1] ، ونحا هذا المنحى أيضا المؤرخ الانجليزي استانلي لين بول فأشار الى وجود فئتين في ذلك العصر ، الأولى : هؤلاء المماليك الذين يؤلفون القلة الحربية الحاكمة ، والثانية : أفراد الشعب الذين كانوا أداة لفلح الأرض ودفع الضرائب التي أعانت المماليك ، والذين قامت على عواتقهم مختلف الصناعات العسكرية والمدنية ، وبالاضافة الى ذلك فقد اختصوا بالوظائف القضائية والدينية والادارية ، وهذا لا يمكنهم من الظهور بعامة أو الوصول الى مرتبة المماليك[2] .

ورأى المقريزي أن فئات المجتمع سبع ، الأولى : أهل الدولة من المماليك ، والثانية : أهل اليسار من التجار ، والثالثة : متوسطو الحال من السوقة والباعة ، والرابعة : أهل الفلح ، والخامسة : الفقهاء وطلاب العلم ، والسادسة : أرباب الصنائع وأصحاب المهن ، والسابعة : ذوو

١ ـ مقدمة ابن خلدون ١٦٨

٢ ـ دراسات في الحياة الاجتماعية ١٠



للدكتور/ احمد الهيب

الحاجة المسكنة[٣] .

وبناء على ما تقدم نجد أن المجتمع العربي في العصر المملوكي كان طبقيا يتألف من طبقات عدة ، تتميز عن بعضها البعض في أصولها وخصائصها ولغاتها وصفاتها ومظاهرها ، بالاضافة الى اختلاف نظرة الدولة نحو كل طبقة من هذه الطبقات ، والتي كان يحددها مقدار ما تقوم به من واجبات ، وفي ظل مثل هذا التنظيم الطبقي يبدو الفارق كبيرا بين الحاكم والمحكوم .

والحقيقة ان المماليك حكموا البلاد دائما بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة ، استأثروا بالحكم وبشؤون الحرب ، ونظروا في كثير من الأحيان الى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة أو درجات لا ينبغي أن يشاركوا في الحياة الحربية ، واذا سمح لبعضهم بالمشاركة في شؤون الحكم فبالقدر المحدود الذي تخوله صلاحيتهم[٤] .

وهكذا كان المماليك يؤلفون طبقة مستقلة عن سائر السكان ، فلم يتزوجوا منهم ، بل كانوا يختارون زوجاتهم من بنات جنسهم اللائي كان التجار يجلبونهن ، ولقد توفرت لهؤلاء المماليك أسباب النعيم على الرغم من الظروف القا سية التي كانت جموع

٣ ـ اغاثة الأمة ٨٢

٤ ـ العصر المماليكي ٣٢٠

الشعب ترزح تحتها ، اذ كانوا يعتمدون في معاشهم على ما يمنحون من اقطاعات غنية ، ولكن هذه الاقطاعات كانت تعاد الى خزانة الدولة بعد وفاة المقطع له ، وقد أنشأت الدولة المملوكية مكتبا خاصا لهذه الشؤون[1] .

وأما الموظفون من غير المماليك فيقسمون الى اقسام هي : أرباب الأقلام ، أي أصحاب الوظائف الديوانية مثل كتابة السر ونظر الجيش والمال والأوقاف وغيرها ، ثم أرباب الوظائف الدينية مثل قضاة المذاهب الأربعة وقاضي العسكر ، والمفتين ووكيل بيت المال ونقيب الأشراف وشيخ الشيوخ والمحتسب والخطباء وشيوخ المدارس والخوانق وغير ذلك ، وهذه الوظائف بعامة موقوفة على العلماء من أهل البلاد . وبالاضافة إلى ما تقدم فهناك أيضا وظائف أرباب الصناعات مثل رئاسة الأطباء ورئاسة الكحالين (أي آ أطباء العيون) ورئاسة الجرائحية (أي أطباء الجراحة) وغيرهم[2] .

وهذه الوظائف التي تركها المماليك للشعب على كثرتها ليست بذات خطورة أو تأثير في سير احداث الدولة ، فضلا عن خضوعها بعامة لسلطة المماليك حيث يوظفون من يريدون ويقيلون من يشاؤون وهكذا كان الشعب آنذاك خاضعا لأرستقراطية حاكمة قد استأثرت بالحكم والوظائف الهامة ، وحرمته

١ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٢٠
٢ ـ اعلام النبلاء ٣/٣

المشاركة بصورة فعلية ذات قيمة في أمور بلاده ، وصار كل ما يطمح إليه الشعب هو أن يلي أمره سلطان أو نائب عادل يحسن معاملته[3] .

ومهما يكن من أمر فان العلماء أو أهل العمامة ـ كما كان يلقبهم المؤرخون ـ قد نالوا مكانة خاصة متميزة عند المماليك وبكلمة مسموعة ورأي مطاع ومشورة نافذة في كثير من الأحيان ، وكان المماليك كثيرا ما يفيئون اليهم لعرض فكرة أو دراسة مشكلة أو طلب نصيحة ، وكثيرا ما كانوا ينطوون تحت كلمتهم[4] ، وذلك لأنهم ـ على ما يبدو ـ أحسوا دائما أنهم غرباء عن البلاد وبحاجة إلى عامة يستندون إليها في حكمهم ويستعينون بها على إرضاء الشعب ، فلم يجدوا أمامهم سوى العلماء لما للدين ورجالاته من قوة وأثر في نفوس الناس .

ولقد اعتد علماء الدين بمكانتهم هذه ، فعمدوا أحيانا الى معارضة سلاطين المماليك وأمرائهم عندما كانوا يحيدون عن الحق ، على أن هذه المكانة الكبرى التي وصلوا إليها لم تمنع بعض السلاطين والأمراء من التعرض لهم بالنقد والتهكم ، كما لم يرض المماليك أن تشاركهم فئة من السكان في ركوب الخيل ، فاشترطوا على السلاطين حرمان المعممين من ركوبها[1] ، ومع ذلك فلا بد أن نشير

٣ ـ العصر المماليكي ٢١٤
٤ ـ عصر سلاطين المماليك ٢٠٣/٤

١ ـ الحياة الاجتماعية في عصر سلاطين المماليك ٣٢

إلى أن المماليك كانوا كثيرا ما ينضوون تحت كلمة علماء الدين ويقفون عند رأيهم[٢] .

وبالاضافة إلى ذلك كان هؤلاء المعممون أو علماء الدين يحظون بحب الناس وثقتهم ، ويبدو أن مكانتهم هذه ، أو ما نالوه من سعة في العيش ، أو كلا الأمرين معا ، كانا سببا في تحرك نفوس بعض الأمراء بالحقد عليه ، ومن ثم التقليل من شأنهم[٣] ، وعلى كل حال فلقد كان لهؤلاء العلماء دور فعال في إنماء الروح الدينية في جميع طبقات المجتمع في حالتي السلم والحرب على حد سواء .

وإلى جانب العلماء كان هناك الأشراف المنتسبون إلى بيت النبوة الشريف ، والذين نالوا احترام المماليك وإكرامهم وتعظيمهم وذلك بفضل نسبهم الشريف ، وكذلك كان أفراد المجتمع يحترمونهم ويبجلونهم ويحبونهم .

وقد حارب المماليك ذلك التيار الماجن المنحرف في كثير من الأحيان بالعنف والشدة مثلما أمر الملك الظاهر بيبرس بهدم المواخير وإغلاق الحانات وإهراق الخمور وحرق الحشيش ، وطبق هذا الأمر بشدة متناهية حتى إنه صلب أحد السكارى قبل أن يصحو من سكرته بعد أن علق الجرة والقدح في عنقه[٤] .

٢ ـ در الحبب ١/٥٧١

٣ ـ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ٣١

٤ ـ بدائع الزهور ١/١٠٥

وكان إلى جوار هذا اللهو لهو بريء مثل ذهاب الناس إلى ظاهر المدن ولعبهم بالبندق (اسم لعبة قديمة) وغيره وبخاصة في عيدي الفطر والأضحى وغيرهما من المناسبات التي كانت تقام فيها احتفالات كبيرة تشارك فيها العامة والخاصة وتقام فيها المآدب وتوزع الحلوى ويعم الفرح[١] .

وأما بالنسبة إلى أهل الذمة من النصارى واليهود فكانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم في كل مدينة من مدن السلطنة المملوكية تقريبا[٢] ، ولقد كفل لهم المماليك والشعب أيضا حرية العبادة في الكنائس والبيع وحفظها ، بل قد قدمهم المماليك على غيرهم في الوظائف الادارية في بعض الأحيان[٣] ، إلا أنهم قد أمروا ألا يتزيوا بزي المسلمين ، وأن يكون لهم زي خاص أحيانا حتى يعرفوا مثلما أصدر السلطان الناصر قلاوون أمرا يقضي بأن تكون عمائم الذميين صغيرة ، وذات لون أزرق بالنسبة إلى النصارى ، وذات لون أصفر بالنسبة إلى اليهود[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن مثل هذا التمييز لأهل الذمة والتضييق عليهم كان نشازا عن القاعدة التي كانت تعني التسامح ، الأمر الذي يجعلنا نقول واثقين : إن المماليك حكاما

١ ـ اعلام النبلاء ٢/٣٩٩

٢ ـ دمشق الشام ٣٦

٣ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٩

٤ ـ بدائع الزهور ١/١٤٣

والمسلمين شعبا كانوا يعاملون أهل الذمة معاملة كريمة طيبة .

وبالاضافة إلى ما تقدم كان هناك التجار وأرباب الصناعة الذين جعلهم ازدهار التجارة وتقدم الصناعة في هذا العصر أغنياء ذوي ثروات ضخمة تستطيع أن تؤثر في ميزان قوة الدولة المملوكية ، وبخاصة في أوقات الحاجة ، الأمر الذي جعل المماليك يحترمونهم فضلا عن احترام باقي فئات الشعب لهم ، كما أنهم استطاعوا بما ملكوه من ثروات أن يقلدوا المماليك في ترفهم وقصورهم ومعاشهم وغير ذلك .

وتقابل هذه الطبقة المترفة طبقة الفقراء الذين عانوا كثيرا من شظف العيش وشح المال وقسوة الظروف ، ولعل الفلاحين يمثلون أدنى فئات هذه الطبقة نظرا للنظام الاقطاعي الذي كان سائدا آنذاك[٥] .

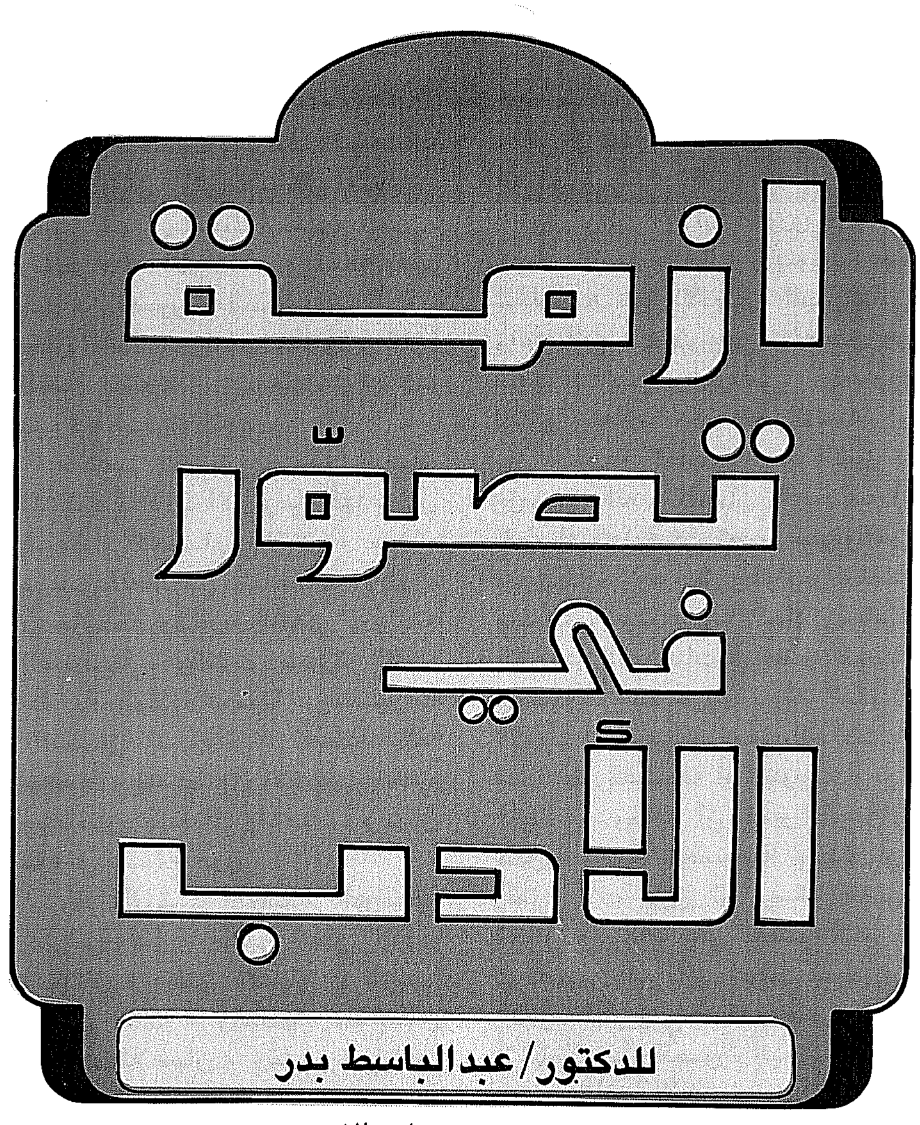
وأما بالنسبة إلى الأعراب فقد كانوا يعيشون عيشة بدوية قائمة على الأرتحال والغزو ، الأمر الذي جعلهم مصدر خطر دائم على الفلاحين وأهل المدن ، وقد حاول سلاطين المماليك إدخال عشائر البدو في النظام الاقطاعي ، فأضفوا على شيوخ تلك العشائر ألقاب الامارة وأقطعوهم الاقطاعات وفرضوا عليهم التزامات معينة ، أهمها الولاء للدولة وحراسة الطرق الصحراوية وتقديم الرجال وقت الحرب ، ولكن عشائر البدو أنفت من الخضوع لذلك النوع من التنظيمات الحكومية التي تفقدها كثيرا من حريتها ، فأخذت ما في النظام المملوكي من مميزات ، وفي الوقت نفسه تخلت عما فيه من التزامات[١] ، ومع ذلك فقد أسهم هؤلاء الاعراب في الدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي مثل إسهام آل فضل من بني كلاب في طرد التتار وكسرهم في عين جالوت[٢] .

وأما بالنسبة إلى المرأة في هذا العصر المملوكي فلم تشارك في الحياة العامة أو الرسمية للمجتمع مكتفية بحياتها الخاصة بها وبالأعمال المناسبة لها ، ومع ذلك فإننا نسمع لها صوتا ضعيفا في الشعر مثل بوران بنت الشحنة[٣] ودينا بنت أبي بكر[٤] وغيرهما ، ومن الجدير بالذكر أن كلتيهما من بيت علم وأدب الأمر الذي يعني أنهما استثناء من القاعدة الآنفة الذكر .

هذا بالنسبة إلى المرأة الحرة ، أما الأمة غير الحرة فلم يكن أمامها الحواجز نفسها التي كانت أمام المرأة الحرة ، إلا أنها مع ذلك فقد فقدت كثيرا من المجالات التي كانت مفتوحة على مصراعيها أمامها في بغداد العباسية او القاهرة الفاطمية ، ولعل ذلك يعود إلى ضعف تيار المجون وقوة تيار الزهد ثم إلى تدني نسبة الغنى والأغنياء عما كانت عليه من قبل في العصر العباسي .

٥ ـ مقدمة ابن خلدون ٢٩٤

١ ـ العصر المماليكي ٢٠٧
٢ ـ صبح الاعشى ٤/ ٢٠٤
٣ ـ در الحبب ١/ ٤٠٣
٤ ـ اعلام النبلاء ٥/ ١٩٨



في عمق التاريخ ، ومنذ ان وجد الانسان البدائي نفسه في مواجهة الطبيعة ومظاهرها الجميلة والمخيفة ، ومنذ أن واجه الموت في الخطر الداهم ، وأحس بيد خفيه تمتد اليه بالنجاة .. ومنذ أن عجز عن تفسير قضايا كثيرة تمر به بين الحين والآخر .. منذ ذلك الوقت بدأ إحساسه بالقدر وبدأ تعبيره عن هذا الاحساس ، في طقوسه الدينية وابتهالاته .

وعندما عثر على صورة التعبير الفني ، في أناشيد وقصص أولية عبر - فيما عبر عنه - عن إحساسه القوي بالقدر .

وتكشف لنا دراسات الآثار والنقوش البدائية في الكهوف أن القدر حقيقة رهيبة في حس الانسان القديم يخافها ويتقيها غالبا ، وفي فترات غيبة الأديان السماوية عن المجتمعات

البشرية ـ بسبب بعد هذه المجتمعات عن الأديان وكفرها ـ كان الانسان يضع البدائل المختلفة لمفهوم القدر ، ويخترع له الأوصاف ويحيطه بقدر كبير من تصوراته البدائية المختلطة . وكان الأدب يبرز هذه الصورة في أطره الفنية المتنوعة ، ويجعلها في حالات كثيرة مضمونه المهم .

فالأدب اليوناني ـ وهو الجذر المشترك للآداب الأوروبية كلها ـ كان شديد الاهتمام بالقدر ، يتخذه موضوعا لعدد من مسرحياته ، ويبرزه في ملاحمه وشعره الثنائي ورواياته الساذجة ، وكانت صورة القدر مشربة بالوثنية العميقة ، وبتصورات الانسان السوداء .. تجعله ظلما محضا ، ينصب على الانسان المظلوم ويحاصره باللعنات والمصائب ويدخل معه في صراع مرير .

وقد أفاضت العقيدة اليونانية الوثنية هذه الصور على الأدب اليوناني ، وتفنن الأدباء في تلوينها بألوان قاتمة ، وكأنها تستجدي العطف للانسان ، وتشحن المتلقين بمشاعر سوداء إزاء القدر لتزيد في وثنيتهم وضلالهم . ويكفي أن تقرأ مسرحية أوديب لأديب اليونانيين الكبير سوفوكليس لترى أي إسفاف وأية قتامة في تصويره للقدر .

ولم يكن الأدب الروماني أحسن حالا من أستاذه الأدب اليوناني ، فقد أخذ عنه ـ فيما أخذ ـ تلك الصورة المضطربة للقدر ، وعرضها في أعماله الأدبية ، فأنت تلقاها في الألياذة ملحمة الأدب الروماني الكبرى بل وحتى في مسرحيات بلوتوس الفكاهية الساخرة .

وقد ورثت الآداب الأوروبية ـ منذ عهد النهضة حتى اليوم ـ هذه القضية من الأدبين اليوناني والروماني ، فالأوروبي المعاصر هو حفيد الاثيني والروماني ، وتصوره للكون والعلاقة بين الله والانسان او بين الطبيعة الغامضة عند الذين لا يؤمنون بالله والانسان لا يختلف في خطوطه العامة عن تصور سوفوكلس ويوربيدوس وفرجيل وبلوتوس خاصة وأنه تلون بموجات الالحاد ومعاداة الكنيسة التي بدأت في عصر النهضة واستمرت مدة طويلة ، وقد استبدل الأديب الأوروبي في بعض الحالات به قدرا آخر كالطبيعة أو الظروف أو قوة المجتمع ، وحاول أن يفسر الألوهة في صورة مادية محسوسة بعيدة عن الغيبيات ، دون أن يسقط قضية الصراع منها ، وهي القضية الكبرى في التصور اليوناني الوثني .. بل ان الأديب الأوروبي قد قدم صورة للقدر لا تختلف عن الصورة اليونانية الا في بعض التفصيلات الصغيرة التي ـ تقتضيها طبيعة الفلسفات الجديدة . فظل الانسان في هذه الصورة مظلوما مقهورا ، وظل في صراع مع القوة الغامضة الجديدة ، ينهزم أحيانا وينتصر أحيانا ، وقد حمل المسرح الأوروبي منذ العصر الكلاسيكي الجديد وحتى عصرنا الحاضر أشكالا من هذه الصورة القاتمة ، وجسد صراع الانسان المتوهم مع الألوهة وصور القدر ظلما مطلقا ينصب على

الانسان المسكين ، ولعل أقسى صورة وأكثرها اضطرابا وقتامة هي - ما حملها المسرح الغربي منذ قرن حتى الآن .. ولو استعرضنا مسرحيات آرمان سلاكرو وجان كوكتو وموريس مترلتل والبيركامي وجان بول سارتر فسنجدها تقوم على فكرة الصراع مع القوة الخفية والآلام المضخمة التي يعانيها الانسان الغربي نتيجة لهذا الصراع . ووجود قضية القدر في هذا الحجم الكبير في المسرح الغربي عامة - والمسرح المذهبي خاصة - دليل على ان المسرح المعاصر يعترف بالقدر ، ويخاف منه ويبحث من خلال تصوره الخاطىء له عن براءة للفرد الأوروبي من ذنوبه وإلحاده وتناقضاته ، ويسعى جاهدا للتخلص من تبعة الذنوب والالحاد والتناقضات ، وإلقائها على قوة غيبية لا يريد أن يبحث عن حقيقتها .

ان الضلال العميق الذي لف الفكر الأوروبي في عرام إلحاده ، والذي تسلل الى الأدب وصار أحد محاوره الكبيرة جعل الأديب الغربي يتوهم انه لا مجال لان يلتقي قدر الله وارادة الانسان في انسجام وتوافق ، وان الله - تعالى الله عما يأفكون - لا يمد يده الى الانسان في ساعات يأسه وتخبطه وحيرته ليرفعه الى آفاق الأمل ويبصره الطريق الذي يجب أن يسلكه صوب مصيره .. وأنه لا مجال لأن يكون القدر صديقا حميما للانسان - لا عدوا لدودا - يهديه اذا ضل الطريق ، ويسرع به اذا أبطأته احداث الزمن .. فراح الأديب يصرخ بهستيرية عجيبة . لماذا الحياة ؟ وما المصير ؟

ومادام الأديب الغربي في ضلاله لن يقع على الجواب الصحيح ، وكل هذا لم يكن يهمنا ولا يقلقنا - بقدر ما يهمنا ويقلقنا اليوم - لو لم يتسرب الى أدبنا العربي الحديث وأدبائنا المعاصرين .

فثمة قدر من الأدباء أقبلوا على الثقافة الغربية ، ولم يكونوا قد ارتووا بعد من أصولهم العقدية . ولا من تراثهم الأدبي .. وأعجبوا بالأدب الغربي ومذاهبه ، وفتنهم مسرحه بما يملكه من معطيات العصر الهائلة ولم يحسوا بما فيه من أمراض قاتلة . وما لبثت العدوى أن دبت فيهم .. وما لبث إنتاجهم الأدبي أن حمل جراثيم كثيرة .. أخطرها هذا التصور القائم للقدر .

والمدهش في الامر أن عددا من الأدباء لم يدرك بعد خطورة هذا التصور ، ولم يشعر أنه أحاط بانتاجه الأدبي في سداه ولحمته دون أن يدري فإذا به يناقش في شعره أو قصته أو مسرحيته قضايا الحياة والموت ويبث في شخصياته الأدبية التي ينشئها شعور العبث والظلم ، ويجري على السنتها عبارات الخصومة والتمرد والصراع ، وكم من رواية تسود بضع مئات من الصفحات لتقول لك أن الحياة عبث لا طائل وراءه ، وأن الانسان مقهور شاء أم أبى ؟ وكم من مسرحية تشد إليها جمهورا عريضا ، تضحكهم وتبكيهم وتزرع فيهم اقتناعا بأن الانسان عليه أن يخلص

حقه من قوة غيبية تخاصمه ؟ وكم من قصيدة وقفت تتعجب من الموت وتسأل في جهل ووقاحة ، لماذا الموت ؟

هل من حاجة لأن أذكر قصائد ومسرحيات وروايات في هذه القضية ؟ وهل من حاجة لأن أذكر أسماء أصحابها ؟ لا أعتقد أن أحدا من المهتمين بالأدب يجهل هذه الأعمال الادبية وموضوعاتها ، ولا أعتقد أن أحدا منهم ينكر أنها بعض من تأثير الغرب فينا .. ولكن الامر الذي يتردد فيه بعضهم ، بل أكثرهم هو أن تقول لهم إن هذه هي الصورة الغربية الشوهاء للقدر ، وأنها تسلك إلى أدبنا وأدبائنا بعلمهم أو بجهلهم بتتلمذهم الطويل والمؤسف لهذا الأدب .

إن تراثنا الأدبي بريء من هذه الصورة الشوهاء ، فلا تجد أديبا يدعى أن بين الانسان وخالقه صراعا أو خصومة .. ولا تجد قصيدة تنعت القدر بالظلم والجور ، حتى قصائد الرثاء القوية ، تبكي المفقودين بحرقة كبيرة ، ولكنها تسلم بأنه القدر ، وأن القدر عدل وحكمة .

والذين تأثروا بهذا التراث بدءا بالبارودي في الشعر ومحمد حسين هيكل في القصة ، وصولا الى المعاصرين الاصلاء كعمر أبي ريشة وهاشم رشيد ونجيب الكيلاني وغيرهم كثيرون قد رسموا في أدبهم صورة ناصعة للقدر تستمد خيوطها من التصور الاسلامي التقي .

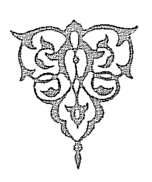
غير أن ركاما من الاعمال الأدبية لأدباء آخرين تجعلنا ندق أجراس الخطر ، وننبه الأدباء والنقاد والجمهور إلى الصورة الشوهاء التي تفد إلى ساحاتنا الأدبية من الأدب الغربي ، ولو استمر هذا الزحف الأسود ـ لا سمح الله ـ فسوف ينشيء قطيعة مريبة بين أدبنا الحديث وتصوراتنا العقدية .

إن الأدباء والنقاد مطالبون بالتنبيه لهذا الخطر ومواجهته ، ولا بد أن يتخلص الأديب من آثار الصورة الغربية الشوهاء للقدر ، ولا بد أن يتجرد الناقد لتمييزها ورفضها وتحذير الجمهور منها .

وليس أجمل من أن يعود هؤلاء جميعا إلى الرؤية الاسلامية الناصعة للقدر .. فيرون أنه إرادة الله الحكيم الخبير اللطيف الرحيم العادل . وأن هذه الارادة تتصل بصفات الله مباشرة .. وتحنو على الانسان المخلوق ، وترتب أحداث حياته وفق حكمة ظاهرة حينا ومغيبة أحيانا كثيرة . لكنها موجودة لا تنعدم أبدا .

وعندما يرتبط أدبنا بهذه الصورة ارتباطا كليا فسوف يحمل القضية الانسانية والعميقة ، ويفهم حقيقة الانسان وحقيقة الحياة .. بل وحقيقة الكون كله .

وليس أبرع ولا أصدق من أدب يصدر عن فهم عميق لكل هذه الحقائق .





شهر الأنعم الحسان

للاستاذ : اسامة محمد المنياوي

أنعم الله عز وجل في رمضان - بفضل منه ورحمة - على العباد ؛ بنعمتين جليلتين هما : بعثة محمد صلى عليه وسلم الى الناس كافة ، بهذا الدين الحنيف اليسر السمح ، القائم على العدل والاحسان . كما أنعم جل علاه بأن أنزل على رسوله في الشهر نفسه أول ما أنزل من الكتاب الكريم .

ومن هاتين النعمتين تأتي النعمة الثالثة الجليلة وهى الاسلام ، ذلك الصراط المستقيم الذى ارتضاه الله تعالى للانسانية كلها دينا .

وانه لحق على كل مسلم اذا جاء شهر رمضان ، أن يستقبله وفي نفسه اكبار وتقدير لهذه النعم عليه وعلى الناس - فان اختيار الرسول واعلاء قدره ، واصطفاءه من خير خلقه ، وارساله الى من بعث اليهم لدليل على عناية الله تعالى بمن أرسله اليهم كعنايته بمن أرسل .. فالله عز وجل اصطفى محمدا من خير خلقه ، وابتعثه الى خير أمة أخرجت للناس .. فكان حقا على المسلمين أن يذكروا نعمة الله عليهم اذ أرسل فيهم رسولا منهم .. وقد عد ربنا جل علاه هذه النعمة وسجلها في كتابه الكريم وأمر بشكرها اذ يقول : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروالي ولا تكفرون)البقرة/ ١٥١ - ٢٥١ .

السنة الدينية والسنة الهجرية :

شهر رمضان فيه عيد ميلاد القرآن ، وفيه عيد ميلاد محمد الرسول ! في ربيع الأول ولد محمد بن عبد الله ، وفي رمضان ولد محمد رسول الله ! كان في ربيع الأول بشرا كسائر البشر وأصبح في رمضان بشرا يوحى اليه .

ولئن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولد في ربيع الأول بشرا ، فان الاسلام قد ولد وبدأ في رمضان .. ومن هنا كان رمضان شهر الذكريات الاسلامية الخالدة الماجدة ، وموسم الأنعم الحسان .. التى كان النبى

صلى الله عليه وسلم يقدرها حق قدرها ، فيحتفل بها احتفالا يكافىء عظمتها وجلالها .. ولقد كان يبدأ احتفاءه منذ أن يتراءى هلال شعبان .. استعدادا واعظاما لرمضان ..

أجل لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يبدأ الاحتفال برمضان منذ يهل شعبان .. فيصوم منه أكثر مما يصوم في شهر غيره سوى رمضان ..

قالت عائشة رضى الله عنها : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان .)رواه الشيخان .

ولما سئل رسول الله عن سر صيامه في شعبان قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه ، بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين . فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (رواه أبو داوود والنسائي وصححه ابن خزيمة) .

ذلك بأن السنة الدينية تبدأ برمضان ، شهر الاسلام والقرآن والرسول .. فكان من الطبيعي أن يكون ختامها شعبان ..

ان رمضان رأس السنة الدينية التى ترتبط بالذكريات الاسلامية العزيزة وعمل المرء وعبادته .. أما المحرم فرأس التقويم للدولة الاسلامية ؛ الذى اختار الفاروق عمر حادثة الهجرة مبتدأ له ، وكان موفقا حين اختار حادثة فذة ليؤرخ بها ظهور الدولة الاسلامية ووجودها في الواقع .. تم بها تحويل الفكرة الى تطبيق عملى يترجم عن الحقائق الجديدة للدولة الوليدة .

أما التقويم الدينى ، المتعلق بالبعثة والقرآن والاسلام - فهذا تقويم يبدأ - ولاشك - مع البعثة النبوية ، وانزال الكتاب ، وولادة الاسلام .. وكل ذلك وقع في رمضان ..

فرمضان هو بداية السنة الاسلامية الدينية ، التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختتمها في شهر شعبان , بالاجتهاد في الصوم اعدادا لرمضان ، وليرفع عمله ويعرض على الله عز وجل وهو صائم ..

وهو تقويم للعمل الاجمالى ،ووقفة مع النفس .. وما أحوج المرء المسلم الى مثل هذه الوقفة ! يقوم بها عمله ، ويحاسب نفسه .. ويلتمس لما قدم من صالح عمله حسن القبول .. وليستقبل رمضان رأس السنة الدينية بقوة .. ذلك عمل السنة يرفع الى الله تعالى في شهر شعبان ، أما أعمال الأسبوع فانها تعرض على الله تعالى شأنه يومى الاثنين والخميس .. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم هذين اليومين أكثر ما يصوم ..

روى أحمد عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس .. فقيل له (أي سئل عن سبب ذلك) فقال : ان الأعمال تعرض كل اثنين وخميس ، فيغفر الله لكل مسلم ، أو لكل مؤمن ، الا المتهاجرين ، فيقول : أخرهما .

وروى مسلم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه .

منهج الرسول في رمضان :

فاذا أتى رمضان ، وحل بالبركة والخير على الأمة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في الاحتفاء به - شكرا لله على تلكم الأنعم الغوالى - نهج فذ يمكن اجماله في هذه الخلال الأربع : الأولى : كان صلى الله عليه وسلم يكثر من تلاوة القرآن ومدارسته في ليالي الشهر المبارك .. فقد روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل - وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان - فيدارسه القرآن ..فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

والروح الأمين يتنزل بأمر ربه طول العام ، وفي رمضان ينزل كل ليلة يتدارس مع النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل من القرآن منجما ، جبريل عليه السلام يتلو والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع . والنبى صلى الله عليه وسلم يقرأ وجبريل عليه السلام يستمع ويفسر مصداقا لقوله تعالى : (**لاتحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه**) سورة القيامة ١٦/١٩ فلا يشذ عنه كلمة ولا حرف .. ولا سبيل للشيطان عليه أن يزيد حرفا أو ينقص حرفا .. لأن الله تكفل بحفظه ، وزاده نعمة فتكفل ببيانه .. وكان جبريل يقول في معارضة ما نزل من القرآن على مدار العام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ضع آية كذا في مكانها من سورة كذا .. قبل آية كذا وبعد آية كذا .. فترتيب الآيات توقيفي عن جبريل عن الله عز وجل ، لا اجتهاد لأحد فيه .. وكان هذا يتم كل عام في شهررمضان .. وحين عارضه جبريل عليه السلام القرآن وهو يدارسه مرتين ذات رمضان .. علم رسول الله عليه وسلم أنها المراجعة الأخيرة ، وأن أجله قد حان .. اذ أكمل الله الدين ، وأتم النعمة ورضى الاسلام دينا ..

ولهذا فمن السنة أن يكثر المسلم الصائم في شهر رمضان من تلاوة القرآن ومن مدارسته .. تلاوة تدبر وتفكر .. فليست العبرة بكثرة التلاوة ولكن بالتدبر فيها .. يجلس الناس الى العالم ، كما يجلس العالم الى العالم .. كما كان النبي الكريم يجلس الى جبريل يتلوان القرآن ويتدارسانه في كل ليلة من رمضان ..

وفي مثل هذا يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ما جلس قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه ، الا غشيتهم الرحمة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الملائكة بأجنحتها ، وذكرهم الله فيمن عنده . (رواه مسلم)

الثانية : كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصلاة والتهجد في رمضان ، فيقوم ليله كما روي الجماعة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره

على احدى عشرة ركعة - فقد صلى أربع ركعات لا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم صلى أربعا لا تسل عن حسنهن وطولهن - ثم صلى ثلاثا - وكان يقوم حتى تنفطر قدماه في بيته كيلا يشق على أصحابه (وأفضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكتوبة) رواه النسائي والطبراني - بعيدا عن الرياء والسمعة واخلاصا لله .. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكربه شيء ويشغله ويطيل السجود له كما تكربه الشفقة على هذه الأمة - ولما قام الليل ، رآه بعض أصحابه فصلى بصلاته .. فلما أصبحوا تداعوا فيما بينهم وانتشر الخبر ، فأقبل نفر كثير فصلى فصلوا بصلاته .. وفي الليلة الثالثة كانوا أكثر عددا .. فلما كانت الليلة الرابعة قال صلى الله عليه وسلم : لم يخف عليّ صنيعكم ، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .

فبما فطره الله عليه من الرحمة ، أشفق على الأمة أن يحل بها ما حل بمن سبقها من التقصير والفتور - فجعل الأمر موكولا الى كل امرىء وما يستطيع .. فمن استطاع قيام الليل بركعتين حسنتين فنعما يفعل .. فان زاد على ذلك فان الله ذو فضل عظيم ..

وهكذا كان قيام رمضان على عهده صلوات الله وسلامه عليه .. قام إماما ثم ترك لعلة هى خشيته أن يشق على الناس لحبهم أن يتأسوا به ويقتدوا به في الأمر كله .. وكانوا يحرصون كل الحرص على اتباعه .. وكثيرا ما كان ينهاهم عن ذلك بقوله : اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ، وان أحب العمل الى الله أدومه وان قل ». (رواه أحمد وأبو داوود والنسائي .)

فلما قبض رسول الله ولقى ربه ، وانقطع الوحى وكمل الدين ، وأصبحنا في أمن من فريضة تفرض لم تكن قد فرضت من قبل .. رأى عمر رضى الله عنه ان يجمع الناس في رمضان على امام يصلى بهم القيام .. ورتب لهم ثلاثة أئمة .. أحدهم يطيل لمن يطيق قيام الليل كله .. وآخر يتوسط لمن تكون همته وطاقته دون ذلك ، وثالث للمستضعفين .. يصلى بهم صلاة حسنة هينة خفيفة في تمام .. فلا يحرم أحد من عبادة يستطيعها .. !

فصل ما شئت ، ولكن جود ما استطعت وأحسن القراءة فيها ان كنت لا تريد ان تزيد على الثماني، أخذا بحديث عائشة الذى ذكرنا .. ولكن كن أقرب الناس شبها بصلاتهم .. فان لم تستطع ان تقوم قيامهم ، وان تقرأ قراءتهم أو قريبا منهم .. فالزم من الركعات ما تعوض به ما فاتك من التسبيح والتهليل وقراءة القرآن ..

وليس من البر المماراة في عدد الركعات .. وليس ما يدعو للخلاف والهرج والعيب على من صلى القيام عشرين وأنه مبتدع ! .. فانه انما رغب في طاعة الله ..ولم يحدد رسول الله لقيام الليل حدا يقف عنده المرء .. وانما هي سنة .. وهذا ما صنعه أمير

المؤمنين عمر .. وما يزال معمولا به الى اليوم في كثير من بلاد المسلمين .. وبخاصة في المسجد الحرام ..
أو صل القيام في بيتك ، وكن اماما لأهلك .. صل أربعا أو ثمانيا أو أقل من ذلك أو أكثر .. وقدم بين يديك بقدر ما تطلب من ربك غدا .. !
الثالثة : وخلة ثالثة كريمة في الاحتفاء برمضان ، تتمثل في بره صلى الله عليه وسلم المضاعف وعطائه المزيد .. في هذا الشهر المبارك .. وهو طوال عامه جواد ماجد .. يعطى ولا يقول لسائل : لا مادام يجد .. فان لم يكن عنده وعد ووفى .. كان أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان .. كان يبارى نفسه جودا وسخاء .. فيتفوق عليها .. وبذلك لا يقتصر على الصلاة فانها عمله وخاصة به .. ولكن يزيد عليها ويضيف اليها البر والجود .. فيحكم الصلة فيما بينه وبين الله بقيام الليل والصلاة .. ويحكم الصلة فيما بينه وبين الناس بالجود والسخاء الذى فطره الله عليه .. والانسان ليس يكمل الا باجتماع الخصلتين فيه .. والصلاة والصلة في الاشتقاق من مادة واحدة .. وذلك من أثر الصيام وحكمته .. حين يمتنع المؤمن اختيارا عن مطعمه ومشربه وشهوته ... فيذكره ذلك بالممتنعين اضطرارا .. وهذا يعمق في النفس شعورها بالآخرين .. ويرقق الأفئدة .. ويرهف وجدان الأمة المرحومة الراحمة ، ويوجهها الى نهج التكافل والتراحم والإخاء ... وحين ينزل جبريل ويدارسه القرآن .. كانت يداه تفيضان بالندى ... وكان رمضان سوق خير ينتظره الفقراء والمحرومون بلهفة .. وقد حث رسول الله من وجد طعاما ان يشارك فيه اخوانه الصائمين .. ووعد ان يكون له مثل أجر من أفطره .. واكتمل سبب الجود بما استن الصادق المصدوق من صدقة الفطر اختتاما للشهر الكريم ذي البركات ؛ طهرة للصائمين ، وطعمة للمساكين ، وعيدا للبر والحب يشمل سائر المسلمين .
الرابعة : كان صلى الله عليه وسلم يلتزم المسجد ليلا ونهارا ويظل معتكفا لا يخرج منه الا لما تقضى به الضرورة البشرية .. وذلك في العشر الأواخر من رمضان – روى أحمد عن أنس قال : كان اذا كان مقيما اعتكف العشر الأواخر من رمضان – واذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين . ذلك لأن الاعتكاف في المسجد قربة مشروعة من القربات التى عطلها المسلمون أو كادوا .. وحقيقة الاعتكاف : المكث في المسجد بنية التقرب الى الله تعالى .. ويظل رسول الله في طاعة وذكر وعبادة وتلاوة للقرآن ومدارسة له ، وعمل للبر والخير .. وفي مكنة كل مسلم اليوم ان يصيب من هذه السنة المحمودة بقدر ما تواتيه ظروف معيشته .. بعد ان يكفى نفسه وأهله حاجتهم ... فمن استطاع اعتكف عشرا أو ثلاثا أو يوما واحدا .. بل عدة ساعات من نهار او ليل .. فلا يحرمن أحد نفسه من خير ما وسعه .. وديننا قائم على اليسر ونفى الحرج .. ولله الحمد .

الفتاوى

بمناسبة شهر رمضان المبارك وردت اسئلة كثيرة للمجلة من الاخوة القراء مع ثنائهم على المجلة بصفة عامة وعلى باب الفتاوي الذي يعالج كثيرا من المشكلات .
ونجيب بتوفيق الله تعالى في هذا العدد عن الأسئلة الخاصة بالصوم وأحكامه :

« الصيام ورؤية الهلال »

يسأل الأخ القارىء المهندس إيهاب محمد عيسى مصر الجديدة فيقول لماذا لم يتفق المسلمون على يوم واحد في بدء شهر رمضان ثم يقول عند رؤية الهلال في أي شهر هل يجب على من يراه دعاء مخصوص ؟ وما هو الدعاء المطلوب في رمضان ؟

ياأخي الاختلاف في بداية شهر رمضان يرجع إلى أن رؤية الهلال تختلف من قطر إلى قطر . ومعلوم أن شهر رمضان يثبت برؤية هلاله لقول الله تعالى (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** ..) والهلال يظهر لأهل المشرق قبل أهل المغرب ، فمن رآه ثبت لديه بداية الشهر ووجب عليه الصيام . ومن التمس الهلال ولم تثبت رؤيته لا يبدأ الصيام ويكمل عدة شعبان ثلاثين يوما . والفقهاء في هذا الموضوع لهم بحث طويل ، فكثير منهم يرى أنه إذا رئى الهلال في بلد وجب الصيام على جميع البلاد الأخرى . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته) . وهذا خطاب عام لجميع الأمة ، فمن رآه منهم في أي مكان يعتبر ذلك رؤية للجميع من أهل الأماكن الأخرى . وفريق آخر من العلماء لا يلتزم بهذا ويقول المعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم للهلال . ورؤية غيرهم له دونهم لا تلزمهم هذا هو سبب الاختلاف في رؤية الهلال وثبوت شهر رمضان أحيانا . وتوجد حاليا محاولات إسلامية لتوحيد بداية الأشهر العربية والأعياد والمواسم الاسلامية . وذلك ببحث ثبوت الرؤية مع الاستئناس بالحساب الفلكي . ويميل كثير من العلماء إلى وجوب

الصوم على أهل البلد الذين رأوا الهلال وعلى البلاد التي تكون معهم على خط عرض واحد وهذا يتفق مع الواقع لامكان رؤيتهم جميعا له .

أما الدعاء عند رؤية الهلال فليس واجبا بل هو مستحب ، بمعنى أنه يستحب للمسلم إذا رأى الهلال أن يدعو الله بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، والأفضل الدعاء بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا رأى الهلال قال الله أكبر . اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله . ومن لم يحفظ هذا الدعاء يدعو بما فيه خير ويستقبل الشهر الجديد بالتضرع والدعاء ، وخاصة شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

أما في رمضان فالصائم يدعو وأمله في الله كبير أنه لا يرد دعوته . روى الترمذي بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والامام العادل . والمظلوم ، يؤيد هذا ما رواه ابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند الافطار : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، هذا الدعاء وغيره فيه شكر لله وثناء عليه وإقرار بفضله وعونه .

(حكم النية في الصيام)

القارىء عبد الجبار حسن من البصرة **يقول في بعض ليالي رمضان أنسى أن أقول نويت الصيام فهل صيامي صحيح أم باطل ؟ وإني أعرف من دراستي أن النية شرط أساسي في العبادات .**

★ نعم يا أخي لا بد من النية وأن تتحقق قبل الفجر وفي أي جزء من أجزاء الليل في صيام رمضان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) ومعنى (من لم يجمع) من لم يأت بالنية ويعزم عليها ولقوله صلى الله عليه وسلم (من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له) ولكن إذا تسحر الصائم فالسحور يعتبر نية . وإذا كان عنده عزم على ترك المفطرات هذا العزم يعتبر نية . التلفظ بالنية غير ضروري لان النية محلها القلب . فلو قال الصائم باللسان نويت الصيام مع العزم بالقلب أجزأه ذلك وإن اقتصر على النية في قلبه أو أدى عملا يؤكد النية صح صومه ولو لم يتلفظ بها والفرق بين النية في صوم رمضان والنية في صوم التطوع . ان النية في رمضان لا بد من تبييتها ليلا وصدورها قبل الفجر . أما

التطوع فالنية فيه جائزة في النهار قبل الزوال فلو اصبح المسلم ولم يفطر وأراد أن يصوم ينوي الصيام تطوعا وينعقد صيامه ولو لم يبيت النية . أما صيام رمضان فلا بد فيه من النية ليلا .
والدليل على جواز النية نهارا في صوم التطوع أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة رضي الله عنها ذات يوم وقال هل عندكم شيء ؟ قلنا لا ـ قال : فإني صائم .

(حكم من مات وعليه صيام)

قارئة من الكويت تقول : **مات والدي وأنا إبنته الوحيدة وكان مريضا وأفطر في شهر رمضان لمرضه فما هو المطلوب مني حتى تبرأ ذمته من صيام رمضان** ؟

★ السؤال كان يحتاج إلى توضيح أكثر بمعنى هل ظل والدها مريضا حتى مات أم إنه شفي بعد ذلك مدة توازي الأيام التي أفطر فيها ؟
على أي حال لو استمر المرض حتى جاء أجله لا شيء عليه لقول الله تعالى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** البقرة/ ١٨٥ ولم يتحقق ذلك حتى يمكنه أن يقضى ما عليه ما دام المرض قد لازمه حتى الوفاة .

أما إذا كان قد شفي من مرضه مدة بقدر الأيام التي أفطر فيها ولم يصم فجمهور الفقهاء يرى أن (وليه) والمراد بالولي القريب سواء كان عصبة أم وارثا . لا يصوم عنه ويطعم عنه مقدار قدحْين أو قيمتهما عن كل يوم .

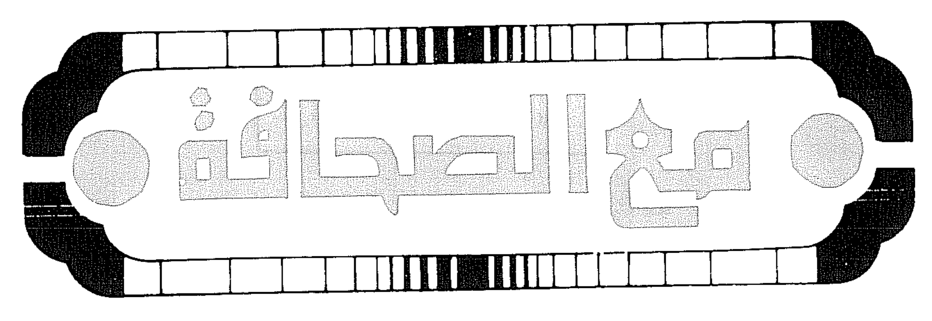
وأن كان المختار من مذهب الشافعية أنه يستحب لولي الميت أن يصوم عنه وبذلك لا يطعم عنه لو شاء وإستدلوا على ذلك بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) ولما روى أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه ؟؟ عنها فقال : لو كان على أمك دين كنت قاضيه قال نعم قال فدين الله أحق أن يقضي .
بهذا فالأخت صاحبة السؤال بالخيار إما أن تطعم عنه كما يرى الجمهور أو تصوم كما يرى بعض الفقهاء
هذا إذا كان أبوها مات بعد الشفاء بمدة ولم يقض ما عليه من صيام أما إذا استمر عجزه عن الصيام حتى مات فلا إطعام ولا صيام .

« اصرف بصرك »

قارىء من مدينة الاسكندرية يقول : **أحاول المحافظة على الصوم ولكني بحكم عملي في محل بيع الألبسة النسائية يقع نظري على بعض النساء السافرات وأنا صائم فماذا أفعل وأنا مضطر للتعامل معهن** ؟!

★ يا أخي الكريم النظرة العابرة البريئة لا إثم فيها بل الاثم في تكرار النظرة وإطالتها لأنها تثير الغريزة وخاصة إذا كان هذا التوجه إلى امرأة ذات جمال في كامل زينتها . من أجل ذلك أمر الله سبحانه بغض البصر أمر به الرجال والنساء في قوله سبحانه : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون**) ثم يقول (**وقل للمؤمنات يغضضن أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ..)

والغضة من البصر ليس معناه إغلاق العين أو أن يمشي الانسان وقد أغمض عينه أو يمشي مطأطىء الرأس حتى لا يقع نظره على محرم ، هذا أمر ليس في الامكان وبالتالي لا يكلف به الانسان لأنه ليس مستطاعا له . ولكن معنى الغض عدم إطالة النظر أو الاسراف فيه سواء كان من الرجل أو من المرأة وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم النظرات الجائعة المشبوهة من أحد الجنسين إلى الآخر نوعا من الزنا فقال (العينان تزنيان وزناهما النظر) وسمى ذلك زنا لأنه نوع من التلذذ وإشباع الغريزة الجنسية في أمر محرم شرعا والنهي يتناول الصائم وغير الصائم ليحرص المسلم دائما على النظرة أن تكون أمينة عفيفة لا نقول لك امتنع عن العمل ما دام هذا العمل وسيلة رزقك ولا وسيلة لك غيره إلا إذا كانت الفتنة قد أخذت طريقها إلى قلبك فيجب أن تبحث عن عمل آخر تطمئن فيه على دينك وخلقك والمطلوب منك في رمضان وغيره أن تحذر المحرم من النظرة غير البريئة ومن محاولة تعمد الحديث معهن في غير مصلحة العمل ، النظرة الفجائية لا إثم فيها فعن جرير بن عبد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال اصرف بصرك ـ يعني لا تعاود النظر مرة أخرى أنت بمراقبتك لله تستطيع أن تتجنب فتنة النظر ومما يساعد على ذلك ألا تخرج السافرة بصورة تشد الأنظار وتدعى أنها صائمة تخرج متعطرة وتدعى أنها صائمة تتكسر في مشيتها وتتعمد الحركات المثيرة بلا خجل ولا حياء على هؤلاء وأمثالهن الالتزام بآداب الاسلام ففيها الجمال والكمال وبها تسمو القيم الأخلاقية الفاضلة .



● عن عودة السوفيات إلى المنطقة

نشرت مجلة الايكونومست البريطانية حول هذا الموضوع مقالا في الأسبوع الأول من شعبان جاء فيه :

يبدو ان الدب الروسي بدأ في العودة الى الشرق الأوسط من جديد ، الا أن العسل ما يزال بعيدا عن متناوله بعد ، ففي الشهر الماضي ، وافق الرئيس المصري مبارك مبدئيا على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع موسكو ، بعد انقطاع في العلاقات بين البلدين منذ ١٩٨١ ، بعد طرد السادات للسفير السوفياتي حينذاك ، والعراق من جهته بدأ في تغيير لهجته مع موسكو لتصبح أكثر ودا بعد أن أصبحت موسكو أكبر مورد للسلاح الذي يحتاجه العراق في حربه الحالية مع ايران .

وفي الوقت الذي لا تشعر فيه الولايات المتحدة بالرضى عن الانجازات الدبلوماسية الروسية تلك ، فانها لا تعتقد بأنها تشكل تحولا خطيرا في نفوذ الدول الكبرى في المنطقة . والرئيس المصري في موقفه الجديد لا شك مدفوع بعاملين ، الأول يتعلق برغبته في الحصول على بعض قطع الغيار للأسلحة السوفياتية التي ما يزال الجيش المصري يستخدمها منذ الستينات ، والثاني ، يحاول الرئيس مبارك منذ توليه زعامة مصر اجراء تعديل على سياسة بلاده الخارجية بدون المساس بمعاهدة الصلح التي تربطه باسرائيل واضعاف علاقته الاقتصادية والعسكرية مع الولايات المتحدة ، الأمر الذي يعني محاولة الظهور بمظهر الأقل تبعية للولايات المتحدة من سلفه السادات ، على الأقل في أعين العرب ، ولعل في دعوة ياسر عرفات مؤخرا نقل مقر منظمة التحرير الى القاهرة دليل على نجاح سياسة مبارك التقاربية مع العرب .

في بداية حرب الخليج ، حاول الاتحاد السوفياتي اتخاذ موقف حيادي ، الا أنه سرعان ما فقد الأمل في اكتساب نظام آية الله كصديق ، وخاصة بعد ملاحقة حزب تودة الشيوعي المؤيد لموسكو في العام الماضي . كما يبدو أن الروس قد تناسوا الاجراءات القمعية العراقية بحق الحزب الشيوعي في أواخر السبعينات . الا أن الروس مصممون الآن على منع سقوط النظام العراقي وقيام حكومة دينية متشددة على غرار الوضع في ايران ، وكذلك على منع تحول العراق الكامل باتجاه أميركا وانضمامه للتكتل العربي الحالي الذي يضم الأردن ومصر والسعودية . ففي صيف ١٩٨٢ بدأ الروس في شحن الأسلحة الى العراق بشكل أبعد بغداد عن الولايات المتحدة ، وفاق محاولات التسليح الفرنسية وغيرها من المصادر الغربية . وفي مارس الماضي وافق الروس على مساعدة العراق في بناء مفاعله النووي الذي سيحل

محل المفاعل القديم الذي قام الاسرائيليون بتدميره في غارة جوية عام ١٩٨١ .
وفي لبنان حيث تعتبر خسارة الولايات المتحدة هناك بمثابة كسب للروس ، اتبع هؤلاء أسلوبا حذرا في التحرك ، فهم راضون عن نجاح السوريين في فرض موقفهم القاضي بقدرتهم على افشال أي اتفاق لا يحوز على موافقتهم . كما أنهم يحاولون جاهدين التوفيق بين الرئيس الأسد وياسر عرفات ، وهي مهمة لن تكون بالسهلة ، ولن يقل عن ذلك سهولة الموقف الروسي القاضي بضرورة اعتراف العرب باسرائيل في نهاية الأمر ، وعليه فان هناك حدودا لحرية الحركة التي تتمتع بها السياسة السوفياتية في المنطقة فسورية هي الوحيدة التي ما زالت الصديقة ذات الشأن هناك ، في حين أن كلا من مصر والعراق ما يزالان يعارضان الخطط السورية الرامية للهيمنة على المنطقة . ومن المستبعد في الوقت الحاضر أو المستقبل المنظور حدوث تقارب بين سورية ومصر أو تقارب سوري عراقي .
الروس ولا شك سيحاولون مدفوعين بالرغبة في تحقيق أفضل العلاقات مع المعسكرين في العالم العربي ، سيحاولون اقناع الأسد باعادة فتح أنابيب النفط العراقية عبر سورية ، وسيعتبر نجاحهم في ذلك ضربة موفقة وانجازا كبيرا للدبلوماسية الروسية . الا أن أهداف روسيا الآنية متواضعة بعض الشيء . فكل ما يطمع به الزعيم السوفياتي تشيرنينكو حاليا هو عودة السوفيات الى الشرق الأوسط والقبول بدوره القديم . ومع ان خطواته الأولية بهذا الشأن حتى الآن تعتبر موفقة وذكية ، الا أنه ما يزال بعيدا عن تحقيق هدفه المنشود .

● عن رغيف العالم الثالث

نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٧٧ للسنة السابعة مقالا عن تقرير لمدير البنك الدولي حول تعرض بلدان العالم الثالث لعملية نهب قاتلة .. وجاء في المقال :

في تقرير لمدير البنك الدولي تلاه في الندوة الأوروبية للادارة التي عقدت مع نهاية العام ١٩٨٣ في مدينة دافوس في سويسرا ، قال : « ان بلدان العالم الثالث تتعرض لعملية نهب قاتلة ، وسيكون عليها الانتظار سنوات طويلة قبل أن تنهض من أسوأ كساد عالمي منذ ٤٠ عاما .
وأضاف : « ان الديون الخارجية للعالم الثالث بلغت ٨١٠ مليارات دولار ... » .
وأورد الرجل كلاما على الأزمة الحادة في الغذاء التي سيواجهها العالم مع مطلع التسعينات ، اذ تكون ديون العالم الثالث قد تضاعفت من جهة . واعداد سكانه أيضا .. واستنادا الى الواقع الحالي ، فان انتاجه سيظل محدودا مما سيتسبب في فناء اعداد كبيرة من البشر بسبب الجوع وستترتب على ذلك أمراض وأوبئة ..
وتقول الاحصاءات ان الولايات المتحدة الأميركية تستأثر بـ ٥٠٪ من مجموع صادرات الحبوب في العالم ، كما انها باخضاعها استراليا وكندا لهيمنتها الاقتصادية ، استطاعت أن تخلق مؤسسة الاحتكار العالمي للحبوب . وعن طريق هذه المؤسسة المثلثة الأضلاع والزوايا استطاعت الولايات المتحدة ان تسيطر على أسعار الحبوب ، وبدأت وحدها تدير سياسة بيع المواد الغذائية بشكل عام والحبوب بشكل خاص ، وبسطت هيمنة كاملة على سوق الغذاء العالمي ، وربطت ذلك بالسياسة . ولعل أوضح مثل على ذلك ما جرى ويجري في مصر ، فالمعروف ان الولايات المتحدة تصدر الى مصر أربعة أرغفة من كل خمسة يستهلكها المواطن المصري . وقد تعمدت واشنطن تجزئة المعونة الى مصر بحيث تقدم لها كل ثلاثة

أشهر مرة وليس مرة واحدة كل سنة ، كما هي العادة .

والولايات المتحدة بذلك استطاعت أن تؤمن لنفسها سلاحا لا يقهر ، وظفته ضمن تخطيط سياسي دقيق ومتداخل بحيث استخدمته لاخضاع الآخرين للترهيب وللترغيب ، كما ان الولايات المتحدة خاضت ولا زالت تخوض حربا شرسة ضد جميع بلدان العالم خارج نطاق الاحتكار الثلاثي الأميركي ـ الاسترالي ـ الكندي ... وحتى دول أوروبا الغربية لم تكن بعيدة عن التدخل الاميركي لتحجيم دورها عن طريق محاربتها اقتصاديا خصوصا في ميدان الانتاج الزراعي .

وقد نجحت الولايات المتحدة نجاحا باهرا في عرقلة الانتاج الزراعي في بلدان العالم الثالث لكنها لم تستطع ان تنجح في دول أوروبا الغربية . اذ استطاعت القارة الأوروبية عن طريق السوق المشتركة ان تجمع كل جهودها في تنمية زراعية بالدرجة الأولى .

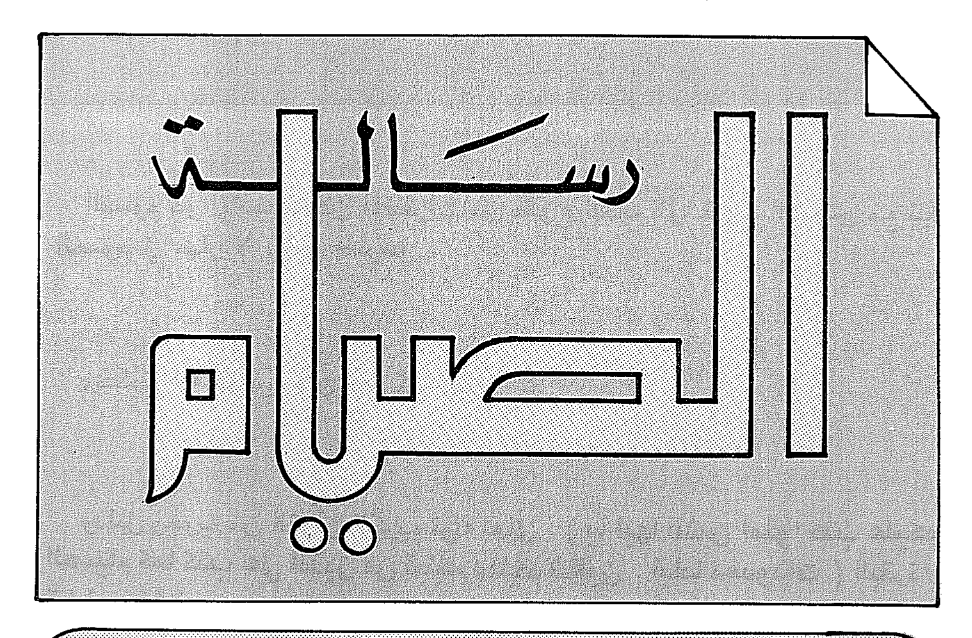
وبعد ما أعادت أوروبا تنظيم قواها في ميدان الانتاج الزراعي في السنوات الأخيرة ، حققت فائضا كبيرا في الانتاج الغذائي ، ورغم ان لأوروبا أسواقها الا ان الاحتكار الأميركي في مجال التسويق ، وضعف أسواق العالم الثالث وتراكم ديونه ، أوقع أوروبا في أزمة جديدة وهي أزمة الفائض الغذائي ، الذي قد يعرض القارة العجوز للافلاس ، أو يجعل السوق الأوروبية المشتركة تعيد النظر في الدعم السخي للانتاج الغذائي . وتقول احصائية أخيرة ما يلي :

« وفي أوروبا اليوم بحيرة من الحليب ثمنها ٦ مليارات دولار ، وفيها ٢٥ مليون بقرة تعطي ١٠٥ مليارات ليتر من الحليب الا ان عشرين في المائة من هذه الكمية لا يمكن بيعها وهي تستخدم في انتاج الزبدة والحليب المجفف ، وتتكون جبال الزبدة من ٩٠٠ ألف طن محفوظة في مخازن التبريد ، وبسبب زيادة عدد الأبقار ، فان هنالك جبالا من اللحوم مخزنة في البرادات ويبلغ وزنها ٤٠٠ ألف طن ... » هذه بعض ارقام فائض الغذاء في أوروبا . أما أميركا فلديها على الأقل عشرات اضعاف هذا الرقم من المخزون الغذائي . أما ما تحكم عليه الولايات المتحدة بالاعدام من الانتاج الغذائي فهو عشرات أضعاف المخزون اياه !

ويقول الناس بشكل عادي في أميركا ان ما يلقى في القمامة من «الهمبرغر» يكفي لتغذية القارة الافريقية بأكملها . ويدهش من يزور الولايات المتحدة عندما يسمع بأن الجزء الأكبر من انتاج الحبوب يتم حرقه سنويا (!) أولا لحرمان فقراء العالم منه ، وثانيا للاحتفاظ بسعر الحبوب عاليا .

وبسبب غياب التكامل الاقتصادي العربي فان الاستثمار في مجال الانتاج الغذائي يصبح مشكلة في بعض الأحيان وعدم الاستثمار يصبح مشكلة في احيان أخرى .

ولو أمكن التوصل الى نوع من التكامل الاقتصادي العربي لأمكن استغلال الأرصدة العربية المكدسة في بنوك الغرب في تنمية قطار الانتاج الزراعي . وفي البلاد العربية أراضي شاسعة وأموال طائلة وطاقة بشرية متطورة ، ولا أقل من أن تلتقي هذه الامكانات العربية في السوق العربية المشتركة القائمة اسميا الغائبة فعليا ... لا بد أن تلتقي هذه الطاقات في حدها الأدنى في دعم لقمة الخبز والانتاج الغذائي . لا بد من الافادة من التجربة الأوروبية ، ولا نطمح الى فائض الغذاء الذي حققته السوق الأوروبية المشتركة في سنوات لكن لا بد من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، وهي قضية لم تعد ترفا أو مسألة صعبة . لقد أصبح ذلك هو الرهان الحقيقي على مستقبل الشعوب والأمم .



شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ
ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

رواه البخاري ومسلم والنسائي

صيام رمضان

تعريف الصوم :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه .

حكمه :

وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف .

دليل وجوبه :

ودليل وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات)** البقرة/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقوله تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** . البقرة/ ١٨٥ .

ومن السنة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)** .

(رواه البخاري ومسلم)

أركان الصوم

للصيام ركنان :

الاول ـ النية . فلا يصح الصوم إلا بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . ومحلها القلب . وهي واجبة لكل يوم عند جمهور الفقهاء . وعند المالكية تكفي النية الواحدة في اول كل صوم يجب تتابعه كصوم رمضان وصوم الكفارة ، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر كله .. ويقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر للامتناع عن الاكل وغير ذلك . ولا يضر الاكل أو الشرب أو اتيان الزوجة بعد النية ما دام ذلك قبل طلوع الفجر .

الثاني ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل)** البقرة ١٨٧ والمراد بالخيط الابيض

والخيط الاسود بياض النهار وسواد الليل .. ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فَلَفَظَهُ صح صومه أما إذا ابتلعه بعد ذلك فانه يفطر .

شروط وجوب الصوم :

ويشترط لوجوبه : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، والاقامة ـ وألا تكون المرأة حائضا ، ولا نفساء ، ولا حاملا ، ولا مرضعة ، والقدرة على الصوم

الأعذار المبيحة للفطر

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم القضاء :

يباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه ، والمسافر ، ويجب عليهما القضاء لقوله تعالى : (**ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر**)
والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يؤخر الصوم شفاءه والسفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر الصلاة بسببه ، وقد قدره أهل العلم بما لا يقل عن واحد وثمانين كيلو مترا .. ويكره للمريض أن يصوم لما قد يلحقه بذلك من ضرر ، أما المسافر فله أن يصوم وله أن يفطر لما رواه مسلم : قال حمزة الاسلمي « يا رسول الله ، أجد من قوة على الصوم في السفر فهل عليَّ جناح فقال : هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . وإذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار أما إذا نوى الصيام وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فجمهور العلماء على عدم جواز الفطر له .. وأجازه بعض العلماء .

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم الفدية :

يباح الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال .. إذا كان الصيام يشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا وجبتين من أوسط ما يأكلون عادة ولا قضاء عليهم .
روى البخاري عن عطاء « أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**) قال ابن عباس ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا » .
والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم والعمال الذين يضطلعون بمشاق الأعمال مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

حكم الحامل والمرضع :

يرى الأحناف ان الحامل والمرضع سواء خافتا على نفسيهما أو على ولدهما فعليهما القضاء ويرى ابن عباس وابن عمر أ عليهما الفدية طعام مسكين عن كل يوم ويرى أحمد والشافعي : أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء . وإن خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية .

المسافرون بالطائرة :

يشاهد المسافرون بالطائرة ، وبخاصة إذا كانت فوق السحاب ، أنهم إذا نظروا إلى الأرض قبيل المغرب لم يروها لأن قرص الشمس غاب عنها بسبب تقوس سطح الكرة الأرضية ، في حين أن نورها يظل ظاهرا على السحاب فترة ، ثم يختفي ، وهم في الوقت نفسه يشاهدون قرص الشمس واضحا وهو يميل إلى الغروب حتى يختفي تماما . ومع الترخيص للمسافر سفرا طويلا بالفطر بشروطه المعروفة ، قد يختار بعض الناس أن يصوموا ، بل قد يلزمهم أحيانا ، وعلى هذا

فمتى يفطر ركاب الطائرة ؟

لا يجوز أبدا أن يفطروا إذا مروا على أرض غاب عنها نور الشمس ، ما داموا هم يرونها ، فان الليل إذا كان قد دخل على سكان الأرض في منطقة فإنه لم يدخل على ركاب الطائرة بعد ، وعلى هذا لا يجوز لهم الافطار إلا بعد غياب قرص الشمس تماما . قال تعالى « **وأتموا الصيام إلى الليل** » وليل الركاب لا يدخل إلا بتواري قرص الشمس عنهم في المغيب .

مبطلات الصيام

مبطلات الصيام قسمان :

- ما يبطله ويوجب القضاء فقط .
- ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة .

ما يبطله ويوجب القضاء فقط

١ ، ٢ ـ الاكل والشرب عمداً فإن أكل أو شرب ناسياً أو مكرهاً فلا قضاء عليه ولا

كفارة .

٣ ـ القيء عمداً فان غلبه القيء فلا يبطل صومه .

٤ ، ٥ ـ الحيض والنفاس ولو في اللحظة الاخيرة قبل غروب الشمس ، ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما .. أما الاستحاضة وهي نزول الدم في غير أوقات الحيض فلا تمنع الصوم ولا الصلاة .

٦ ـ إنزال المنى إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي اليه كالاستمناء وتقبيل الزوجة ، والنظر المتكرر لمن عرف أنه ينزل به على ما رآه بعض الأئمة . أما نزول المنى باحتلام فلا يبطل الصيام ولا يبطله المذى ولا الودي .

٧ ـ الردة عن الاسلام ومنها سبُّ الدين واحتقار مقدساته وجحد ما علم منه بالضرورة كوجوب الصلاة .

٨ ـ الجنون والسكر المتسبب فيه والإغماء .

٩ ـ من نقض نية الصيام قاصدا الفطر بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا

١٠ ـ إذا تناول الصائم مفطرا أو فعل ما يفطر ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند الائمة الأربعة .

وعند بعض الفقهاء صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى (**ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**)

١١ ـ الدخان بجميع أنواعه والنشوق الذي يؤخذ عن طريق الأنف

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

فهو الجماع لا غير

والجمهور على أن الكفارة واجبة مع الرجل والمرأة ما داما قد تعمدا الجماع مختارين في نهار رمضان ناويين الصيام ، ويرى الشافعي وأحمد أنه لا كفارة على المرأة مطلقا وإنما يلزمها القضاء فقط والكفارة عتق رقبة فإن عجز عنه صام شهرين متتابعين فان عجز عن الصيام أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله ويرى بعض الفقهاء أنه مخيّر بين هذه الثلاثة فأيها فعل أجزأته وإفساد كل يوم بالجماع له كفارته الخاصة ويرى الأحناف أن كفارة واحدة تكفي عن إفساد جملة أيام .

كيفية القضاء :

كيفية القضاء : أن يصوم بدل الأيام التي أفطرها في زمن يباح فيه الصوم ، ويجوز له أن يصوم أيام القضاء متتابعة أو متفرقة .

ويسن له التعجيل بالقضاء ، وتجب عليه المبادرة إذا بقى على رمضان التالي بقدر ما يكفي القضاء ، فإذا أخره عن رمضان وجب عليه مع القضاء فدية عن كل

يوم اخره . وذلك إن كان التأخير بغير عذر ، فإن كان بعذر فلا فدية عليه مع القضاء ، ورأى أبوحنيفة عدم وجوب الفدية للتأخير مطلقا ، سواء أكان بعذر أم بغير عذر .

ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه لصحة الحديث بذلك ، وقال الأحناف والمالكية : لا يصوم عنه وليه بل يطعم عن كل يوم مدا .

امور لا تفطر :

وهي نوعان : مكروهة وغير مكروهة .

فالمكروهة منها :

١ ـ مضغ الطعام أو ذوقه ثم مجُّه ، إلا لحاجة كالطاهي فلا يكره .
٢ ـ مضغ العلك « اللبان » الذي لا يتحلل منه شيء ، فان تحلل منه شيء وبلعه بطل صومه .
٣ ـ تمتع النفس بالمتع المباحة من المبصرات والمسموعات والمشمومات ، كتقبيل الزوجة ، ومعانقتها بشرط أمن العاقبة ، وإلا كان ذلك حراما . أما التمتع بالمحرّم كالنظر إلى الأجنبية أو سماع المحرّم أو قوله فهو حرام على الصائم وغيره ، وتشتد حرمته على الصائم ، لأن الصوم يقوم على كفّ النفس عن شهواتها .
٤ ـ الاكتحال والتقطير في العين لغير ضرورة ، والشافعية والأحناف لا يقولون بالكراهة ، ومالك يقول بالحرمة إن تحقق وصول الطعم إلى الحلق ، وإن شك كره . وعند أحمد يكره ، وإن وجد الطعم في الحلق بطل الصوم .
٥ ـ دهن الشعر على رأي الجمهور ، والمالكية يقولون : لو وصل الأثر إلى الحلق بطل الصوم .
٦ ـ الحجامة والفصد للعلاج ، وقال أحمد بالحرمة وبفطر الحاجم والمحجوم .

وغير المكروهة منها :

١ ـ وصول شيء إلى الجوف بنسيان أو إكراه ، أو بسبب يعذر به شرعا ، وذلك عند غير المالكية ، أما هم فيبطلون الصوم بالنسيان والإكراه ، ويوجبون القضاء دون الكفارة .
٢ ـ الابتراد بالماء صيفا ، بغسل أو مضمضة بلا مبالغة ، أما المبالغة في المضمضة والاستنشاق فمكروهة .
٣ ـ ابتلاع الريق ما لم يجاوز الشفة ، فان جاوزها ثم ابتلعه أفطر .

٤ ـ وصول بقايا الطعام التي بين اسنانه بجريان الريق إذا كان عاجزا عن مجه .
٥ ـ وصول غبار الطريق إلى الجوف لمشقة الاحتراز عنه ، وكذلك غبار الدقيق

للطحان ومن يعالجه ، فإن تعمد الابتلاع أفطر .

الصوم مع ترك الصلاة :

من صام وترك الصلاة فقد ترك الأهم في أركان الاسلام فان لم يكن مؤمنا بما ترك كان خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وإن كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه وصحّ صومه كما تصحّ العبادات الأخرى . وإن كان صومه مع ترك الصلاة دليلاً بيناً على أنه لم يصم امتثالا لأمر ربه ، وإلا لما ترك الواجب الأول .

صوم المريض بالسُكَّر :

إذا أصيب الانسان بمرض السكر ، فعليه أن يعرض نفسه على طبيب مسلم حاذق موثوق به في دينه ، لفحصه والوقوف على درجة مرضه بواسطة تحليل البول أو الدم أو هما معا وبيان أثر الصوم في حالته ، فإذا طلب منه الإفطار كان عليه أن يفطر حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة ، وإذا أخبره بأن الصوم لا يضره وجب عليه أن يصوم .

صيام الصغار :

الصبي وإن كان الصوم غير واجب عليه إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، قادرا على تحمله ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدربون أولادهم الصغار على الصوم ويرغبونهم فيه بأنواع من اللعب يتلهون بها عن الجوع تقول الربيع بنت معوذ ـ فيما رواه البخاري ومسلم : « كنا نصوّم صبياننا الصغار ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار » .

الصوم في البلاد القطبية وغير المعتدلة عموما :

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد القطبية حيث يستمر الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما تكون هذه المدة الطويلة نهارا في القطب الجنوبي وفي البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو بالعكس .
فقال البعض تقدر أوقات الصلاة والصوم على أقرب البلاد المعتدلة اليهم .
وقال البعض الآخر تقدر على البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة والمدينة .
وكل من الرأيين جائز فإنه اجتهادي لا نَصّ فيه .

من آداب الصوم

○ إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير » (رواه الترمذي وقال حديث حَسَن») .

○ استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا ، وافتح في أول ساعة منه ، صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر » (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا اللفظ والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

○ ليكن منهجك في الصوم ، التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالحلم والوقار والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ، وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد) .

○ إذا صدرت من غيرك إساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتي هي أحسن ، وذكّر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خُلُقَ الصائم ، وردد ما أمرك الرسول الكريم به في هذا الموقف « فإن شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم .. إني صائم » (من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي) .

○ أقبل على تلاوة القرآن في رمضان ، في ليله ونهاره ، في الصلاة وخارج الصلاة ، فهو شهر القرآن .. ففي الحديث المتفق عليه .. « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله وسلم حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام « أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان » (رواه أحمد بسند صحيح) .

○ **لا تجعل** شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل ، وضعف الإنتاج ، فهو شهر جَلَدٍ وصبرٍ ، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط إلى العمل ، وينطلق في ميادين

الكفاح ، يملؤها بالجد المثمر ، والسعي البناء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

○ قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان ، فإن الثواب يضاعف فيه ، وإسداء المعروف ، وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم ، يقع في ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، يقول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فَطّرَ فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من اللبن) » (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال : صح الخبر) .

○ حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ، ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك ، تجنب قول الزور : من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخاري) .

○ تناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فإن الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفىء حرارة العطش ، فإن لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل . هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ : « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

○ عند الافطار ، توجه الى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » (رواه ابن ماجه) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .

وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، أن تغفر لي » .

○ تناول سحورك قريبا من الفجر ، ففي ذلك عون على النشاط في النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور قبل الفجر بنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنّة بتأخير السحور ، وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » (متفق عليه) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال : خمسون آية » (متفق عليه) .

○ تجنب الافراط في الأكل والشرب ، فإن من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة ، وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام ، وإن عدداً كبيراً من الأمراض الشديدة . والعلل المنهكة ، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه ، وقد جاء في الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب ، في رمضان وغيره فقال عزّ مِنْ قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » (٣١ : الأعراف) .

« **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » .

صلاة التراويح

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة ، وتسن فيها الجماعة ، ووقتها بعد صلاة العشاء .

دليل سنيتها :

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة : ليلة الثالث والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ركعات ، ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .

وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين ، حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام فكانت صلاة التراويح جماعة

مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده . وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : « كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » - أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح ، وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ، ووافقه الصحابة على ذلك ، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم ، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التي خرج اليهم فيها ،ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملون العشرين في بيوتهم ، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف ، والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله وسلم يرغب في قيام الليل ، من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي .

ومن الأفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك ، وإلا فليصل بما تيسر له .

وروح الصلاة الخشوع ، فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات ، وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني . وَرُبَّ ركعات قليلة ، تؤدى في صلاة خاشعة ، وقراءة فيها تدبر ، خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها ..!

العمرة في رمضان

للعمرة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة .

روى البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك أن تحجي معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه - لزوجها وابنها - وترك ناضحاً ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمري . فإن عمرة في رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي) .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرة في رمضان ، وإن كان لها مثل ثواب الحج ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة .

روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات ، كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته

عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في

ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وإنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، لفضيلة هذا الشهر ، ولمخالفة الجاهلية في ذلك ، فإنهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ، ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ، ليكون أبلغ في بيان جوازه فيه ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

وقد وقع خلاف حول ما إذا كان الأفضل العمرة في رمضان ، أو في شهر الحج ، فقيل ان العمرة في رمضان لغير النبي أفضل ، وأما في حقه فما صنعه أفضل ، وذلك لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يمنعون الاعتمار في أشهر الحج ، وهذا هو رأي الجمهور .

الاعتكاف

الاعتكاف رياضة روحية وتزكية نفسية وتطهير للقلب والعقل من غلبة أغراض الدنيا على نفس المؤمن .. وتكون في المسجد تفرغا لله سبحانه وتعالى ولعبادته ..

.. يلجأ إليها الذين يزدادون شوقا إلى رضى الله ، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبّه ..

ورياضة الاعتكاف رياضة قديمة ، كان يؤديها أصحاب النفوس الشفافة .

روى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله (إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له صلى الله عليه وسلم .. أَوْفِ بنذرك) .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . « رواه البخاري ومسلم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه ، اعتكف عشرين يوما .

ومعنى الاعتكاف : الإقامة الكاملة في المسجد ، وعدم الخروج منه مدة معينة ، على نية التقرب لله عز وجل ، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه ، وتتأكد سنيته في العشر الأخير من رمضان ، فإذا نذره المسلم ، كان واجبا عليه أن يؤديه .

وليس للاعتكاف وقت محدد ، فمتى مكث الانسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف ، كان معتكفا ، فاذا خرج ، فله أن يجدد النية ، ويجوز ذلك . أما الاعتكاف المنذور ، فيجب عليه أن يؤديه على الوجه الذي نذره به .

أركانه :

١ ـ المكث في المسجد .

٢ ـ النية .

شروطه :

الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل وكونه في مسجد ، ولا يشترط صوم المعتكف ، وإن كان صومه أفضل ، وللمرأة أن تعتكف بإذن زوجها ، فإن منعها فعليها أن تمتنع .

ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، واستحسن البعض المبيت ليلة الفطر بالمسجد ، والغدو إلى صلاة العيد .

ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام دخل معتكفه قبل أن يتبين له طلوع الفجر ويخرج بعد غروب جميع قرص الشمس ، أما إذا نذر اعتكاف ليلة أو ليال ، فإنه يدخل معتكفه قبل مغيب جميع قرص الشمس ، ويخرج بعد أن يتبين له طلوع الفجر .

ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم ، ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

ويكره له : إشغال نفسه بما لا يعنيه ، من قول أو عمل ، ويكره الصمت عن الكلام ظنا أن الصمت يقرّب من الله .

ويباح له : الخروج لقضاء الحاجة ، وللإتيان بالمأكول والمشروب ، إذا لم يكن له من يأتيه به ، وللمعتكف أن يمشط شعره ، ويحلق رأسه ، ويقلم أظافره ، وينظف بدنه ، ويلبس أحسن الثياب ، ويتطيب بالطيب .

ويبطل الاعتكاف : الخروج عمدا لغير حاجة ، والرِدة عن الاسلام ، وذهاب العقل بجنون أو سكر ، والحيض أو النفاس أو الجماع أو الانزال . وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه وقيل يجب عليه ذلك .

ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الاقصى وإن نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه وإن نذره في المسجد الأقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة أحب .

ليلة القدر

القَدْرُ هو الشرف العظيم ، ولقد عَظَّمَ الله من شأن هذه الليلة لنزول القرآن فيها قال الله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر**) .

وقال صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان) رواه

أحمد والبخاري وأبو داود .

والمشهور أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهو رأي لفريق كبير من الصحابة ، وإحياؤها سنة لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري ، والمراد بالمجاورة ، الاعتكاف ، والدعاء فيها من هدى الرسول الكريم ، روى أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وحكمة إحيائها بالعبادة ، تذكر نعمة الله علينا بإنزال القرآن فيها هدى للناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم وقد احتفل الله بها وكرّمها ، فمن واجبنا أن نعرف قدرها ، ونحرص على إحيائها ، والتقرب إلى الله فيها .

صدقة الفطر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبرا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » (رواه أبو داود) .

حكمة مشروعيتها .

ومن هذا يتبين أن الحكمة في فرضها سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم ، وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر ، في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجا بالعيد ، وفي هذا من معنى التكافل والتراحم بين المسلمين ما فيه ، كما أن في إخراجها تقربًا إلى الله ، وتطهيرا للصائم من السيئات التي يكون قد ارتكبها أثناء صومه ، لأن للحسنات آثارها الطيبة في محو السيئات .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها** » رواه أحمد والترمذي .

شروط وجوبها :

وشروط وجوبها : الحرية والاسلام ووجود ما يفيض عن حاجته وحاجة من

تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال ، فلا يجب على العبد إخراجها لأنه لا مال له ، ولكن يخرجها عنه سيده ، ولا على الفقير الذي لا يجد ليلة العيد ويومه فائضا عن حاجة أولاده ، كما لا يجب على من مات قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان ، ولا على من ولد بعد غروبه .

دليل الوجوب

ودليل وجوبها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين** » ـ متفق عليه .

مقدارها :

يجب على كل فرد صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن ، فيكون أفضل ويقدر الصاع بنحو خمسة أرطال ونصف من القمح أو الشعير أو الأرز أو الدقيق ويجوز إخراج القيمة نقدا ، حسب السعر الحالي والأسعار تختلف من بلد لآخر .

وقت إخراجها

يجوز إخراجها من أول رمضان ، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة ، كعدم وجود فقير في البلدة حال إخراجها .

ومن المستحسن استعجال خروجها ، حتى يستعين الفقير بها على ما يحتاجه في رمضان ، وإعداد ما يلزمه هو وأولاده في أيام العيد ، ليتحقق معنى الزكاة والغرض منها في أيام العيد ؛ فإن الفقير قد يحتاج إلى ثياب له ولأولاده فلا بد من إعطائه فرصة يتمكن فيها من إعداد الثياب والحاجيات الأخرى اللازمة له ولأولاده .

ولا يجوز نقلها من بلدة إلى أخرى . أو من منطقة إلى أخرى ، إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، كما لو اكتفى أهل البلد أو المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون ، أو كان له قريب فقير في بلدة أخرى قريبة من المكان الذي يقيم فيه يريد أن يعطيه جزءا منها وعند الأحناف لا يكره نقلها الى أي بلد فيه قرابة محتاجون أو من هم أحوج من أهل البلد أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم ونحوه .

والأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها ، وله أن يزيد فقيرا عن آخر في الاعطاء نظرا للحاجة أو لقربه منه .

عمن يخرجها ..؟

يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من الزوجة والأقارب

وهم : الوالدان الفقيران والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم .

لمن تصرف ؟

تصرف لمن يوجد من الفقراء المحتاجين الذين لا يكفي دخلهم لسد حاجاتهم ومنهم المسافرون المغتربون الذين لا مال لهم بأيديهم ينفقون منه على شؤونهم وإن كان لهم مال في بلدهم . وكذلك الدور المشرفة على الفقراء والداخلون في الاسلام المحتاجون للمعونة والذين لا يجدون ما ينفقون حتى تتيسر لهم سبل العيش .

صلاة العيد

دليل شرعيتها :

لم يغفل الاسلام ناحية الأعياد لدى أتباعه ، لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة ، حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح فيها ، وتستجم من عناء العمل ، وأعياد كل أمة ترتبط إما بدينها أو بحوادث هامة ، لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، لذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهرا من مظاهر شخصيتها .

ولأجل هذا لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : عيد الفطر ، بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ، وعبادتهم لله ، وعيد الأضحى ، بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج - وهو الوقوف بعرفة - ويفرحوا ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ماهذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود .

التكبير :

يندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والعطاء للبائسين .

ووقت التكبير لم تتفق المذاهب على تحديده ، ولذا نختار لك منها أن يبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، وحتى يصعد الإمام

على المنبر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى (**واذكروا الله في أيام معدودات**) قال ابن عباس : « هي ايام التشريق،وهي اليوم الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة » .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو في الطريق أو في المجالس .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : (الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد) .

وزاد بعض المذاهب (الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا إلى آخر الصيغة المشهورة) . على أن يكون معلوما أن ذلك كله أمر مندوب فلا يجوز أن يحتدم الخلاف حوله بين المسلمين .

حكمها :

عند أكثر المذاهب سنة عين مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة وأداؤها مع الجماعة سنة عند الشافعي فله أن يصليها منفردا وقال الآخرون : الجماعة شرط بلا آذان ولا إقامة .

وقتها :

من ارتفاع الشمس ولو قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال والأفضل التعجيل بها والمسارعة إلى أدائها وتحديد وقتها رغبة في اجتماع المسلمين حتى يؤدوها في جماعة ثم ينصرفوا إلى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم وتقوي روابطهم .

كيفيتها :

وصلاة العيد : ركعتان كغيرهما من النوافل غير أنه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ، ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات (الله أكبر) يفصل بين كل تكبيرتين بقدر آية صغيرة وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة . أما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام ، يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في القراءة .

ويندب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (سورة الأعلى) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة (سورة الغاشية) وإن كان له أن يقرأ بما شاء ، وإذا أدرك الامام في بعض التكبيرات تابعه في التكبير ولا يعيد ما فاته منها،ولو نسى المصلي التكبير ، ودخل في القراءة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام أو القيام فلا يعود للتكبير وصلاته صحيحة .

أين نؤدي صلاة العيد ..؟

يستحسن اداؤها في الصحراء في غير مكة وخاصة إذا كانت قريبة من العمران ، بخلاف الشافعية فإنهم قالوا إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر ، كضيقه ، فيكره الزحام فيه وتسن حينئذ في الصحراء .

ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلى العيد ماشيا إن أمكن وأن يجهر بالتكبير ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة .

والأجدر أن يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر ، ومن السنة أن يأكل قبل خروجه الى مصلاه في عيد الفطر ، تحقيقا لمعنى الفطر ، أما في عيد الأضحى فيندب تأخير الأكل .

لا صلاة قبلها ولا بعدها :

لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها : قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله وسلم يوم عيد فصلى ركعتين ، لم يصل قبلهما ولا بعدهما » (رواه الجماعة) .

الخطبة :

وبعد أن ينتهي الامام من صلاة العيد ، يصعد المنبر ، ويخطب خطبتين خفيفتين ، يرشد الناس فيهما إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد ، من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه وهما كخطبتي الجمعة ، غير أن خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة ، وأما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة .

كما أن خطبتي الجمعة ، تفتتحان بالحمد لله ، وأما خطبتا العيد ، فإنهما تفتتحان بالتكبير ، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعا وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعا ، وتختم بقول الله تبارك وتعالى .

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) (الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢) .

اجتماع العيد والجمعة :

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ، وجب عند الأئمة الثلاثة أداء كل صلاة منهما في وقتها المشروع ، فتصلي صلاة العيد في وقتها ، وتصلي الجمعة في وقتها ، ويرى الامام أحمد أنه إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد ، ويصلي الظهر بدلها .

ومن السنة اظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، ويدعو الاسلام إلى التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة .. فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » قال الحافظ : إسناده حسن .



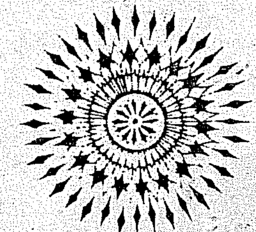
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة — الكويت —